سلسلة منشورات مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض

المنتقى

من

كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة

للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي

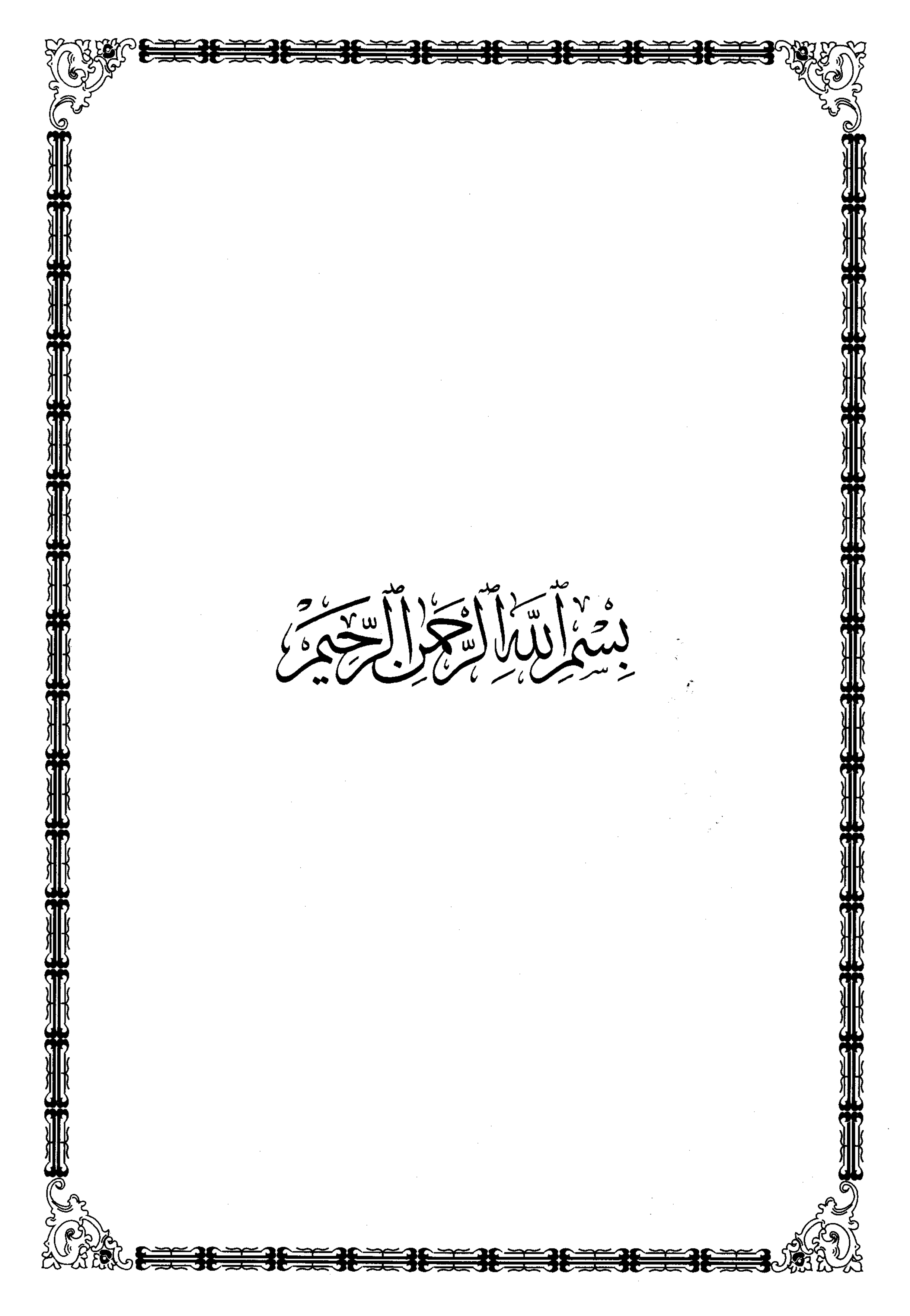
المتوفى سنة ٦٧١هـ

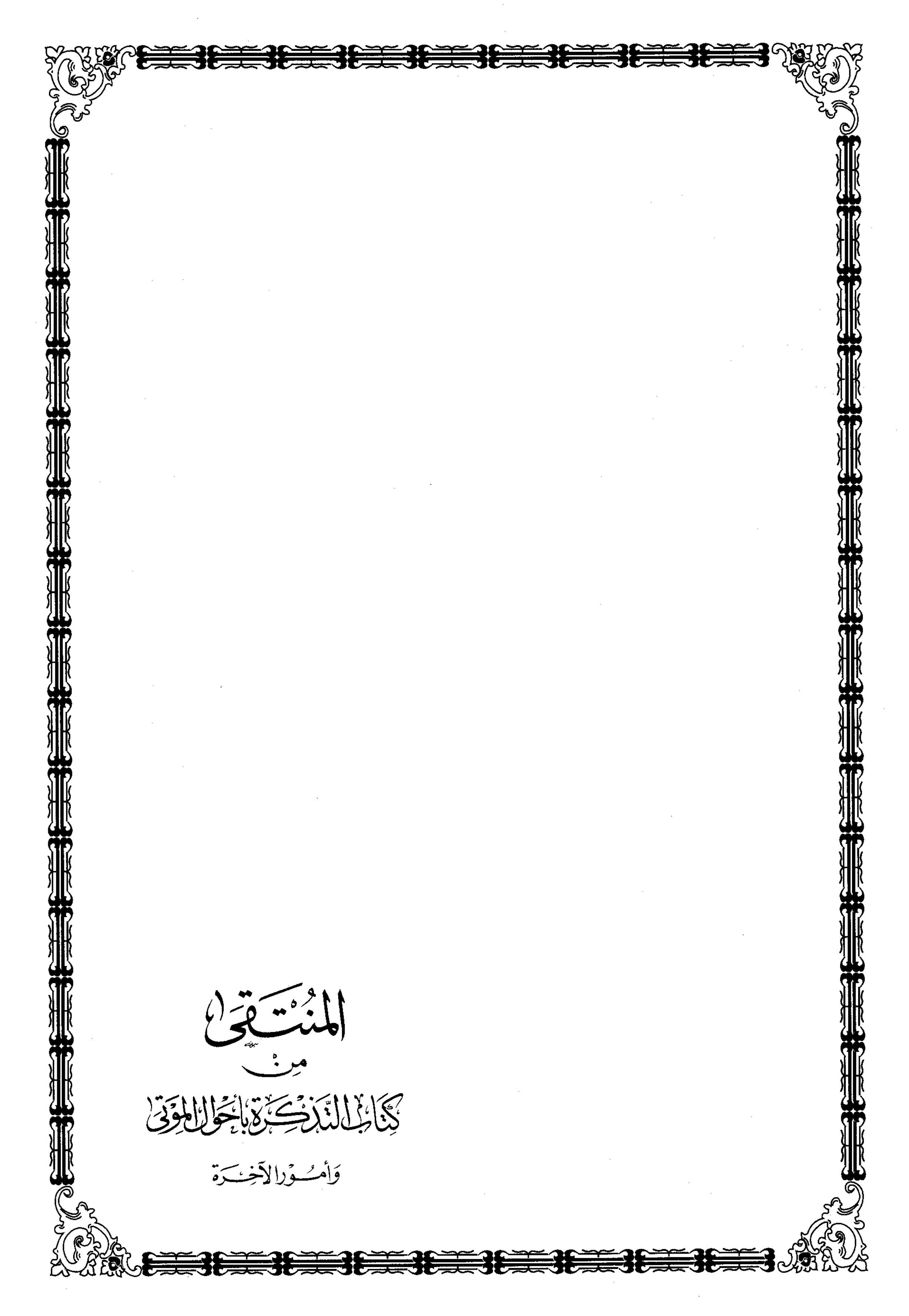
انتقاه وعلق عليه

د. الصادق بن محمد بن إبراهيم

مكتبة دار المنهاج

للنشر والتوزيع بالرياض


بسم الله الرحمن الرحيم



المنتقى

من

كتاب التذكرة بأحوال الموتى

وأمور الآخرة

ح مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القرطبي
المنتقى من كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة. / القرطبي؛ الصادق محمد إبراهيم علي.- الرياض، ١٤٢٦هـ
٤٨٠ص؛ ١٧×٢٤سم.- (سلسلة منشورات مكتبة دار المنهاج؛ ١٩)
ردمك: ١ - ٤ - ٩٤٢٣ - ٩٩٦٠
١ - الموت ٢ - البرزخ أ - علي، الصادق محمد إبراهيم (محقق) ب - العنوان ج - السلسلة
ديوي ٢٤٣ ١٤٢٦/١٠٩٨

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ

مكتبة دار المنهاج
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية. الرياض
المركز الرئيسي: طريق الملك فهد/ شمال الجوازات
هاتف ٤٠٦٥٥٥٣ - فاكس ٤٠٨٣٦٩٨ - ص ب ٦٩٩٢٩ الرياض ١١٥٥٣
الفروع: طريق خالد بن الوليد (إنكاس سابقا) ت ٢٣٢٢٠٩٥
مكة المكرمة. الشامية هاتف ٥٧٣٠٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد:

فإن الإيمان باليوم الآخر من أجلّ مباحث الإيمان؛ لتعلّقه بما يعتقده العباد في معادهم وما يصيرون إليه من نعيم مقيم، أو عذاب أليم.

ولأهمية الإيمان باليوم الآخر نجده مرتبطاً في القرآن الكريم بالإيمان بالله جلّ وعلا في عدد من المواضع، منها قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ٣٩﴾ [النساء: ٣٩].

كما نجد ذلك الارتباط أيضاً في السنّة النبويّة، منه: قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره..» الحديث[(١)]، وقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت..» الحديث[(٢)].

فإذا أيقن العبد بالحياة الآخرة التي يكون فيها الحساب على الكبير والصغير حتى الذرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]، أثمر له ذلك اليقين: تقوى الله تعالى، ومراقبتَه، وخشيتَه في السر والعلن.

فلما كان الإيمان باليوم الآخر بهذه الأهمية، وتلك المنزلة العالية الرفيعة؛ اتجهت رغبتي إلى تحقيق كتاب من كتب أهل العلم يخدم ذلك الموضوع، فكان اختياري لكتاب «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»، للعلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، صاحب التفسير المشهور؛ ولما كان كتاب التذكرة أجمع الكتب في بابه، وتوسّع فيه مؤلفه جداً فأتى فيه بالصحيح والضعيف، وكنت قد عملت في تحقيق كتاب التذكرة عدة سنوات في مرحلة الدكتوراه[(٣)]، وجاء الكتاب مع تحقيقه في سفر كبير أحببت أن أنتقي منه، ومن تعليقي عليه جملة أرجو أن تكون نافعة لعامة المسلمين، ويبقى الكتاب الأصل المحقق لمن أراد الرجوع إليه، وقد سرت في الانتقاء على المنهج التالي:

١ ـ انتقيت من الأبواب والفصول ما بُني على أحاديث صحيحة، وحذفت الأحاديث الضعيفة، والإسرائيليات، والغيبيات التي لا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/١٩٨٧ ح٤٨٩٠.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/١٠٩١ ح١٤٦٨.
(٣) قد نشرنا هذه الأطروحة في ثلاث مجلدات (الناشر).

أصل لها التي تتخلل تلك الأبواب والفصول، وقد أكتفي ببعض الأحاديث الصحيحة في الباب بما يتم به المقصود.

٢ ـ حذفت المسائل العقدية التي خالف فيها المؤلف منهج السلف الصالح، كما حذفت من تفريعات المصنف وتوسعاته ما ليس وثيق الصلة بموضوع الكتاب، وقد حذفت من الحكايات ما تضمن مخالفة عقدية أو شرعية.

٣ ـ حذفت الفروق التي بين النسخ الخطية للكتاب، وأبقيت فروقات الكتاب مع مصادره.

٤ ـ عدَّلت في عناوين بعض الأبواب لتتناسب مع ما بقي بعد الحذف.

○ مؤلف كتاب التذكرة في سطور:

هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري الخزرجي، الأندلسي ثم القرطبي، أبو عبد الله.

ولد المؤلف رحمه الله تعالى ونشأ في مدينة قرطبة، إلا أن مصادر الترجمة لم تذكر لنا سنة ولادته رحمه الله، فظهر لي من خلال المقدمة الدراسية الموسعة للمؤلف وكتابه كما في الأصل المحقق أن المؤلف رحمه الله ولد ما بين سنة (٦٠٤ ـ ٦١٠هـ).

عُرِف القرطبي رحمه الله بالعلم والزهد والورع، فكانت أوقاته معمورة بالعبادة والتصنيف.

هاجر المؤلف إلى مصر بعد استيلاء النصارى الإسبان على قرطبة في سنة ٦٢٣هـ، وبقي في مصر ينتقل بين مدنها إلى أن استقر به المقام في منية بني خصيب في صعيد مصر التي توفي بها في سنة ٦٧١هـ، رحمه الله رحمة واسعة.



بسم الله الرحمن الرحيم

يقول **العبدُ الفقيرُ إلَى رَبِّهِ، المُتَنَصِّلُ مِنْ ذنْبِهِ، الراجِي رَحمةَ ربِّهِ:** محمدُ بن أحمدَ **بنِ أبي بكر بنِ فَرْحٍ الأنصاريُّ، الخزرَجيُّ، الأندلسيُّ، ثم القُرْطُبِيُّ، غفرَ الله له، ولوالديه، ولِجميع المسْلمين أجمعين** آمين:

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ الأعلَى، الوليِّ المولَى، الذي خَلقَ فَأَحْيى، وحَكَمَ على خَلْقِه بالموتِ والفَناءِ، والبعْثِ إلى دَار الجَزاءِ، والفَصْلِ والقَضاءِ؛ لتُجزى كلُّ نفْسٍ بما تَسْعى كما قال في كتابه جَلَّ وَعَلا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٤ ـ ٧٦]، **وبعْدُ:**

فإني رأيتُ أنْ أَكتُبَ كِتاباً وجيزاً؛ يكون تَذْكِرةً لِنَفْسِي وعملاً صالحاً بعد موتي في ذِكْرِ الموتِ، وأحْوالِ الموْتى، وذِكْرِ الحشْرِ، والنشرِ، والجنّةِ، والنّارِ، والفِتَنِ، والأشرَاطِ. نَقَلْتُه مِنْ كتُبِ الأئمّةِ، وثِقاتِ أعْلامِ هذه الأمّة حسْبَ ما رَوَيْتُهُ أوْ رأيْتُه، وستَرى ذلِك مَنْسُوباً مُبَيّناً إنْ شاء الله تعالى، **وسمّيْتُه:** كِتاب التّذْكِرة بأحوال المَوْتَى وأمُور الآخِرة. وبوّبتُه باباً باباً، وجعلتُ عَقِبَ كلِّ بابٍ فَصْلاً أوْ فصُولاً نَذْكرُ فيه ما يُحتاجُ إليهِ مِن بيانِ غريبٍ، أو فقْهٍ فِي حديثٍ، أو إيضاح مُشْكِلٍ؛ لِتكْمُلَ فائدتُه، وتَعْظُمَ منْفعَتُهُ؛ إذِ التفقهُ في حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ هو المعنى المقصودُ، والرأيُ المحمودُ، والعملُ الموجودُ في المقامِ المحمودِ واليومِ المشهودِ، جعَله الله خالِصاً لوجهِه ومُقرِّباً من رحمتهِ بمنِّهِ وكَرمِهِ، لا ربَّ سِواه، ولا معبودَ إلا هو سبحانه.

بَابٌ

النهي عن تمني الموت والدعاء به لضرٍّ نزل في المال والجسد

مسلم[١] عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يتمنَّينَّ أحدُكم الموتَ لِضرٍّ نَزل به، فإن كان لا بُدَّ متمنِّياً فَلْيَقُل: اللَّهم أَحْيِنِي ما كانتِ الحياةُ خيراً لي، وتوفَّني إذا كانتِ الوفاةُ خيراً لِي»، أخرجه البخاري[٢] أيضاً.

وعنهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنينَّ أحدُكم الموتَ ولا يدعُ به مِن قَبْل أَن يَأتِيَه، إنه إذا ماتَ أحدُكم انقطعَ عَمَلُه، وإنه لا يزيد المؤمِنَ عمرُه إلا خيراً»[٣].

وقال البخاري[٤]: «لا يتمَنّينَ أَحدُكم الموْتَ، إمّا مُحْسناً فلعلَّه أن يزدادَ خيراً، وإمّا مُسِيئاً فلعلَّه أن يَسْتَعْتِبَ».

فَصْلٌ

قال العلماءُ[٥]: الموتُ ليسَ بعدمٍ محْضٍ، ولا فناءٍ صرفٍ، وإنما

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢٠٦٤ ح٢٦٨٠.
(٢) في صحيحه ٥/ ٢٣٣٧ ح٥٩٩٠.
(٣) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٦٥ ح٢٦٨٢.
(٤) في صحيحه ٥/ ٢١٤٧ ح٥٣٤٩، و٦/ ٢٦٤٤ ح٦٨٠٨.
(٥) منهم أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي شيخ المصنف، حيث ذكر القول بحروفه في كتابه المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم له ٢/ ٥٧٤ كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له.

هو انقطاعُ تعلقِ الروحِ بالبدنِ، ومفارقتُهُ، وحيلولة بينهما[١]، وتبدلُ حالٍ، وانتقالٌ من دارٍ إلى دار[٢]، وهو مِن أعظم المصائبِ، وقد سمّاه اللهُ تعالى مصيبةً في قولهِ: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المائدة: ١٠٦] فالموتُ هو المصيبةُ العُظْمَى والرزيةُ الكُبْرَى.

قال علماؤنا[٣]: وأعظمُ منهُ الغفلةُ عنهُ، والإعراضُ عن ذِكْرِهِ، وقلةُ التفكرِ فيهِ، وتركُ العملِ له، وإنّ فيهِ وحدَه لعبرةً لمن اعتبرَ، وفكرةً لِمن تفكرَ.

ويُروى أنّ أعْرابياً كان يسيرُ على جملٍ له فَخَرَّ الجملُ ميْتاً، فنزلَ الأعرابيُّ عنه، وجعلَ يطوفُ بهِ ويتفكرُ فيهِ ويقولُ: ما لكَ لا تقومُ؟! ما لكَ لا تنبعثُ؟! هذِهِ أعضاؤكَ كاملةٌ، وجوارحكَ سالمةٌ، ما شأنُكَ؟! ما الذي كان يحْمِلُكَ؟! ما الذي كان يبعثُكَ؟! ما الذي صرعَكَ؟! ما الذي عن الحركةِ منعكَ؟! ثم تركَهُ وانصرفَ متفكراً في شأنِهِ، متعجِّباً مِن أمرِهِ[٤].

وأنشدوا في بعض الشجعان مات حتف أنفه:

جاءتَهُ مِن قبلِ المَنُونِ[٥] إشارةٌ ... فهوى صريعاً لليدينِ وللفمِ

---

(١) نهاية قول أبي العباس القرطبي.

(٢) يقول ابن القيم: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدماً محضاً، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب. انظر: الروح ص(٣٤)؛ وعرّفه الجرجاني بأنه: صفة وجودية خلقت ضد الحياة. انظر: التعريفات له ص(٣٠٤) رقم ١٥٢٠.

(٣) منهم: أبو محمد عبد الحق الإشبيلي في كتابه: العاقبة في ذكر الموت والآخرة ص(٤٣).

(٤) ذكر هذه الرواية أبو محمد في العاقبة ص(٤٥).

(٥) المنون والمنية: الموت. الصحاح للجوهري ٢٢٠٧/٦، ٢٤٩٧.

ورمَى بِمُحْكمِ دِرْعِهِ وبِرُمْحِهِ ... وامتدَّ مُلْقَى كالفنيقِ[(١)] الأعْظَمِ
لا يستجيبُ لصارِخٍ إنْ يَدْعُهُ ... أبداً ولا يُرجى لِخطْبٍ مُعْظمِ
ذهبتْ بسالتُهُ[(٢)] ومرَّ غرَامُهُ ... لمّا رأى خيلَ المنيةِ تَرْتَمِي
يا ويحَهُ[(٣)] مِن فارسٍ مَا بالَهُ ... ذهبتْ مروَّتُهُ ولما يُكْلَمِ[(٤)]
هذِي يَدَاهُ وهذِهِ أعْضاؤهُ ... ما مِنْهُ مِن عُضْوٍ غدا بِمِثْلمِ[(٥)]
هَيْهَاتَ ما خيلُ الردى مُحْتَاجَةٌ ... للمَشْرفِيِّ[(٦)] ولا السنانِ اللّهْذَمِ[(٧)]
هي ويْحَكُمْ أمرُ الإلهِ وحُكْمُه ... واللَّهُ يَقْضِي بالقضاءِ المُحْكمِ
يا حَسْرة لو كان يُقْدَرُ قدرُها ... ومصيبةٌ عَظُمتْ ولمّا تَعْظُمِ
خبرٌ علمنا كلُّنا بمكانِهِ ... وكأننا في حالِنا لم نعلمِ[(٨)]

فَصْلٌ

وقوله: «فلعله أن يستعتب»، الاستِعْتَاب: طلبُ العُتْبَى، وهو الرضَى، وذلك لا يحصل إلا بالتوبةِ والرجوعِ عن الذنُوبِ.

---

(١) الفنيق: هو الفحل المُكرَم، الذي لا يُركب ولا يُهان، وناقة فُنُق: أي: فتية، سمينة. الصحاح ٤/ ١٥٤٥؛ لسان العرب لابن منظور ١٠/ ٣١٣.

(٢) البسالة: الشجاعة. الصحاح ٤/ ١٦٣٤.

(٣) ويح: كلمة رحمة. الصحاح ١/ ٤١٧.

(٤) الكَلْمُ: الجراحة، والجمع: كُلُومٌ وكِلَام. الصحاح ٥/ ٢٠٢٣ ـ لم يُكْلم، أي: لم يُجرح ـ.

(٥) الثُّلْمَةُ: الخلل في الحائط وغيره، يُقال في السيف: ثَلْمٌ، وفي الإناء: ثَلْمٌ إذا انكسر من شفته شيءٌ. الصحاح للجوهري ٥/ ١٨٨١ ـ والمراد لم ينكسر منه أيُّ عضوٍ من جسمه ـ.

(٦) المشرفي: السيف. الصحاح ٤/ ١٣٨٠.

(٧) اللهذم من الأسنة: القاطع. الصحاح ٥/ ٢٠٣٧.

(٨) أورد أبو محمد عبد الحق هذه الأبيات في: العاقبة ص(٤٥).

قال الجوهري[١]: استَعْتب: طلبَ أن يُعْتَبَ، يقول: استَعْتَبْتُه فأَعتبَنِي، أي: استرْضيته فَأَرضاني، وفي التنزيل في حق الكافرين: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤].

وقالَ أبو الدرداءِ[٢] رضي الله عنه: ما مِن مؤمنٍ إلا والموْتُ خيرٌ له، فَمَن لم يُصدقنِي فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

باب

جوازِ تَمني الموتِ والدعَاءِ بهِ خَوْفَ ذَهابِ الدينِ

قال الله تعالى مخبراً عَنْ يُوسُفَ عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وعَن مريمَ في قوْلِهَا: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣].

مَالِكٌ عن أبي الزنادِ عن الأعْرَجِ عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُوم السَّاعَةُ حتَّى يَمُرَّ الرجلُ بقبْرِ الرَّجُلِ فَيقول: يا ليْتَني مَكانه»[٣].

فصل

قلت: لا تعارُضَ بيْن هذه التَّرجمةِ والتي قَبْلها لِمَا نُبَيِّنُهُ:

---

(١) إمام اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد التركي، مصنف كتاب الصحاح، وأحد من يُضرب به المثل في ضبط اللغة، توفي سنة ٣٩٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٨٠ ـ ٨١؛ وقوله في الصحاح له ١/ ١٧٦.

(٢) عامر بن عويمر، الخزرجي الأنصاري، أبو الدرداء. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ١٢٢٧ رقم ٢٠٠٦، وذكر ابن جرير هذا الأثر في تفسيره ٤/ ١٤٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦/ ٢٦٠٤ ح٦٦٩٨؛ ومسلم ٤/ ٢٢٣١ ح١٥٧.

أَمّا يوسُفُ عليه السلام فقَال قتَادَةُ[١]: لم يتمَنّ الموتَ أحدٌ نَبِيٌّ ولا غيْرُه إلا يوسفُ عليه السلام حِين تَكاملَتْ عليهِ النعَمُ، وَجُمِع له الشّمْلُ اشْتَاقَ إلى لقَاءِ ربه عز وجل[٢] فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي﴾ [يوسف: ١٠١] فاشْتَاقَ إلى لقاء ربه عز وجل.

وقيل: إنَّ يوسفَ عليه السلام لم يَتَمَنّ الموتَ، وإنّما تَمَنَّى الوفاةَ على الإسْلام، أيْ: إذا جاء أَجلِي توفّنِي مُسْلِماً[٣]، وهذا هو القول المخْتارُ في تأويل الآيةِ عند أهلِ التأويلِ، وأما مريمُ عليها السلام فإنما تَمَنَّتِ الموتَ لِوجهيْن:

أحَدُهُما: أنها خافتْ أن يُظَنّ بها الشرُّ في دِينها وتُعَيَّر فيَفْتِنَها ذلك.

الثاني: لئلا يقَع قوم بسَبَبِها في البهتَان والزور والنسبةِ إلى الزنا وذلك مُهْلِك لهم، وقد قال الله عز وجل في حق مَن افترى على عائشة رضي الله عنها: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، وقال: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

وقد اُختلفَ في مريم هل هي صدّيقَةٌ؟ لقوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ

---

(١) قتادة بن دِعَامة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، مفسر، مات سنة ١١٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧٠.

(٢) ذكره ابن جرير في تفسيره ١٣/ ٧٣.

(٣) قال ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: جمعت هذه الآية: الدعوة والإقرار بالتوحيد، والاستسلام للرب، وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجلّ غايات العبد، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد، وطلب مرافقة السعداء. الفوائد لابن القيم ص(٣٤٩).

صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] أو نبيّة؟ لقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]، وقولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ [آل عمران: ٤٢] الآية[1]؛ وعليه فيكون الافتراءُ عليْها أَعظَم، والبهْتانُ في حقها أشدّ، وفيه يكون الهلاكُ حقاً؛ فعلى هذا الحَد الذي ذَكرنا من التأويليْن يكونُ تمني الموت في حقها جائزاً والله أعلم.

وأما الحديثُ؛ فإنما هو خبر أن ذلك يكُون لشدةِ ما ينْزلُ بالناسِ من فسادِ الحال في الدين، وضعفه، وخوْفِ ذهابِه، لا لضُر ينزلُ بالمرْءِ في جسْمه أو غير ذلك من ذهابِ مَاله مما يحط به عنه خطاياه، ومما يوضح هذا المعنى ويبيّنه قوله ﷺ: «اللهم إني أسألك فعلَ الخيراتِ، وتركَ المنكرات، وحُبَّ المساكين، وإذا أَردتَّ، ويروى: أردت في الناسِ فتنةً فاقبضني إليك غيرَ مفتون» رواه مالك[2]، ومِثلُ هذا قوْل عمر رضي الله عنه: اللهم قد ضعُفتْ قُوتِي، وكبرتْ سني، وانتشرت رعيتي، فاقْبِضْنِي إليك غيْر مُضيِّع ولا مُقَصِّر، فما جاوَز ذلك الشهرَ حتى قُبض رحمه الله، رواه مالِك[3] أيضاً.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد ذكر القاضي أبو بكر، والقاضي أبو يعلى، وأبو المعالي وغيرهم، الاتفاق على أنه ليس في النساء نبيَّة، والقرآن والسنّة دلّا على ذلك، كما في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقوله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، ذكر أن غاية ما انتهت إليه أمه: الصّدّيقية. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٣٩٦.

(٢) في الموطأ ١/٢١٨ ح٥٠٨؛ وأخرجه الترمذي ٥/٣٦٦ ح٣٢٣٣؛ والطبراني في المعجم الكبير ٢٠/١٠٩ ح٢١٦، كلاهما من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ وأحمد في المسند ١/٣٦٨ ح٣٤٨٤ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/٩٧ ـ ٩٨ ح٢٥٨٠.

(٣) في الموطأ ٢/٨٢٤ ح١٥٠٦؛ وأخرجه أبو بكر ابن أبي عاصم الشيباني المتوفى سنة ٢٨٧هـ في كتابه الآحاد والمثاني ١/١٧٠ ح٩٠.

وذكرَ أبو عمرَ ابنُ عبدِ البرِّ[١] في كتاب التمهيدِ[٢]، والاستذكارِ[٣]: مِن حديثِ زاذانَ أبي عمرَ عن عُلَيْم الكِندِيِّ قال: كنتُ مع عبس الغفارِي على سطحٍ فرأى قوماً يتحملون[٤] من الطاعونِ، فقالَ: يا طاعونُ خُذْنِي إليكَ، ثلاثاً يقولُها، قالَ عُلَيْمٌ: لِمَ تقولُ هذا؟ ألم يقُلْ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يتمنّينّ أحدُكُم الموْتَ فإنّه عندَ ذلك انقطاعُ عملِهِ ولا يردُ فيُسْتَعْتَبَ»، فقالَ عبس: أنا سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «بادِروا بالموتِ ستّاً: إمرة السفهاءِ، وكثرة الشُّرطِ[٥]، وبيع الحكم[٦]، واستخفافاً بالدمِ، وقطيعة الرحمِ، ونشواً يتخذون القرآنَ مزاميرَ يُقدِّمُونَ الرجُلَ ليُغَنِيهم بالقرآنِ وإنْ كان أقلَّهم فقهاً». وسيأتي[٧] لهذا مزيد بيان في الفتن إن شاء الله تعالى.

---

(١) الإمام حافظ المغرب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمريّ القرطبيّ. من مصنفاته: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستذكار وهو اختصار للتمهيد، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، وغير ذلك، توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ١١٢٨ ـ ١١٣٠.

(٢) التمهيد ١٨/ ١٤٧. وقال ابن عبد البر: هذا حديث مشهور روي عن عبس الغفاري من عدة طرق.

(٣) الاستذكار ٨/ ٤١٠ ح١٢١٥٤؛ والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ٣٦؛ وأحمد في المسند ٣/ ٤٩٤ ح١٦٠٨٣؛ وحسّنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ١٩٩.

(٤) في رواية مسند أحمد: يخرجون ٣/ ٤٩٤، ويتحملون بمعنى يرتحلون. انظر: الصحاح ٤/ ١٦٧٧.

(٥) هم شُرَطُ السلطان، سُموا بذلك؛ لأنهم جعلوا أنفسهم علامات يعرفون بها. النهاية في الغريب ٢/ ٤٦٠.

(٦) أي: يأخذ الرشوة عليه. انظر: فيض القدير للمناوي ٣/ ١٩٤.

(٧) انظر ص(٣٢٨).

باب

ذِكر الموتِ وفضله والاستِعدادِ له

النسائي[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسُول الله ﷺ: «أكثروا ذِكرَ هَاذِمِ اللذات» يعْنِي الموتَ، أخرجه ابنُ ماجه[(٢)] والترمذي[(٣)] أيضاً.

ابن ماجه[(٤)] عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كنت جالساً مع رسُول الله ﷺ فجاء رجلٌ من الأنصار فسلّم على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسَنُهم خُلقاً»، قال: فأي المؤمنين أكيَس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس»، خرَّجه مالك[(٥)] أيضاً.

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «كفى بالموت واعظاً»[(٦)].

---

(١) في المجتبى في السنن ٤/ ٤ ح١٨٢٤.

(٢) في سننه ٢/ ١٤٢٢ ح٤٢٥٨.

(٣) في جامعه ٤/ ٥٥٣ ح٢٣٠٧، وقال: حديث حسن صحيح غريب. قال النووي: رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه بأسانيد صحيحة كلها على شرط البخاري ومسلم؛ المجموع شرح المهذب ٥/ ١٠٥، وقال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح النسائي له ٢/ ٣٩٣ ح١٧٢٠.

(٤) في سننه ٢/ ١٤٢٣ ح٤٢٥٩؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٤١٧ ح١٣٥٣٦، قال الهيثمي: إسناده حسن؛ مجمع الزوائد ١٠/ ٣٠٩. وقال الألباني: حديث حسن. انظر: صحيح ابن ماجه له ٢/ ٤١٩ ح٣٤٣٥.

(٥) لم أجده في الموطأ.

(٦) رواه أحمد في الزهد عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما ص(١٧٦)؛ ورواه نعيم بن حماد في زوائد الزهد لابن المبارك عن ابن مسعود رضي الله عنه ص(٣٧) ح١٤٨، وقد صحّحه الشيخ الألباني موقوفاً، وضعّفه مرفوعاً. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢/ ١ ح رقم ٥٠٢، وهذا القول مشهور أيضاً عن الفضيل بن عياض. انظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٨.

وقال السّدي[١] في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٣]، أي: أكثرُكُم للموتِ ذِكراً، وله أحسَنُ استعداداً، ومِنه أشدُّ خوْفاً وحذراً[٢].

فَصْل

قال علماؤنا[٣] رحمةُ اللهِ عليهِمْ: قوله ﷺ: «أكثرُوا ذكرَ هادمِ اللذات»، الموت كلامٌ مختصرٌ وجيزٌ، قد جمعَ التذكرةَ، وأبلغَ في الموعظةِ، فإنّ مَن تذكرَ الموْتَ حقيقة ذكرِهِ نغّصَ عليه لذتَه الحاضرةَ، ومنعَه من تمنِّيها في المستقبلِ، وزهّدَه فيما كان مِنْها يؤملُ، ولكنّ النفوسَ الرّاكدةَ، والقلوبَ الغافلةَ تحتاجُ إلى تطويلِ الوعّاظِ، وتزويق الألفاظِ، وإلا ففي قولِهِ ﷺ: «أكثرُوا ذكرَ هادمِ اللّذاتِ» معَ قولِهِ تَعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ما يكْفِي السامعَ له، ويشغلُ الناظرَ فيه.

وكان أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطّابِ ﷺ كثيراً ما يتمثل بهذِهِ الأبيات:

لا شيء ممّا تَرَى تبقى بشاشتُهُ ... يبقى الإلهُ ويُودى[٤] المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عنْ هُرْمُزَ يوماً خزائنُهُ ... والخلدَ قد حاولتْ عادٌ فما خلَدُوا
ولا سليمانَ إذ تجرِي الرياحُ لَهُ ... والإنسُ والجنُّ فيما بينها برِدُ

(١) إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أبي كريمة، الإمام، المفسر، أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي، توفي سنة ١٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/ ٥٠. وانظر: تفسير السدي ص(٤٥٨).

(٣) القائل هو: أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(٣٨).

(٤) في الصحاح ٦/ ٢٥٢١. أوْدى فلان: أي: هلك.

أينَ الملوكُ التي كانتْ لِعزتِها ... مِن كُلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يفدُ
حَوْضٌ هنالِكَ مورودٌ بلا كذبٍ ... لا بُدّ مِن وِرْدِهِ يوماً كما وَرَدُوا(١)

فَصْلٌ

إذا ثبت ما ذكرناه فاعلم أن ذكر الموت يورث استِشْعار الانزِعاج عن هذه الدار الفانيةِ، والتوجه في كل لحظة إلى الآخرة الباقيةِ، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق، وسَعةٍ، ونِعْمة، ومِحْنة، فإن كان في حال ضيق، ومحنَةٍ فذكرُ الموت يسهَل عليْه بعضَ ما هو فيه فإنه لا يدوم، والموتُ أصعبُ منه، أو في حال نعمة وسعة، فذكرُ الموت يمنع من الاغترار بها، والسكون إليها لقَطْعهِ عنها، ولقد أحسن من قال:

اذكر الموتَ هادمِ اللذاتِ ... وتجهز لمصْرَعٍ سوْفَ يأتِي

وقال آخر:

واذكرِ الموْتَ تجِدْه راحةً ... في ادّكار الموتِ تقصير الأمل

وأجمعتِ الأمةُ على أنّ الموْتَ ليسَ لَهُ سنٌّ معلومٌ، ولا زمنٌ معلومٌ، ولا مرض معلوم؛ وذلكَ لِيكونَ المرءُ على أُهْبَةٍ مِن ذلكَ، مستعداً لذلك، وكان بعضُ الصالحينَ يُنادي بالليل على سورِ المدينةِ: الرحيلَ، الرحيلَ، فلمّا تُوفي فقد صوتَه أميرُ تلك المدينةِ، فسألَ عنه، فقِيل له: إنه قد مات فقالَ:

ما زالَ يلهجُ بالرحيلِ وذِكْرِهِ ... حتى أناخَ ببابهِ الجمّالُ

---

(١) جزء من قصيدة طويلة لورقة بن نوفل، أوردها أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني ٣/ ١١٥؛ وذكر أبو داود السجستاني في كتابه الزهد ص(٩٦) البيت الأول منها عن عمر رضي الله عنه.

فأصابَه مُتيقِظاً ومُتشمّراً ذا أُهْبةٍ لم تُلهِهِ الآمالُ

وكان يزيدُ الرّقاشيُّ(١) يقولُ لنفسهِ: ويْحَكَ يا يزيدُ مَنْ ذا يُصلي عنك بعدَ الموتِ؟ مَن ذا يصومُ عنكَ بعدَ الموتِ؟ من ذا يترضى عنكَ ربَّكَ بعدَ الموتِ؟ ثم يقول: أيّها النّاسُ ألا تبكونَ وتنوحونَ على أنفسِكم باقي حياتِكم؟ مَنِ الموْتُ موعدُهُ، والقبرُ بيتُهُ، والثرَى فِراشُهُ، والدُّودُ أنيسُهُ، وهو مع هذا منتظر الفزعَ الأكبرَ، كيفَ يكونُ حالُه؟ ثم يبكي حتى يسقطَ مغشياً عليه(٢).

وقال التيميُّ(٣): شيئان قطعا عني لذاذةَ الدنيا: ذِكرُ الموتِ، وذِكرُ الوقوف بين يدي اللهِ تعالى(٤).

وكان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ(٥) يجمعُ الفقهاءَ فيتذاكرون الموتَ

---

(١) يزيد بن أبان الرقاشي بتخفيف القاف، أبو عمر البصري القاص، زاهد ضعيف، أسند عن أنس بن مالك، وروى عن الحسن وغيره، إلا أن التعبد شغله عن حفظ الحديث فأعرضت النقلة عما يروي، من الخامسة، مات قبل العشرين. انظر: صفة الصفوة ٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠ لأبي الفرج ابن الجوزي؛ تقريب التهذيب ص(١٠٧١) رقم ٧٧٣٣.

(٢) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص(١٤٦)؛ وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٥١.

(٣) عبد الأعلى التيمي، هكذا ذكره أبو نعيم في الحلية ولم يذكر له ترجمة. قال ابن حجر: روى عن أبيه وعمر وابن مسعود، وروى عنه أبو حنيفة ومسعر، ذكره البخاري في تاريخه فلم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. انظر: تعجيل المنفعة لابن حجر ص(٢٤٣) رقم ٦٠٢؛ والتاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٧٢ رقم ١٧٤٦.

(٤) ذكره أبو نعيم في الحلية ٥/ ٨٨ ـ ٨٩؛ وأبو محمد عبد الحق في العاقبة ص(٣٩).

(٥) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الإمام، الحافظ، العلّامة، المجتهد، العابد، الخليفة الزاهد الراشد، أشج بني أمية، توفي سنة ١٠١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤ ـ ١٤٨.

والقيامةَ، والآخرةَ، فيبكون حتى كأنّ بين أيديهم جنازةً[١].

وقال أبو نعيم[٢]: كان الثوريُّ[٣] إذا ذكرَ الموتَ لا يُنتفعُ به أياماً، فإن سُئل عن شيءٍ قال: لا أدْرِي لا أدْرِي.

فتفكّرْ يا مغرورُ في الموتِ وسكرتِهِ، وصعوبةِ كأسِهِ ومَرَارَتِهِ، فيا للموتِ مِن وعدٍ ما أصدقَه، ومِن حاكمٍ ما أعدلَه، وكفى بالموتِ مُقرِّحاً للقلوبِ، ومُبكِياً للعيونِ، ومُفرِّقاً للجماعاتِ، وهادماً للذاتِ، وقاطِعاً للأمنياتِ، فهلا تفكرتَ يا ابنَ آدمَ في يومِ مصْرعِكَ، وانتقالِكَ مِن موضعِكَ، وإذا نُقلتَ مِن سعةٍ إلى ضيقٍ، وخانَكَ الصاحبُ والرفيقُ، وهجرَكَ الأخُ والصديقُ، وأُخذتَ مِن فُرُشِكَ وغطائِكَ إلى عررٍ[٤]، وغطوكَ من بعدِ لينِ لحافِكَ بترابٍ ومدرٍ، فيا جامعَ المالِ، والمجتهدُ في البنيانِ، ليس لك والله مِن مالِكَ إلا الأكفانِ، بل هي والله للخرابِ، والذهابِ، وجسمك للتراب والمآب، فأين الذي جمعته من المال؟ فهلّا أبعدك من الأهوال؟ كلا، بل تتركه إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزار على مَن لا يعذرك.

ولقد أحسنَ مَن قال في تأويلِ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] النصيب: الكفن، فهو وعظ متصل بما تقدم من قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾، أي: اطلب

---

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٤/ ٤١٢؛ وأبو محمد عبد الحق في العاقبة ص(٤٠).

(٢) في الحلية ٦/ ٣٨٧.

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري الكوفي، المجتهد، شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، مصنف كتاب الجامع، توفي سنة ١٢٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٤) العرر: الأرض المُسمّدة. انظر: الصحاح ٢/ ٧٤٤.

فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهي: الجنة، فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة، لا في الطين والماء، والتجبر والبغي، فكأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن، ونحو هذا قول الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداءان تلوى فيهما وحنوط

وقال آخر:

هي القناعة لا تبغي بها بدلاً ... فيها النعيم وفيها راحة البدن

انظر لمن مَلك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

فَصْلٌ

قال الحسَن البصري(١): إنّ قوماً ألْهَتهم الأمَانِيُّ حتَّى خرجُوا من الدنيا وما لهم حَسنةٌ، ويقُول أَحدُهم: إني أُحسِنُ الظنَّ بربي؛ وكذبَ، لو أَحسَن الظنَّ لأَحسَن العملَ، وتلا قولَه تَعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٣](٢).

وقال سعيد بن جبير(٣): الغرة بالله: أن يتمادى الرجل بالمعصية، ويتمنى على الله المغفرة(٤).

---

(١) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، من بحور العلم، مليح التذكير، بليغ الموعظة، رأس في أنواع الخير، توفي سنة ١١٠هـ؛ تذكرة الحفاظ ١/ ٧١ ـ ٧٢.

(٢) انظر: تفسير الحسن البصري ٢/ ٢٦٧.

(٣) سعيد بن جُبير بن هشام، الإمام، الحافظ، المفسر، أبو محمد الأسدي، الوالبي مولاهم، أحد الأعلام، توفي سنة ٩٥هـ. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢١ ـ ٣٤١.

(٤) قال ابن القيم في الفرق بين حسن الظن بالله تعالى والغرور: إن حسن الظن إن حمل على العمل وحثّ عليه وساق إليه فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة =

وقال بقية بن الوليد[(١)]: كتب أبو عمير الصوري إلى بعض إخوانه: أما بعد، فإنك قد أصبحت تؤمل الدنيا بطول عمرك، وتتمنى على الله الأماني بسوء فعلك، وإنما تضرب حديداً بارداً، والسلام.

بَابُ
ما يُذَكِّرُ الموتَ والآخِرةَ ويُزَهِّدُ في الدنيا

مسلم[(٢)] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: زارَ النبي ﷺ قَبْرَ أُمِّه فَبَكَى وأَبْكَى مَن حَوْلَه، فقال: «استَأذَنْتُ ربِّي في أن أستغفرَ لها فلم يُؤذنْ لي، واسْتَأذنتُ في أَن أَزُورَ قبْرَها فَأذن لِي، فزُورُوا القُبورَ فَإنَّها تُذكِر الموتَ».

فَصْلٌ

زِيارةُ القبور للرجالِ متّفَقٌ عليه[(٣)] عِند العلماءِ، مُخْتَلفٌ فِيه للنِّساءِ، أمّا الشّوابُ فحرامٌ عليهنّ الخرُوجُ، وأما القَواعِد فمُباحٌ لهنَّ ذلِكَ، وجائزٌ لجَمِيعِهِنَّ ذلك إذا انفرَدْنَ بالخرُوج عن الرجال[(٤)]، ولا يختلفُ في هذا إن شَاء اللهُ تعالى[(٥)].

= والانهماك في المعاصي فهو غرور، وحسن الظن هو الرجاء فمن كان رجاؤه هادياً له إلى الطاعة وزاجراً له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاء ورجاؤه بطالة وتفريطاً فهو المغرور. الجواب الكافي ص(٤٠).

(١) بقية بن الوليد، أبو يحمد، الكلاعي، الحميري، الحمصي، محدِّث الشام، توفي سنة ٩٧هـ. تذكرة الحفاظ ١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٢) في صحيحه ٢/ ٦٧١ ح٩٧٦.

(٣) هكذا في جميع النسخ، ولعل الضمير يرجع إلى محذوف تقديره: أمرٌ.

(٤) ذكر أبو محمد في العاقبة ص(٢١٢ ـ ٢١٣) كلاماً قريباً من هذا، فربما تصرف فيه المصنف.

(٥) بل الخلاف في زيارة النساء للقبور، مشهور ومبسوط في كتب أهل العلم. =

وعلى هذا المعنَى يكونُ قوله ﷺ: «زورُوا القُبور» عامّاً، وأما موضعٌ أو وقْتٌ يُخشَى فيه الفتنة مِن اجتِماع الرجال وَالنِّساء فلا يحِل ولا يجوز، فبيْنا الرجلُ يخرُج ليعتَبِرَ فيقَع بصرُه على امرأةٍ فَيَفْتَتِنَ، وبالعكسِ، فيرجع كل واحدٍ من الرجال والنِّساء مأزُوراً غيْرَ مأجور، وهذا واضح، والله أعلم.

ورُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خرج إلى المقبرة، فلمّا أشرف عليها قال: يا أهل القبور أخبرونا عنكم، أو نخبركم، أمَّا خبر منْ قِبَلِنَا: فالمال قد اقتسم، والنساء قد تزوَّجن، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو استطاعوا لقالوا: لم نر زاداً خيراً من التقوى[1].

= انظر: التمهيد لابن عبد البر ٣/ ٢٣٢ ـ ٢٣٥؛ والمجموع شرح المهذب للنووي ٥/ ٣١١؛ والمغني لابن قدامة ٢/ ٤٣٠؛ ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٤/ ٣٤٣ ـ ٣٥٩؛ وجزءٍ في زيارة النساء للقبور، لبكر بن عبد الله أبو زيد.

والخلاف بين أهل العلم في هذه المسألة يدور بين التحريم والكراهة والإباحة، ولم أقف على من قال باستحباب زيارة النساء للقبور، فغاية ما قالوه الإباحة والجواز بشروط وضوابط في الخروج، وحدُّ المباح هو (ما أذن الله في فعله وتركه غير مقترن بذم فاعله وتاركه ولا مدحه وهو من الشرع). روضة الناظر لابن قدامة ١/ ١١٦.

فالإباحة في الزيارة لا بُدّ فيها من إذن الشارع وهو أمر متنازع فيه، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الزائرة لا تثاب على زيارتها ولا تمدح بفعلها، فلم يبق لها إلا فائدة الانتفاع الشخصية من تذكر الموت والآخرة، وهي مصلحة خاصة محاطة بالفتن ومحاذير الجزع وقلة الصبر والنياحة على الموتى، بل محاطة بالشرك من دعاء الموتى والاستغاثة بهم، فإذا علم هذا فإن المتقرر في قواعد الشريعة الإسلامية أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فتمنع النساء من زيارة القبور سدّاً لتلك الذرائع، والله تعالى أعلم.

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٢/ ١٦٤؛ وأبو محمد عبد الحق في العاقبة ص(١٩٦).

ولقد أحسن أبو العتاهية[١] حيث يقول:

يا عجباً للناسِ لو فكروا — وحاسَبُوا أنفسَهم أبصَروا
وعَبَروا الدّنْيا إلى غيرِها — فإنما الدّنْيا لهمْ مَعْبَرُ
لا فخرَ إلا فخر أهلِ التُّقَى — غداً إذا ضمّهُمُ المحشرُ
ليَعْلَمَنَّ الناسُ أنّ التُّقى — والبرَّ كانا خير ما يُدخَرُ
عجبتُ للإنسانِ[٢] في فخْرِه — وهو غداً في قبرِهِ[٣] يُقبرُ
ما بالُ مَنْ أوّلُه نُطفةٌ — وجيفةٌ آخرِه يفخرُ
أصبحَ لا يملكُ تقديم — ما يرجو ولا تأخيرَ ما يحذرُ
وأصبحَ الأمرُ إلى غيرِه — في كلِّ ما يُقْضَى وما يقدرُ[٤]

فَصْلٌ

قال العلماءُ[٥] رحمة الله عليهم: ليس للقلوبِ أنفعُ من زيارةِ القبورِ، وخاصّة إن كانت قاسيةً، فعلى أصحابِها أن يُعالجوها بأربعةِ أُمورٍ:

أحدها: الإقلاعُ عما هي عليه، بحضورِ مجالسِ العلمِ بالوعظِ، والتذكيرِ، والتخويفِ، والترغيبِ، وأخبارِ الصالحينَ؛ فإن ذلك ممَّا يليِّن القلوبَ، وينجعُ فيها.

---

(١) إسماعيل بن قاسم بن سويد العَنَزي مولاهم الكوفي، أبو إسحاق، رأس الشعراء، سار شعره لجودته، وحسنه، وعدم تقعره، توفي سنة ٢١١هـ، وقيل: ٢١٣هـ. وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٢١٩؛ سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٩٥ ـ ١٩٧.

(٢) في ديوان أبي العتاهية: (ما أحمقَ الإنسانَ).

(٣) في الديوان: (في حفرةٍ).

(٤) ديوان أبي العتاهية ص(١٧٨)، وقد حذف المصنف بعض الأبيات.

(٥) لم أقف على القائل.

الثاني: ذكرُ الموتِ، فيكثرُ مِن ذكر هادمِ اللّذات، ومفرّقِ الجماعات، ومُؤْتِمِ البنينَ والبناتِ، كما تقدم[١] في الباب قبلُ.

ويُروى أن امرأةً شكت إلى عائشةَ ﵂ قساوةً في قلبِها، فقالت لها: أكثري ذكرَ الموتِ يرقُّ قلبُكِ، ففعلت ذلك، فرّق قلبُها، فجاءت تشكرُ عائشةَ[٢].

قال العلماءُ[٣]: فذكْرُ الموتِ يردعُ عن المعاصي، ويلينُ القلبَ القاسي، ويذهبُ الفرحَ بالدنيا، ويهوِّن المصائبَ فيها.

الثالث: مشاهدةُ المحتضَرينَ؛ فإنّ في النظرِ إلى الميت، ومشاهدةِ سكراتِهِ، ونزعاتِهِ، وتأملِ صورتِهِ بعد مماته ما يقطعُ عنِ النفوس لذاتِّها، ويطردُ عن القلوبِ مسراتِها، ويمنعُ الأجفانَ من النوم، والأبدانَ من الراحة، ويبعثُ على العمل، ويزيدُ في الاجتهادِ والتعبِ.

ويُروى أنّ الحسنَ البصريَّ دخل على مريضٍ يعوده فوجده في سكراتِ الموتِ، فنظر إلى كربهِ، وشدّةِ ما نزل بِهِ، فرجعَ إلى أهلِهِ بغير اللّون الذي خرجَ بِهِ من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال: يا أهلاه عليكُم بطعامِكم وشرابِكم، فواللهِ لقد رأيتُ مَصْرعاً لا أزال أعملُ له حتى ألقاه[٤].

---

(١) ص(١٧).

(٢) ذكر هذا الأثر الغزالي في إحياء علوم الدين ٤/ ٤١٢؛ وأبو محمد في العاقبة ص(٤١)؛ وذكره ابن رجب الحنبلي في رسالته ذم قسوة القلوب ص(٢٧ - ٢٨).

(٣) القائل هو: أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(٤٠).

(٤) ذكره الإمام أحمد في كتابه الزهد ص(٣٨٢)؛ وابن الجوزي في كتابه الحدائق في علم الحديث والزهديات ٣/ ٤٣٥؛ وأبو محمد عبد الحق في العاقبة ص(٤٢).

فهذه ثلاثةُ أمورٍ ينبغي لمن قسا قلبُه، ولزمَه ذنبُهُ أن يستعينَ بها على دواء دائِهِ، ويستصرخَ بها على فتنِ الشيطانِ وإغوائهِ، فإن انتفع بها فذاك، وإن عظُم عليه رانُ القلب، واستحكْمت فيه دواعي الريب، فزيارةُ قبورِ الموتى تبلغُ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول، والثاني، والثالث، فالأول: سماعٌ بالأذن، والثاني: إخبارٌ للقلب بما إليه المصيرُ، وقائمٌ له مقامَ التخويفِ، والتحذيرِ في مشاهدةِ من احتُضِر، وزيارةِ قبر مَن مات مِن المسلمينَ معاينةً؛ فلذلك كانا أبلغَ من الأول والثاني، قال ﷺ: «ليس الخبرُ كالمعاينةِ»[1] رواه ابنُ عباس رضي الله عنه، لم يروه أحدٌ غيره.

إلّا أنّ الاعتبارَ بحال المحتضَرين غيرُ ممكن في كل الأوقات، وقد لا يتفق لمن أراد علاجَ قلبه في ساعةٍ من الساعات، وأما زيارةُ القبور؛ فوجودُها أسرعُ، والانتفاعُ بها أليقُ وأجدرُ، فيعتبرُ بمن صارَ تحت الترابِ، وانقطعَ عن الأهلِ والأحبابِ، بعد أن قاد الجيوشَ والعساكرَ ونافسَ الأصحابَ، والعشائرَ، وجمعَ الأموالَ، والذخائرَ، فجاءه الموتُ في وقتٍ لم يحتسبْه، وهولٍ لم يرتقبْه، فليتأملِ الزائرُ حالَ من مضى من إخوانِهِ، ودرجَ من أقرانِهِ الذين بلغوا الآمالَ، وجمعوا الأموالَ، كيف انقطعتْ آمالهم، ولم تُغنِ عنهم أموالُهم، ومحا الترابُ محاسنَ وجوهِهِم، وافترقتْ في القبور أجزاؤهم، وترمّل بعدهم نساؤهم، وشمل ذلُّ اليتم أولادَهم، واقتسم غيرُهم طريقَهم وبلادَهم، وليتذكرْ تردّدَهم في المآرب، وحرصَهم على نيل المطالبِ، وانخداعَهم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢١٥ ح١٨٤٢؛ والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٥١ ح٣٢٥٠ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه؛ وابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان ١٤/ ٩٦ ح٦٢١٣، كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير ٥/ ٨٧ ح٥٢٥٠.

لمؤاتاة الأسبابِ، وركونَهم إلى الصحةِ، والشبابِ، وليعلمْ أنّ ميلَه إلى اللهو واللعب كميلِهم، وغفلتَه عمّا بين يديه من الموتِ الفظيعِ والهلاكِ السريعِ كغفلتِهم، وأنّه لا بدّ صائرٌ إلى مصيرهم، وليحضرْ بقلبه ذكرَ من كان متردداً في أغراضه، وكيف تهدمت رجلاه، وكان يتلذذُ بالنظرِ إلى ما خُوّل، وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغةِ نطقِهِ، وقد أكلَ الدُّودُ لسانَه، ويضحك لمؤاتاة دهره، وقد أبلى الترابُ أسنانَه، وليتحققْ أنّ حالَه كحالِهِ، ومآلَه كمآله، وعند هذا التذكرِ والاعتبارِ، تزولُ عنه جميعُ الأغيارِ الدّنيويّةِ، ويقبلُ على الأعمالِ الأخرويّةِ، فيزهدُ في دنياه، ويُقبلُ على طاعةِ مولاه، ويلينُ قلبُه، وتخشعُ جوارحُهُ، والله أعلم.

بَابٌ مِنهُ

وما يقال عند دخول المقابر وجواز البكاء عندها

أبو داود[(١)] عن بُرَيدَة بنِ الحُصَيْبِ قال: قال رسول الله ﷺ: «نهيتُكُمْ عنْ زيارةِ القُبورِ فزوروها، فإنَّ في زيارتِها تَذْكِرةً».

وذكرَ النسائي[(٢)] عن بريدة أيضاً عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أرادَ أنْ يَزورَ قَبْراً فلْيَزُرْه[(٣)]، ولا تقُولُوا هُجْراً»، بمعنى سوءًا.

---

(١) في سننه ٣/٢١٨ ح٣٢٣٥، و٣/ ٣٣٢ ح٣٦٩٨؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٩٢ ح١٨٩٩٦. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود للألباني ٢/ ٧٠٥.

(٢) في المجتبى من السنن له ٤/ ٨٩ ح٢٠٣٣؛ وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣٦١ ح٢٣١٠٢ من حديث بريدة أيضاً؛ والطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٢٥٣ ح١١٦٥٣ من حديث ابن عباس؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٧٧ ح٦٩٩٠؛ والحاكم في المستدرك ١/ ٥٣٢ ح١٣٩٣ كلاهما من حديث أنس بن مالك. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن النسائي ٢/ ٤٣٦ ح١٩٢٢.

(٣) وفي سنن النسائي: فليزر.

وذكرَ أبو عُمرَ[١] من حديثِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «ما مِن رجلٍ يمر بقبرِ أخِيهِ المؤمنِ كان يَعرِفُهُ فسلَّمَ عليهِ إلا ردَّ عليه السلامَ».

مسلمٌ[٢] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! كيفَ أقولُ؟ قال: «قُولِي: السلامُ على أهلِ الدِّيارِ مِن المؤمنينَ والمسلمينَ، ويرحمُ اللهُ المُستقْدِمينَ منا والمُستأخِرينَ، وإنّا إن شاءَ اللهُ بكم لاحِقُون»[٣]. خرَّجه مسلم[٤] من حديث بُرَيدةَ أيضاً، وزاد: «أسألُ اللهَ لنا ولكم العافيةَ».

وفي الصَّحيحين[٥]: أنّه عليه السلام مرَّ بامرأةٍ تبكي عندَ قبرٍ لها، فقالَ لها: «اتّقي اللهَ واصْبري...» الحديث.

فَصْلٌ

قد أُبيحَ لكَ أن تبكيَ عند قبرِ ميِّتك حُزْناً عليه، أو رحمةً له مما بينَ يدِيهِ، كما أُبيحَ لكَ البكاء عندَ موتِهِ.

والبكاءُ عندَ العربِ يكونُ البُكاءُ المعروفُ، وتكونُ النياحةُ، وقد

---

(١) في الاستذكار في كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء ٢/ ١٦٥ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه زيادة: (إلا عرفه). قال الحافظ العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في القبور، وفيه عبد الله بن سمعان ولم أقف على حاله، ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه، وصحّحه عبد الحق الأشبيلي. انظر: المغني للحافظ العراقي ٢/ ١٢٢٩.

(٢) في صحيحه ٢/ ٦٦٩ ح٩٧٤.

(٣) في صحيح مسلم: للاحقون.

(٤) في صحيحه ٢/ ٦٧١ ح٩٧٥.

(٥) البخاري ١/ ٤٢٢ ح١١٩٤؛ ومسلم ٢/ ٦٣٧ ح٩٢٦، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

يكونُ معها الصياحُ، وضربُ الخدود، وشقُّ الجيوبِ، وهذا محرمٌ بإجماعِ العلماءِ، وهو الذي وردَ فيه الوعيدُ مِن قولِهِ ﷺ: «أنا بريءٌ ممَّن حَلَقَ[1]، وسَلَقَ[2]، وخَرَقَ»[3] خرَّجه مسلم[4].

وأمَّا البُكاءُ مِن غيرِ نياحةٍ، فقد وردَ فيه الإباحةُ عندَ القبرِ، وعندَ الموتِ، وهو بكاءُ الرأفةِ والرحمةِ التي لا يكادُ يخلو منها إنسانٌ، وقد بكى النبيُّ ﷺ لمّا مات ابنُهُ إبراهيمُ[5].

وقال عمرُ: دعهنَّ يبكين على أبي سليمان[6] ما لم يكن نقْعٌ، أو لَقْلَقَةٌ[7].

النَّقْعُ: ارتفاعُ الصوتِ.

واللَّقْلَقَةُ[8]: تتابعُ ذلك، وقيلَ: النَّقْعُ: وضعُ التُّرابِ على الرأسِ[9]، والله أعلم.

---

(١) أي: حلق رأسه عند المصيبة إذا حلت به. النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٢٧.

(٢) سلق: أي: رفع صوته عند المصيبة. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٩١.

(٣) أي: مزّق ثوبه عند المصيبة.

(٤) في صحيحه ١/ ١٠٠ ح١٠٤.

(٥) إشارة إلى الحديث الذي فيه قول النبي ﷺ: «وإنا بك لمحزونون». أخرجه البخاري ١/ ٤٣٩ ح١٢٤١؛ ومسلم ٤/ ١٨٠٧ ح٢٣١٥.

(٦) أبو سليمان هو: خالد بن الوليد رضي الله عنه.

(٧) أورد البخاري هذا الأثر في باب ما يكره من النياحة على الميت من كتاب الجنائز ٣/ ١٦٠.

(٨) قال ابن الأثير: أراد الصياح والجلبة عند الموت. النهاية لابن الأثير ٤/ ٢٦٥.

(٩) قال ابن الأثير: وهو أولى، لأنه قُرن باللقلقة وهو الصوت، فحمل اللفظين على معنيين أولى من حملهما على معنى واحد. النهاية لابن الأثير ٥/ ١٠٩.

بَابُ

المؤمن يموت بعرق الجبين

ابن ماجه[١] عن بُرَيْدَةَ أَن النبي ﷺ قال: «المؤمِنُ يَمُوتُ بعَرَقِ الجبِينِ». خرَّجه الترمذي[٢]، وقال فيه: حديث حسن.

وقال بعضُ العلماء[٣]: إنما يعرَقُ جَبينُه حَيَاءً من ربه لما اقترف مِن مُخالَفَتِه؛ لأن مَا سَفُل منه قد ماتَ، وإنّما بقيتْ قُوى الحياةِ وَحَركَاتُها فِيما عَلا، والحياءُ في العينينِ فذاكَ وقْتُ الحياء، والكافِرُ في عَمًى عَنْ هذا كلِّه، والمُوَحِّدُ المعذَّبُ في شُغْلٍ عَن هذا بالعذابِ الذي قد حلّ به، وَإنّما العرَق الذي يظهرُ لمن حَلّتْ بِه الرحمةُ فإنّه ليسَ مِن ولِيٍّ ولا صِدِّيقٍ ولا بَرٍّ إلا وهوَ مُسْتَحي من ربه مع البُشرى وَالتُّحَفِ والكرامات.

وفي حديثِ ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «مَوْتُ المؤمِنِ عرقَ الجبينِ تبقى عليه البقيةُ مِن الذنوبِ فيجازفُ بها عندَ الموتِ»[٤]، أي: يشدد ليُمحصَ عنه ذنوبُهُ.

---

(١) في سننه ١/ ٤٦٧ ح١٤٥٢؛ وأخرجه النسائي في المجتبى من السنن ٤/ ٥ ح١٨٢٨؛ وابن حبان في صحيحه ٧/ ٢٨١ ح٣٠١١. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٢٤٥ ح١١٨٨.

(٢) جامع الترمذي ٣/ ٣١٠ ح٩٨٢.

(٣) القائل هو: الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في الأصل الخامس والثمانين ١/ ٤١٤، والذي يظهر بعد المقارنة أن المصنف قد تصرف بعض الشيء في عبارة الترمذي.

(٤) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في الأصل الخامس والثمانين ١/ ٤١٣ باختلاف في الألفاظ؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ١٤٠. قال الهيثمي: رجاله ثقات ورجال الصحيح ٢/ ٣٢٥؛ وصحّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/ ١١٣١، وذكر ضمن الشواهد على علامة حسن الخاتمة: =

بَابٌ مِنهُ

وفي خروج نفس المؤمن والكافر

خرّج أبو نعيم[(١)] من حديث الأعمش[(٢)] عن إبراهيم[(٣)] عن علقمة[(٤)] عن عبد الله[(٥)] قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنّ نَفْسَ المؤمِنِ تخرجُ رَشْحاً[(٦)]، وإنّ نَفْسَ الكافِرِ تُسل كما تُسل نفسُ الحِمار، وأنّ المؤمنَ ليعملُ الخطيئةَ فيشدد عليه عند الموتِ ليكفرَ بها عنه، وأنّ الكافرَ ليعملُ الحسنةَ فيُسهل عليهِ عندَ الموْت ليُجْزَى بها».

بَابٌ

ما جاء أن للموت سكرات

وصف الله ﷻ شدةَ الموتِ في أربعِ آيات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [ق: ١٩].

= الموت برشح الجبين. انظر: أحكام الجنائز وبدعها للألباني ص(٣٥).

(١) في الحلية ٥/ ٥٩؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن عبد الله بن مسعود أيضاً ١٠/ ٧٩ ح١٠٠١٥؛ والترمذي باختلاف يسير ٣/ ٣٠٩ ح٩٨٠، وحسّنه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة ٥/ ١٨٤ ح٢١٥١.

(٢) سليمان بن مهران الأعمش، ثقة حافظ عارف بالقراءة لكنه يُدلس، مات سنة ١٤٧هـ. التقريب ص(٤١٤) رقم ٢٦٣٠.

(٣) إبراهيم بن يزيد بن قيس، النخعي اليماني ثم الكوفي، فقيه العراق، وأحد الأعلام، توفي سنة ٩٦هـ. سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢٠.

(٤) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، فقيه الكوفة، خال إبراهيم النخعي، كان طلبته يسألونه ويتفقهون به والصحابة متوافرون، توفي سنة ٦١هـ. السير ٤/ ٥٣.

(٥) ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) رشح رشْحاً: عَرِقَ. الصحاح ١/ ٣٦٥.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

الثالثة: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ [الواقعة: ٨٣].

الرابعة: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾﴾ [القيامة: ٢٦].

البخاري(١) عن عائشة رضي الله عنها أن رسُول الله ﷺ كان بين يديْه رُكْوةٌ، أو عُلْبَةٌ فيها ماءٌ فجعَل يُدْخِل يده في المَاءِ فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إلٰه إلا الله إن للموت سكرات»، ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده.

وخرّج الترمذي(٢) عنها قالت: ما أغبط أحداً بهون موتٍ بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ.

وفي **البخاري**(٣) عنها قالت: مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتي، وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ.

الحاقنة(٤): المطمئن بين الترقوة والحلق.

والذاقنة: نقرة الذقن(٥).

وقال الخطابي(٦): الذاقنة ما يناله الذقنُ من الصدر.

---

(١) في صحيحه ٥/ ٢٣٨٧ ح٦١٤٥، و٤/ ١٦١٦ ح٤١٨٤ باختلاف يسير.

(٢) في جامعه ٣/ ٣٠٩ ح٩٧٩. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الترمذي ١/ ٢٨٨ - ٢٨٩ ح٧٨٣.

(٣) في صحيحه ٤/ ١٦١٥ ح٤١٨١، و٤/ ١٦١٣ ح٤١٧٤.

(٤) في النهاية لابن الأثير: هي الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الحلق ١/ ٤١٦.

(٥) في النهاية لابن الأثير الذاقنة: الذقن، وقيل: طرف الحلقوم، وقيل: ما يناله الذقن من الصدر ٢/ ١٦٢.

(٦) الإمام العلامة الحافظ اللغوي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي، صاحب التصانيف منها: شرح لكتاب أبي داود، وغريب الحديث، =

قال شهرُ: ولما حضرَ عمرو بنَ العاصِ الوفاةُ قال ابنُهُ: يا أبتاه إنّك لتقول لنا: ليتني كنت ألقى رجلاً عاقلاً لبيباً عند نُزولِ الموتِ حتى يصفَ لي ما يجدُ، وأنت ذلك الرجلُ فصفْ لي الموتَ؟ فقال: بني والله كأنّ جنبي في تخت، وكأني أتنفسُ من سمِّ إبرةٍ، وكأنّ غصنَ شوكٍ يجذبُ من قدمي إلى هامتي، ثم أنشأ يقول[1]:

ليتني كنتُ قبلَ ما قَدْ بَدا لي ... في تلالِ الجِبَالِ أرْعَى الوُعُولا

وعن أبي ميسرةَ[2] رفعَه قال: «لو أنّ ألَم شَعْرةٍ مِن الميتِ وُضِعَ على أهْلِ السماء والأرْضِ لماتوا جميعاً»[3].

وأنشدوا:

أذْكُرُ المَوْتَ ولا أرْهَبُهُ ... إنّ قلبي لغليظٌ كالحجرِ
أطلبُ الدُّنيا كأني خَالدٌ ... وورائي الموتُ يَقْفُو بالأثرِ
وكفى بالموتِ فاعلمْ وَاعِظَاً ... لمنِ المَوْتُ عليه قد قُدِر
والمنايا حولَهُ تَرْصُدُهُ ... ليس يُنجِي المرءَ منهنّ المفر

وقال آخر:

= شرح الأسماء الحسنى، الغنية عن الكلام وأهله، توفي سنة ٣٨٨هـ. سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣ ـ ٢٧، ولم أجد القول في غريب الحديث للخطابي، ولا في معالم السنن له.

(١) هذه الرواية في العاقبة لأبي محمد ص(١١٣) مع اختلاف في السياق.

(٢) عمرو بن شُرَحْبيل، أبو ميسرة الهمداني الكوفي، حدّث عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم، مات في ولاية عبيد الله بن زياد. السير ٤/ ١٣٥.

(٣) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية أبي ميسرة رفعه، وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل، والحديث مرسل حسن الإسناد. انظر: المغني ٢/ ١٢١٠ ح رقم ٤٣٨٤؛ وذكره المحاسبي في الرعاية لحقوق الله ص(١٤٠).

بينا الفَتى مَرِحُ الخُطَا فرح بما يسعى له إذْ قِيلَ قد مَرِضَ الفتى
إذ قِيلَ باتَ بليلةٍ مَا نَامَها إذْ قِيلَ أصْبَحَ مُثْخناً ما يُرتجى
إذْ قِيلَ أصْبحَ شَاخِصاً ومُوجَّهاً ومُعَلّلاً إذْ قِيلَ أصْبَحَ قد قَضَى

فَصْلٌ

أيُّها النّاسُ، قد آن للنائمِ أنْ يستيقظَ مِن نومِهِ، وحَانَ للغافِلِ أن ينتبهَ من غفلتِهِ قبلَ هجومِ الموتِ بمرارةِ كؤوسِهِ، وقبلَ سُكونِ حركاتِهِ، وخمودِ أنفاسِهِ، ورحلتِهِ إلى قبره ومقامِهِ بينَ أرْماسِهِ(١).

فمثّل لنفسِك يا مغرورُ وقد حلّت بك السكراتُ، ونزل بك الأنينُ والغمراتُ، فمن قائل يقول: إنّ فلاناً قد أوصى، وماله قد أحصى، ومن قائل يقول: إن فلاناً ثَقُل لسانُه فلا يعرف جيرانه ولا يكلم إخوانه، وكأني أنظرُ إليك تسمع الخطابَ ولا تقدر على ردّ الجواب ثم تبكي ابنتُكَ كالأسيرةِ، وتتضرع وتقول: حبيبي أبي، من ليُتمي بعدك؟ وأنت واللهِ تسمع الكلامَ ولا تقدرُ على رد الجواب.

وأنشدوا:

فأقْبلتِ الصُّغرَى تُمرِّغُ خدَّها على وجْنتِي حِيناً وحِيناً على صَدْرِ
وتخمشُ خَدّيها وتَبْكِي بحُرْقَةٍ تُنَادِي: أبي إني غُلِبتُ عَنِ الصبرِ
حبيبي أبي مَن لليتَامى تركتَهم كأفْرَاخِ زُغْبٍ في بُعيدٍ مِن الوَكْرِ

فخيّل لنفسك يا ابنَ آدمَ إذا أُخِذتَ من فراشِكَ إلى لوحِ مُغْتسَلك فغسلك الغاسِل، وأُلبستَ الأكفانَ وأوحشَ منك الأهلُ والجيرانُ، وبكت عليك الأصحابُ والإخوانُ، وقال الغاسلُ: أين زوجته تحالله، وأين اليتامى تركتم أباكم فما ترونه من بعد هذا اليوم أبداً.

---

(١) الرَّمْس: تراب القبر. الصحاح ٣/٩٣٦.

وأنشدوا[١]:

ألا أيُّها المغْرُورُ ما لَكَ تلعَبُ ... تُؤمِلُ آمالاً وموتُكَ أقْرَبُ
وتعلمُ أنّ الحِرْصَ بحرٌ مُبْعِدٌ ... سفينتُهُ الدُّنيا فإيّاك تَغْطبُ
وتعلمُ أنّ الموْتَ ينقضُ مُسْرِعاً ... عليك يقيناً طعمُهُ ليسَ يعْذُبُ
كأنَّك تُوصي واليتامى تراهم ... وأمُّهم الثَّكْلَى تنوحُ وتَنْدُبُ
تَغَصُّ بحُزْنٍ ثُم تلطمُ وجهَهَا ... يراها رجالٌ بعدَما هيَ تَحجبُ
وأقبلَ بالأكْفانِ نحوكَ قاصدٌ ... وحثّ عليك التربَ والعينُ تسكبُ

فَصْلٌ

قول عائشة رضي الله عنها: (كانت بين يديه ركوةٌ أو علبةٌ).

العلبة: قدحٌ من خشبٍ ضخمٍ يحلب فيه، قاله ابنُ فارسٍ[٢] في المُجْمل[٣].

وقال الجوهري في الصحاح[٤]: العلبة مِحْلَبٌ من جلدٍ، والجمع: عُلَبٌ وعِلابٌ، والمُعَلِّبُ الذي يتخذها.

قال الكميْتُ[٥] يصف خيلاً:

سَقَيْنا دِماءَ القومِ طوراً وتارةً ... صَبُوحاً لهُ أقْتار الجلُود المُعَلِّبُ[٦]

---

(١) لم أقف على القائل.
(٢) الإمام اللغوي المحدِّث أبو الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا، صاحب كتاب المجمل ومعجم مقاييس اللغة، توفي سنة ٣٩٥هـ. سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠٣.
(٣) ٣/ ٦٢٥.
(٤) ١/ ١٨٩.
(٥) الكميت بن زيد الأسدي الكوفي، مقدم شعراء وقته، توفي سنة ١٢٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨٨.
(٦) أورده الجوهري في الصحاح تحت كلمة علب ١/ ١٨٩.

وقيل: أسفله جلد، وأعلاه خشب مدوّر مثل إطار الغربال، وهو الدائر به.

وقيل: هو عُسٌّ يحلب فيه، والعُس: القدحُ الضخم.

وقال اللغويُّ أبو هلال الحسن بنُ عبدِ الله بنِ سهْل العسْكري[١] في كتابِ التلخيصِ[٢] له: والعُلْبةُ قَدَحٌ للأعرابِ مثل: العُسِّ والعُسُّ يُتخذُ من جنبِ جِلد البعيرِ، والجمْعُ عِلابٌ.

وقوله: «إن للموتِ سَكراتٌ»، أي: شدائد، وسكْرةُ الموتِ شدّتُه.

فَصْلٌ

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، والأولياء المتقين، فما لنا عن ذكره مشغولين، وعن الاستعداد له متخلفين، بل ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [ص: ٦٧ ـ ٦٨]، قالوا: وما جرى على الأنبياء صلوات الله عليهم من شدائد الموت وعَلَزَاتِه[٣] له فائدتانِ:

إحداهما: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة، ولا قلقاً، ويرى سهولة

---

(١) الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران، أبو هلال اللغوي العسكري، له كتاب صناعتي النظم والنثر، وجمهرة الأمثال، وكتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء وغير ذلك، توفي سنة ٣٩٥هـ. انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ٨/ ٢٥٨؛ هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل البغدادي ١/ ٢٧٣.

(٢) كتاب التلخيص ١/ ٣٠٤.

(٣) العَلز: الكرب عند الموت. لسان العرب ٥/ ٣٨٠.

خروج روحه فيغلب على ظنه سهولة أمر الموت، ولا يعرف ما الميت فيه، فلما ذكر الأنبياءُ الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله تعالى قطع الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه ما خلا الشهيد قتيل الكفار.

الثانية: ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء أحباب الله وأنبياؤه ورسله، فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة وهو سبحانه قادر أن يخفف عنهم؟

فالجواب: «أن أشد الناس بلاء في الدنيا الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل»، كما قال نبينا ﷺ. خرّجه البخاري[(١)]، وغيره[(٢)]. فأحبَّ اللهُ سبحانه أن يبتليهم تكميلاً لفضائلهم لديه ورفعةً لدرجاتهم عنده، وليس ذلك في حقهم نقصاً ولا عذاباً، بل هو كمال رفعة مع رضاهم بجميل ما يجريه الله عليهم، فأراد الله سبحانه أن يختم لهم بهذه الشدائد مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم ليرفع منازلهم، ويعظم أجورهم قبل موتهم، ولا يُفْهَم من هذا أن الله شدّد عليهم أكثرَ ممّا شَدّدَ على العُصاة المخلِّطِين أن ذلك عقوبة ومؤاخذة لهم على إجرامهم فلا نسبة بينه وبين هذا.

---

(١) لم يخرّج البخاري هذا الحديث بنصه، وإنما جعله عنوان باب فقال: باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول ٥/٢١٣٩. قال ابن حجر: قوله: «الأول فالأول» للنسفي، و«الأمثل فالأمثل» للأكثر، وجمعهما: المستملي. فتح الباري ١٠/١١١ (بتصرف يسير).

(٢) أخرجه الترمذي ٤/٦٠١ ح٢٣٨٩؛ وابن ماجه ٢/١٣٣٤ ح٤٠٢٣؛ وأحمد ١/١٧٢ ح١٤٨١؛ وابن حبان في صحيحه ٧/١٦٠ ح٢٩٠٠؛ والطيالسي ص(٢٩) ح٢١٥، كلهم من طريق عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد. قال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/٣٧١ ح٣٢٤٩.

فَصْلٌ

إذا ثبت ما ذكرناه فاعلم أن الموت هو الخطب الأفظع، والأمر الأشنع، والكأس التي طعمها أكره وأبشع وأنه الحادث الأهدم للّذات، والأقطع للراحات، والأجلب للكريهات، وأن أمراً يقطع أوصالك ويفرق أعضاءك، ويفت أعضاءك، ويهدّ أركانك، لهو الأمر العظيم، والخطب الجسيم، وإن يومه لهو اليوم العقيم[١].

يحكى[٢] عن الرشيد[٣] لما اشتد مرضه أحضر طبيباً طوسياً فارسياً وأمر أن يعرض عليه ماؤه مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء، فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد فقال: قولوا لصاحب هذا الماء يوصي فإنه قد انحلت قواه، وتداعت بنيته، ولما استعرض باقي المياه أقيم فذهب فيئس الرشيد من نفسه، وأنشد:

إن الطبيب بطبه ودوائه ... لا يستطيع دفاع نحب قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء ... قد كان أبرأ مثله فيما مضى

وبلغه أن الناس أرجفوا بموته، فاستدعى حماراً وأمر فَحُمِلَ عليه فاسترخت فخذاه فقال: أنزلوني، صدق المرجفون، ودعا بأكفان فتخيَّر منها ما أعجبه، وأمر فشق له قبر أمام فراشه، ثم اطَّلع فيه فقال: ما

---

(١) هذا نص كلام أبي محمد عبد الحق، ويبدأ من قوله: الموت هو الخطب. انظر: العاقبة ص(٣٦).

(٢) هذه الحكاية ذكرها ابن الجوزي في كتابه المنتظم ٩/ ٢١٣؛ وأبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(١٣٠) مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٣) أبو جعفر هارون الرشيد بن المهدي محمد المنصور العباسي الخليفة، كان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي، مات غازياً سنة ١٩٣هـ. تاريخ بغداد ١٤/ ٥؛ سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٨٦.

أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه[١].

فما ظنك رحمك الله بنازل ينزل بك، فيذهب رونقك وبهاءك، ويغيّر منظرك ورُوَاءك[٢]، ويمحو صورتك وجمالك، ويمنع من اجتماعك واتصالك، ويردك بعد النعمة والنضرة والسطوة والقدرة والنخوة والعزة إلى حالة يبادر فيها أحبّ الناس إليك، وأرحمهم بك، وأعطفهم عليك، فيقذفك في حفرة من الأرض قريبة أنحاؤها، مظلمة أرجاؤها، محكم عليك حجرها وصَيْدَانُها[٣]، فتحكم فيك هوامها وديدانها، ثم بعد ذلك تمكن منك الإعدام، وتختلط بالرِّغَام[٤]، وتصير تراباً تطؤه الأقدام، وربما ضُرِب منك إناء فخّار، وأحكم بك بناء جدار، أو طلي بك محبس[٥] ماء، أو موقدة نار[٦].

قلت: والحكايات في هذا المعنى كثيرة والوجود شاهد بتجديد ما دُثر وتغيير ما غُيّر وعن ذلك يكون الحفر والإخراج، واتخاذ الأواني وبناء الأبراج، ولقد كنت في زمن الشباب أنا وغيري ننقل التراب على الدواب من مقبرة عندنا تُسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة، وقد اختلط بعظام مَن هناك ولحومهم وشعورهم وأبشارهم إلى الذين يصنعون القَرْمَد[٧]

(١) ذكر هذا البلاغ أبو محمد في كتابه العاقبة ص(١٣٠).
(٢) الرُّوَاءُ بالضم: حسن المنظر. الصحاح للجوهري ٦/ ٢٣٤٩.
(٣) الصَّيْدَانُ: بِرَامُ الحجارة، وبِرَامُ جمع بُرْمة وهي: القدر مطلقاً. انظر: الصحاح ٢/ ٥٠٠؛ ولسان العرب ١٢/ ٤٥.
(٤) الرِّغَام: التراب. الصحاح ٥/ ١٩٣٥.
(٥) وفي الصحاح ٣/ ٩١٥: الحِبْسُ: خشب أو حجارة تبنى في مجرى الماء فتحبس الماء، فيشرب منه القوم.
(٦) هذا نص كلام أبي محمد عبد الحق، ويبدأ من قوله: فما ظنك رحمك الله بنازل.... انظر: العاقبة ص(٣٦).
(٧) القَرْمَد: ضرب من الحجارة يوقد عليها، فإذا نضج طُلِي به. الصحاح ٢/ ٥٢٤.

للسُّقُف[١].

قال علماؤنا[٢]: وهذا التغير إنما يحل بجسدك وينزل ببدنك لا بروحك؛ لأن الروح لها حكم آخر وما مضى منك فغير مضاع، وتفرقه لا يمنع من الاجتماع. قال الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾﴾ [ق: ٤]، وقال: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥١ ـ ٥٢].

بَابٌ

لا يموت أحد إلا وهو يحسن بالله الظن وفي الخوف من الله تعالى

مسلم[٣] عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»، وذكره ابن أبي الدنيا[٤] في كتاب حسن الظن بالله[٥]، وزاد: فإن قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم تبارك وتعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٣][٦].

---

(١) جمع سَقْف. انظر: الصحاح ٤/ ١٣٧٥.

(٢) القائل هو: أبو محمد عبد الحق في العاقبة ص(٣٧).

(٣) ٤/ ٢٢٠٦ ح٢٨٧٧.

(٤) عبد الله بن محمد بن عُبيد بن سفيان بن قيس القرشي مولاهم البغدادي، المُؤدِّب، صاحب التصانيف السائرة منها: القبور، والموت، وقصر الأمل، والمحتضرين، وحسن الظن بالله، والتوبة، وغير ذلك، توفي سنة ٢٨١هـ. السير ١٣/ ٣٩٧؛ والبداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٧١.

(٥) ص(١٩).

(٦) قال العلامة ابن القيم: قال الله تعالى في حق من شك في تعلق سمعه ببعض الجزئيات وهو السر من القول: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾، فهؤلاء لما ظنوا أن الله سبحانه لا يعلم كثيراً مما =

ابن ماجه[١] عن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله يا رسول الله، وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه، وأمنه مما يخاف». ذكره ابن أبي الدنيا[٢] أيضاً، وخرّجه الترمذي[٣] وقال: هذا حديث حسن غريب.

فَصْلٌ

حسن الظن بالله ﷻ ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه برحمته ويتجاوز عنه، ويغفر له، وينبغي لجلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل في قوله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»[٤].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: والله الذي لا إلٰه غيره لا يحسن

= يعملون كان ذلك إساءة لظنهم بربهم، فأرداهم ذلك الظن، وهذا شأن كل من جحد صفات كماله، ونعوت جلاله، وأساء الظن بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، وظن أن ظاهر ذلك ضلال وكفر، وكيف يحسن الظن به من يظن أنه لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى، ولا يرضى ولا يغضب؟! وهل هذا إلا من خدع النفوس، وغرور الأماني؟!. الجواب الكافي ص(٢٣ - ٢٤) بتصرف.

(١) في سننه ٢/ ١٤٢٣ ح٤٢٦١، وحسّنه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٢٠ ح٣٤٣٦.

(٢) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص(٣٣)؛ وكتاب حسن الظن بالله ص(٤١). قال الألباني: حسن. انظر: تحقيق مشكاة المصابيح له ١/ ٥٠٨.

(٣) في جامعه ٣/ ٣١١ ح٩٨٣.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢/ ٤٠١ ح٦٣٣؛ وأحمد في مسنده ٣/ ٤٩١ ح١٦٠٥٩؛ وابن أبي الدنيا في كتابه حسن الظن بالله ص(١٥). قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات. المجمع ٢/ ٣١٨.

أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه، وذلك أن الخير بيده[١].

وذكر **ابن المبارك** قال: أخبرنا سفيان أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن **بالله**، وإذا كان حيّاً فخوّفوه[٢].

وقال الفضيل[٣]: الخوف أفضل من الرجاء ما كان العبد صحيحاً، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف[٤].

وذكر **ابن أبي الدنيا** قال: حدثنا يحيى أبو عبد الله البصري قال: حدثنا سوار بن عبد الله قال: حدثنا المعتمر قال: قال أبي حين حضرته الوفاة: يا معتمر حدثني بالرخص لعلّي ألقى الله وأنا حسن الظن به[٥].

وقال: حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال: حدثنا خلف بن خليفة عن حصين عن إبراهيم قال: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند الموت حتى يحسن ظنه بربه عز وجل[٦].

وقال ثابت البناني[٧]: كان شاب به رَهَق[٨]، فلما نزل به الموت

---

(١) ذكره ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله ص(٩٦).
(٢) الزهد ص(١٤٨ ـ ١٤٩) ح٤٤١.
(٣) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر أبو علي التميمي الخراساني، من أقران سفيان بن عيينة في المولد، اشتهر بالزهد والورع، مات سنة ١٨٧هـ. وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ٤٧؛ سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٢.
(٤) ذكره أبو نعيم في الحلية ١/ ٨٩؛ سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨١.
(٥) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله ص(٤٠)؛ وكتاب المحتضرين له ص(٣٩).
(٦) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص(٤٠).
(٧) ثابت بن أسلم، أبو محمد البُناني البصري، التابعي، الإمام القدوة، تُوفي سنة ١٢٧هـ. السير ٥/ ٢٢٠.
(٨) الرَّهَقُ: السَّفَهُ. القاموس في المحيط ص(١١٤٧).

انكبت عليه أمه وهي تقول: يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا. قال: يا أماه إن لي ربّاً كثير المعروف، وإني لأرجو اليوم أن لا يعدمني بعض معروفه، فقال ثابت: رحمه الله بحسن ظنّه بالله في حاله تلك[١]، وسيأتي[٢] لهذا الباب مزيد بيان في باب سعة رحمة الله تعالى، وعفوه يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

باب

تلقين الميت لا إله إلا الله

مسلم[٣] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله».

وذكر **ابن أبي الدنيا**[٤] عن زيد بن أسلم قال: قال عثمان بن عفان: إذا احتُضِر الميت فلقّنوه لا إله إلا الله، فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (احضروا موتاكم وذكّروهم فإنهم يرون ما لا ترون، ولقنّوهم لا إله إلا الله)[٥].

فصل

قال علماؤنا[٦]: تلقين الموتى هذه الكلمة سنّة مأثورة عمل بها

---

(١) ذكره ابن أبي الدنيا في كتابه حسن الظن بالله ص(٤٤)؛ وأبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(١٤٧).
(٢) ص(٢٣٩).
(٣) في صحيحه ٢/ ٦٣١ ح٩١٦، ٢/ ٦٣١ ح٩١٧.
(٤) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص(٢٠).
(٥) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص(٢٢)؛ وأبو محمد في العاقبة ص(١٤٤).
(٦) القائل هو أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي في كتابه: المفهم لما أشكل من =

المسلمون؛ وذلك ليكون آخر كلامه لا إلٰه إلا الله فيختم له بالسعادة؛ وليدخل في عموم قوله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إلٰه إلا الله دخل الجنة»، خرّجه **أبو داود**[١] عن معاذ بن جبل، وصححه أبو محمد عبد الحق[٢]؛ وليُنبه المحتضِر على ما يدفع به الشيطان فإنه يتعرض للمُحتضَر؛ ليفسد عليه عقيدته على ما يأتي[٣]. فإذا تلقنّها المُحْتَضَر، وقالها مرة واحد فلا تعاد عليه لئلا يضجر، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين، والإلحاح عليه إذا هو تلقنها، أو فُهم ذلك عنه.

قال ابن المبارك: لقّنوا الميت لا إلٰه إلا الله فإذا قالها فدعوه[٤].

قال أبو محمد عبد الحق: وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا ألحّ عليه بها أن يتبرم[٥]، ويضجر، ويثقلها الشيطان عليه فيكون سبباً لسوء الخاتمة[٦].

وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به، قال الحسن بن عيسى[٧]: قال لي ابن المبارك: لقِّني يعني الشهادة، ولا تُعد عليّ إلا أن أتكلم بكلام ثان[٨].

= تلخيص كتاب مسلم ٢/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠.

(١) في السنن ٣/ ١٩٠ ح٣١١٦؛ والطبراني في الكبير ٢٠/ ١١٢ ح٢٢١. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود ٢/ ٦٠٢ ح٢٦٧٣.

(٢) والحديث أورده أبو محمد في كتابه العاقبة ص(١٤٣).

(٣) ص(٤٤) وما بعدها.

(٤) ذكره أبو محمد في العاقبة ص(١٤٥).

(٥) في الصحاح: البَرَمُ بالتحريك مصدر قولك: بَرِمَ به بالكسر إذا سئمه، وأبرمه أي: أملّه وأضجره.

(٦) قاله في كتاب العاقبة ص(١٤٥).

(٧) هو الحسن بن عيسى بن ماسَرْجس مولى عبد الله بن المبارك، وممن روى عنه، توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: السير ٨/ ٣٨٠، و١٢/ ٢٧.

(٨) ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة ٤/ ١٤٦؛ والثبات عند الممات له ص(١٥٨) بمعناه.

والمقصود أن يموت الرجل وليس في قلبه إلا الله ﷻ؛ لأن المدار على القلب، وعمل القلب هو الذي ينظر فيه، وتكون النجاة به، وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عمَّا في القلب فلا فائدة فيها ولا عبر عندها.

قلت: وقد يكون التلقين بذكر الحديث عند الرجل العالم كما ذكر **أبو نعيم**(١) أن أبا زُرْعَةَ(٢) كان في السَّوْقِ(٣)، وعنده أبو حاتم(٤)، ومحمد بن مسلم(٥)، والمنذر بن شاذان(٦)، وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين فاستحيوا من أبي زرعة فقالوا: يا أصحابنا تعالوا نتذاكر الحديث، فقال محمد بن مسلم: حدثنا الضحاك بن مَخْلَدٍ أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي ولم يجاوزه، وقال أبو حاتم: حدثنا بُنْدَارٌ حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي ولم يجاوزه، والباقون سكوت، فقال أبو زرعة وهو في السَّوْق: حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي عَرِيبٍ عن كثير بن مُرّة الحضرمي عن معاذ بن جبل قال: قال

---

(١) لم أجده في الحلية، وذكره ابن الجوزي في الثبات عند الممات ص(١٦١)؛ وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١/ ٣٤٥.

(٢) عُبَيْد الله بن عبد الكريم، أبو زُرْعة الرازي، الإمام سيد الحفاظ، مات سنة ٢٦٤هـ، وذكر الذهبي حكايته هذه في ترجمته. انظر: السير ١٣/ ٦٥.

(٣) أي: في حال نزع الروح. انظر: الصحاح ٤/ ١٥٠٠.

(٤) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو حاتم الرازي، الإمام الحافظ الناقد، توفي سنة ٢٧٧هـ. سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٧.

(٥) محمد بن مسلم بن عثمان، أبو عبد الله بن وارة الرازي، أحد الأعلام، توفي سنة ٢٧٠هـ. السير ١٣/ ٢٨.

(٦) المنذر بن شاذان، أبو عمرو، من أهل الري، سمع منه ابن أبي حاتم. انظر: الإرشاد ٢/ ٦٧٣ للخليل بن عبد الله القزويني.

رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[١].
وفي رواية: «حرَّمه الله على النار»[٢]، وتُوفي رحمه الله.

ويروى عن عبد الله بن شُبْرُمة[٣] أنه قال: دخلت مع عامر الشّعْبي[٤] على مريض نعوده فوجدناه لُمّا[٥] به ورجل يلقنه الشهادة يقول له: قل: لا إله إلا الله وهو يكثر عليه، فقال له الشعبي: ارفق به، فتكلم المريض وقال: إن تلقِّني أو لا تلقِّني فإني لا أدعها، ثم قرأ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦]، فقال الشعبي: الحمد لله الذي أنجا صاحبنا هذا[٦].

قلت: لا بد من تلقين الميت، وتذكيره الشهادة وإن كان على غاية من التيقظ.

باب

من حضر الميت فلا يلغو وليتكلم بخير وكيف الدعاء للميت إذا مات وفي تغميضه

مسلم[٧] عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا

---

(١) تقدم ص(٤٥) أن الحديث من رواية أبي داود في السنن، وأشار الحاكم في مستدركه بعد أن أورد هذا الحديث إلى حكاية أبي زرعة ١/ ٦٧٨ ح١٨٤٢.
(٢) روى الطبراني في الكبير نحوه ١٨/ ٢٧ ح٤٦.
(٣) عبد الله بن شُبْرُمة، فقيه العراق، أبو شبرمة، حدّث عن أنس بن مالك، والشعبي والحسن البصري وغيرهم، وحدث عنه الثوري وابن المبارك وغيرهم، توفي سنة ١٤٤هـ. السير ٦/ ٣٧٤.
(٤) عامر بن شَراحيل، الإمام، أبو عمرو الهمداني ثم الشّعْبي، توفي سنة ١٠٤هـ. السير ٤/ ٢٩٤.
(٥) الإلمام: النزول، وألمّ به أي: نزل به ـ الموت ـ. الصحاح ٥/ ٢٠٣٢.
(٦) ذكره أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(١٣٦).
(٧) في صحيحه ٢/ ٦٣٣ ح٩١٩.

حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون، قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات، قال: قولي: اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبى حسنة، قالت: فقلت، فأعقبني الله مَن هو خير لي منه رسول الله ﷺ».

وعنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقّ بصره فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قُبض تبعه البصر، فضج ناس من أهله فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونوّر له فيه»[1].

فَصْلٌ

قال علماؤنا[2]: قوله ﵇: «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً»، أمر ندب وتعليم بما يقال عند الميت والمريض وإخبار بتأمين الملائكة على دعاء من هناك؛ ولهذا استحبّ العلماء أن يحضر الميت الصالحون، وأهل الخير حالة موته ليذكروه، ويدعوا له ولمن يخلفه ويقولوا خيراً، فيجتمع دعاؤهم، وتأمين الملائكة فينتفع بذلك الميت، ومن يصاب به، ومن يخلفه.

* * *

(١) أخرجه مسلم ٢/ ٦٣٤ ح٩٢٠.
(٢) القائل هو: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي في كتابه المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٢/ ٥٧١ ـ ٥٧٢.

بَابٌ مِنهُ

وما يقال عند التغميض

ابن ماجه[(١)] عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر، فإن البصر يتبع الروح، وقولوا خيراً، فإن الملائكة تؤمِّن على ما قال أهل البيت».

قال أبو داود[(٢)]: وتغميض الميت إنما هو بعد خروج الروح، سمعت محمد بن محمد المقرئ قال: سمعت أبا ميسرة وكان رجلاً عابداً يقول: غمضت جعفر المعلم، وكان رجلاً عابداً في حالة الموت فرأيته في منامي يقول: أعظم ما كان عليَّ تغميضك لي قبل أن أموت.

بَابٌ

ما جاء أن الشيطان يحضر الميت عند موته وجلساؤه في الدنيا وما يخاف من سوء الخاتمة

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حضرت وفاة أبي أحمد وبيدي الخرقة لأشد لحييه فكان يغرق ثم يفيق ويقول بيده، لا بعد، لا بعد فعل ذلك مراراً فقلت له: يا أبه أي شيء ما يبدو منك؟ فقال: الشيطان قائم بحذائي عاضٌّ على أنامله يقول: يا أحمد فُتَّني، وأنا أقول: لا بعد، لا بعد حتى أموت[(٣)].

---

(١) في سننه ١/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨ ح١٤٥٥؛ وأحمد ٤/ ١٢٥ ح١٧١٦؛ والطبراني في الكبير ٧/ ٢٩١ ح٧١٦٨. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ح١١٩٠.

(٢) في سننه ٣/ ١٩٠.

(٣) ذكره ابن الجوزي في الثبات عند الممات له ص(١٦٠).

وروى ابن المبارك[١] أخبرنا سفيان عن ليث عن مجاهد قال: «ما من ميت[٢] إلا يعرض عليه أهل مجالسه[٣] الذين كان يجالس[٤]، إن كانوا أهل لهو فأهل اللهو، إن كانوا أهل ذكر فأهل ذكر».

وقال الربيع[٥] بن سَبْرَةَ بن معبد الجهني وكان عابداً بالبصرة: أدركت الناس بالشام وقيل لرجل: يا فلان قل: لا إلٰه إلا الله، قال: اشرب واسقني[٦].

وقيل[٧] لرجل بالأهواز: قل: لا إلٰه إلا الله فجعل يقول: دَهْ يَازْدَهْ دَوَازْدَهْ، تفسيره عشرة، أحد عشر، اثنا عشر، كان هذا الرجل من أهل العمل والديوان فغلب عليه الحساب والميزان. ذكر هذا التفسير أبو محمد عبد الحق[٨].

قال الربيع: وقيل لرجل ها هنا بالبصرة: يا فلان قل: لا إلٰه إلا الله، فجعل يقول:

يا رُبَّ قائلة يوماً وقد لَغِبَتْ[٩] ... كيف الطريقُ إلى حمام مِنجَاب[١٠]

---

(١) في الزهد له ص(٣٢٩) ح٩٣٩؛ وذكره أبو نعيم في الحلية ٣/ ٣٨٣.
(٢) في (الزهد): ما من ميت يموت.
(٣) وفي (الزهد): مجلسه.
(٤) (الذين كان يجالس): ليست في (الزهد).
(٥) الربيع بن سبرة: روى عن أبيه وكانت لأبيه صحبة، روى الزهري عن الربيع بن سبرة، وكان ثقة. الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٢٥٢؛ وتقريب التهذيب ص(٢٠٦) رقم ١٨٩٢.
(٦) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص(١٧٨).
(٧) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص(١٧٨).
(٨) في كتابه العاقبة ص(١٧٩).
(٩) اللغوب: التعب والإعياء. انظر: الصحاح للجوهري ١/ ٢٢٠.
(١٠) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص(١٧٨).

قال الفقيه أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن النجاد[١]: هذا رجل استدلته امرأة إلى الحمام فدلها إلى منزله، فقاله عند الموت.

وذكر أبو محمد عبد الحق هذه الحكاية في كتاب العاقبة[٢] له فقال: وهذا الكلام له قصة: وذلك أن رجلاً كان واقفاً بإزاء داره وكان بابه يشبه باب حمام، فمرَّت به جارية لها منظر وهي تقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال لها: هذا حمام منجاب، وأشار إلى داره فدخلت الدار، ودخل وراءها، فلما رأت نفسها معه في داره وليس بحمام، وعلمت أنه خدعها، فأظهرت له البِشرَ والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة وفي تلك الدار، وقالت له: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا، وتقر به أعيننا، فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين، وبكل ما تشتهين، فخرج وتركها في الدار ولم يقفلها، وتركها محلولة على حالها ومضى وأخذ ما يصلح لهما ورجع ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت ولم يجد لها أثراً، فهام الرجل بها، وأكثر الذكر لها، والجزع عليها، وجعل يمشي في الطريق والأزقّة وهو يقول:

يا رُبَّ قائلة يوماً إذا بلغت ... أين الطريق إلى حمام منجاب

وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهي تقول:

قرنان[٣] هلَّا جعلت لها إذ ظفرت بها ... حرزاً على الدار أو قفلاً على الباب

فزاد هيمانه، واشتد هيجانه ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر. فنعوذ بالله من الفتن والمحن.

---

(١) الفقيه الحنبلي المعروف بالنجاد، كانت له حلقتان إحداهما للفتوى في الفقه على مذهب الإمام أحمد، والأخرى لإملاء الحديث، سمع من أبي داود السجستاني، توفي سنة ٣٤٨هـ. تاريخ بغداد ٤/ ١٨٩.

(٢) ص(١٧٩ ـ ١٨٠).

(٣) (قرنان): ليست في العاقبة، والقرنان هما: ضفيرتا المرأة. الصحاح ٦/ ٢١٧٩.

قلت: ومثل هذا في الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا، والهم بها، أو بسبب من أسبابها، حتى قد حُكِي لنا أن بعض السماسرة[١] جاء عند الموت فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: ثلاثة ونصف، أربعة ونصف، غلبت عليه السمسرة.

ولقد رأيت بعض الحُسّاب وهو في غاية المرض يعقد بأصابعه ويحسب.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والجِنَان[٢] الفلاني اعملوا فيه كذا وكذا[٣].

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: عَقْلُكَ[٤] الحمارة.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: البقرة الصفراء. غلب عليه حبها والاشتغال بها، نسأل الله السلامة، والممات على الشهادة بمنّه وكرمه.

ولقد حكى ابن ظفر[٥] في كتاب النصائح[٦] له: كان يونس بن عبيد[٧] بزازاً، وكان لا يبيع في طرفي النهار، ولا في يوم غيم، فأخذ يوماً

---

(١) السمسار: الذي يدخل بين البائع والمشتري متوسطاً لإمضاء البيع. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٠٠.

(٢) جمع جنة، وهي: البستان. لسان العرب ١٣/ ٩٩ ـ ١٠٠.

(٣) ذكره أبو محمد عبد الحق في العاقبة ص(١٧٩).

(٤) هكذا في جميع النسخ، ولعل المعنى: حبسُك الحمارة. الصحاح ٥/ ١٧٦٩.

(٥) هو: محمد بن محمد بن ظفر، أبو هاشم الصقلي، الواعظ، له نظم وتصنيف، مات سنة ٥٦٥هـ. سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٢٢.

(٦) لم أقف على هذا الكتاب مطبوعاً ولا مخطوطاً.

(٧) لعله يونس بن عبيد بن دينار العبدي، من صغار التابعين وفضلائهم، وممن اشتهر بالورع، توفي سنة ١٤٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٨٨.

ميزانه فرَضَّه بين حجرين، فقيل له: ألا أعطيت الصانع فأصلح فساده، فقال: لو علمت فيه فساداً لما أبقيت من مالي قوت ليلة، قيل: فلِمَ كسرته؟! قال: حضرت الساعة رجلاً احتُضِر فقلت له: قل: لا إله إلا الله فامتغص[(١)] فألححت عليه، فقال: ادع الله لي، فقال: هذا لسان الميزان على لساني يمنعني من قولها، قلت: أفما يمنعك إلا من قولها؟ فقال: نعم، قلت: وما كان عملك به؟ قال: ما أخذت ولا أعطيت به إلا حقاً في علمي، غير أني كنت أقيم المُدة فلا أفتقده ولا أختبره، فكان يونس بعد ذلك يشترط على من يبايعه أن يأتي بميزان، ويزن بيده وإلا لم يبايعه[(٢)].

بَابٌ مِنهُ

في سوء الخاتمة وما جاء أن الأعمال بالخواتيم

مسلم[(٣)] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل الزمان[(٤)] الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمان[(٥)] الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل[(٦)] أهل الجنة».

وفي **البخاري**[(٧)] عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه

---

(١) وامتغص، من المغْص وهو: تقطيع في المعي ووجع. انظر: الصحاح ٣/ ١٠٥٧. قلت: ويحتمل أنها تصحفت من: فامتعض، أي: شق عليه وأوجعه. انظر: لسان العرب ٧/ ٢٣٣.

(٢) هذا غلو في الورع يفضي إلى المشقة والعنت للمشتري والبائع.

(٣) في صحيحه ٤/ ٢٠٤٢ ح رقم ٢٦٥١.

(٤)(٥) في صحيح مسلم: الزمن.

(٦) في صحيح مسلم: ثم يختم له عمله بعمل.

(٧) في صحيحه ٦/ ٢٤٣٦ ح رقم ٦٢٣٣.

من أهل النار، وإنما[(١)] الأعمال بالخواتيم».

قال أبو محمد عبد الحق: واعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سُمع بهذا ولا علم به والحمد لله، وإنما تكون لمن كان له فساد في العقل وإصرار على الكبائر وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة فيصطلمه[(٢)] الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله، ثم العياذ بالله، أو يكون ممن كان مستقيماً ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سنته ويأخذ في غير طريقه؛ فيكون ذلك سبباً لسوء خاتمته، وشؤم عاقبته[(٣)]، كإبليس الذي عبد الله فيما يروى ثمانين ألف سنة، وبلعام بن باعوراء الذي آتاه الله فانسلخ منها بخلوده إلى الأرض واتباع هواه[(٤)]، وبرصيصاً العابد الذي قال الله في حقه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾ [الحشر: ١٦][(٥)].

ويروى: أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجداً[(٦)] للأذان والصلاة، وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة، فرقي يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها، وترك الأذان ونزل إليها ودخل الدار، فقالت له: ما شأنك؟! ما تريد؟! فقال: أنت أريد، قالت: لماذا؟ قال: قد

---

(١) (وإنما): ليست في هذه الرواية من صحيح البخاري، وهي موجودة في جميع نسخ التذكرة، وتوجد كلمة (وإنما) في رواية أخرى لصحيح البخاري مختلفة الألفاظ عن الرواية التي أوردها المصنف ولكنها متفقة المعنى وفي آخرها: «وإنما الأعمال بخواتيمها». انظر: صحيح البخاري ٥/ ٢٣٨١ ح٦١٢٨.

(٢) الاصطلام: الاستئصال. الصحاح ٥/ ١٩٦٧.

(٣) نهاية كلام أبي محمد عبد الحق. انظر: العاقبة ص(١٨٠ ـ ١٨١).

(٤) انظر: تفسير الطبري ٩/ ١٢٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٢٨/ ٤٩.

(٦) في (العاقبة): يلزم مسجداً.

سبيتِ لبِّي، وأخذت بمجامع قلبي، قالت: لا أجيبك إلى ريبة، قال لها: أتزوجك، قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك، قال لها: أتنصَّر، قالت: إن فعلت أفعل، فتنصَّر ليتزوجها وأقام معهم في الدار فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقي إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، فلا هو بدينه، ولا هو بها، ونعوذ بالله، ثم نعوذ بالله[١].

وروي[٢] أن رجلاً علق بشخص وأحبه فتمنَّع عنه واشتدّ نفاره، فاشتدّ كلف[٣] البائس إلى أن لزم الفراش فلم تزل الوسائط تمشي بينهما حتى وعد بأن يعوده، فأُخبر بذلك ففرح واشتدّ سروره وانجلى عنه بعض ما كان يجده، فلما كان في بعض الطريق رجع وقال: والله لا أدخل مداخل الريب، ولا أعرّض نفسي لمواقع التهم، فأخبر بذلك البائس المسكين فسُقط في يديه ورجع إلى أشد ما كان به وبدت علامات الموت وأماراته، قال الراوي[٤]: فسمعته يقول في تلك الحال يقول[٥]:

---

(١) ذكر هذه الرواية أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(١٨١).

(٢) الراوي هو الحميدي صاحب المستخرج على الصحيحين في كتابه جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ص(١٣٤)، قال: حدّثه أبو محمد بن حزم الأندلسي قال حدثه ـ من شهد القصة ـ ثم ذكر القصة بأوسع مما ذكر المصنف؛ وذكر ابن حزم طرفاً منها في كتابه طوق الحمامة ص(١١٣)؛ وذكرها أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(١٨٠).

(٣) في الصحاح ٤/ ١٤٢٣: يقال: كَلِفْتُ بهذا الأمر، أي: أُولِعْتُ به.

(٤) محمد بن خطاب، شيخ الهالك: أحمد بن كليب. انظر: جذوة المقتبس ص(١٣٥).

(٥) القائل هو: أحمد بن كُليب الشاعر. انظر: جذوة المقتبس للحميدي ص(١٣٤)؛ والبداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٤٠. قال ابن كثير بعد أن أورد هذه القصة: وهذه زلة شنعاء وعظيمة صلعاء، وداهية دهياء، ولولا أن هؤلاء =

سلام يا راحة العليل وبرد ذل المدنف[(١)] النحيل
رضاك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق[(٢)] الجليل[(٣)]

قال: فقلت له: يا فلان اتق الله، فقال: قد كان، فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت قد قامت عليه، فنعوذ بالله من سوء العاقبة، وسوء الخاتمة.

قال المؤلف: روى **البخاري**[(٤)] عن سالم عن عبد الله قال: «كان

= الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب وتنبيه لذوي البصائر والعقول أن يسألوا الله رحمته وعافيته، وأن يستعيذوا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات، إنه جواد كريم.

(١) المدنف بمعنى: المريض الملازم. انظر: الصحاح ٤/ ١٣٦٠ ـ ١٣٦١.

(٢) قال ابن القيم في العشق وأقسامه: وتارة يكون كفراً، كمن اتخذ معشوقه ندًّا؛ يحبه كما يحب الله، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؟ فهذا عشق لا يغفر لصاحبه، فإنه من أعظم الشرك، وعلامة العشق الشركي الكفري أن يقدم العاشق رضى معشوقه على رضى ربه، واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب إليه، وربما صرّح العاشق منهم بأن وصل معشوقه أشهى إليه من رحمة ربه ـ ثم ذكر البيت السابق ـ فقد رضي هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبودية مخلوق مثله، فإن العبودية هي: كمال الحب والخضوع، وهذا قد استفرغ قوة حبه وخضوعه وذله لمعشوقه فقد أعطاه حقيقة العبودية. انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص(٢١٩ ـ ٢٢٠) باختصار.

(٣) أول البيت يكذب آخره، فلو كان صادقاً في إجلاله لخالقه لما قدّم رضى المخلوق على رحمة الخالق. وقد جاءت هذه الأبيات باختلاف عما في مصادر الترجمة، ففي جذوة المقتبس والبداية والنهاية كما يلي:

أَسْلَمُ يا راحة العليل رفقاً على الهائم النحيل
وَصْلُكَ أشهى إلى فؤادي مِن رحمة الخالق الجليل

وأَسْلَمُ هذا هو الذي افتتن به المذكور المخذول.

(٤) في صحيحه ٦/ ٢٦٩١ ح رقم ٦٩٥٦.

كثيراً ما كان[١] النبي ﷺ يحلف: لا ومقلب القلوب»، ومعناه: يصرفها أسرع من مرِّ الريح على اختلافٍ في القبول والرد والإرادة والكراهة وغير ذلك من الأوصاف. وفي التنزيل: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، قال مجاهد[٢]: المعنى يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع[٣]. بيانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق: ٣٧] أي: عقل، واختار الطبري[٤]: أن يكون ذلك إخباراً من الله تعالى بأنه أملك لقلوب العباد منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله ﷻ[٥].

وقالت عائشة ﵂: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك»، فقلت: يا رسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى؟ قال: «وما يؤمنني يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الجبار، إذا أراد أن يقلب قلب عبده قلبه»[٦].

---

(١) في البخاري: أكثر ما كان.
(٢) مجاهد بن جبر، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس ﵄، مات سنة ١٠٤هـ. السير ٤/ ٤٤٩.
(٣) ذكره الطبري عن مجاهد ٦/ ٢١٥. وفي تفسير مجاهد: حتى يتركه لا يعقل ص(٢٦١).
(٤) محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، الإمام العلم صاحب التصانيف منها: التفسير، والتاريخ، وتهذيب الآثار، وغير ذلك، توفي سنة ٣١٠هـ. السير ١٤/ ٢٦٧.
(٥) الذي اختاره الطبري في تفسيره قوله: يعني لمن كان له عقل من هذه الأمة فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم خوفاً من أن يحل بهم مثل الذي حلّ بهم من العذاب ١١/ ٤٣٢.
(٦) هذا الحديث روي عن عائشة ﵂ بألفاظ مختلفة، ولكن أقربها لما أورده المؤلف رواية أحمد في المسند ٦/ ٢٥٠ ح رقم ٢٦١٧٦ وليس فيها لفظ: =

قال العلماء[١]: وإذا كانت الهداية إلى الله مصروفة، والاستقامة على مشيئته موقوفة، والعاقبة مغيّبة، والإرادة غير مغالبة، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك؛ فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه خلق ربك وفضله الدارّ عليك وخيره، فمهما افتخرت بذلك كنت كالمفتخر بمتاع غيره، وربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف البعير، فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم[٢]، فأصبحت وزهرها يابس هشيم، أو هبت عليها الريح العقيم، كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعة الله مشترق[٣] سليم، فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم، ذلك فعل العزيز الحكيم الخلاق العليم.

وروى **النسائي**[٤] عن عثمان ﷺ قال: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث إنه كان رجل ممن كان قبلكم تعبّد، فَعَلَقَتْهُ[٥] امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها

= (فهل تخشى) وفيها لفظ: (أصابع الرحمٰن) بدلاً من: (أصابع الجبار)؛ ورواه الطبراني في المعجم الأوسط عن عائشة أيضاً ٢/٣١٩ ح١٥٥٣، وفيه لفظ: (أتخاف وأنت رسول الله)، وليس فيه: (وما يؤمنني)، وفيه: (أصابع الرحمٰن) بدلاً من (أصابع الجبار).

(١) لم أقف على القائل.

(٢) العميم: التام. الصحاح ٥/١٩٩٢.

(٣) مشترق، أي: داخل في الشروق. القاموس المحيط ص(١١٥٨)، والمعنى: مضيء بنور الطاعة.

(٤) في المجتبى من السنن له ٨/٣١٥ ح رقم ٥٦٦٦؛ ورواه ابن حبان في صحيحه ١٢/١٦٨ ح رقم ٥٣٤٨؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٢٢٨ ح رقم ٥١٧٦. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح النسائي ٣/١١٤٦ ـ ١١٤٧ ح٥٢٣٦.

(٥) العَلَقُ: الهوى. الصحاح ٤/١٥٢٩.

فطفقت[١] كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة وعندها غلام، وباطية[٢] خمر، فقالت: والله إني ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع عليَّ، أو تشرب من هذا الخمر كأساً، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقني من هذا الخمر فسقته كأساً، قال: زيدوني، فلم يَرِمْ[٣] حتى وقع عليها، وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ويوشك أن يخرج أحدهما صاحبه».

ويروى أن رجلاً أسيراً مسلماً وكان حافظاً للقرآن خص بخدمة راهبين فحفظا منه آيات كثيرة لكثرة تلاوته، فأسلم الراهبان وتنصّر المسلم، وقيل له: ارجع إلى دينك فلا حاجة لنا فيمن لم يحفظ دينه، قال: لا أرجع إليه أبداً فقتل، وفي الخبر قصة والحكايات في هذا الباب كثيرة، فنسأل الله السلامة والموت على الشهادة.

وأنشدوا[٤]:

قد جرت الأقلام في ذا[٥] الورى ... بالختم من أمر العليم الحكيم
فمن سعيد وشقي ومن ... مُثْرٍ من المال وعارٍ عديم
ومن عزيز رأسه في السُّها[٦] ... ومن ذليل وجهه في التخوم[٧]
ومن صحيح شيّدت أركانه ... وآخر واهي المباني سقيم
كل على منهاجه سالك ... ذلك تقدير العزيز العليم

---

(١) طفق: جعل. الصحاح ٤/ ١٥١٧.
(٢) الباطية: إناء وهو الناجود. الصحاح ٦/ ٢٢٨١. والناجود: كل إناء يجعل فيه الشراب من جفنة وغيرها. الصحاح ٢/ ٥٤٣.
(٣) لم يرم: أي: لم يبرح. الصحاح ٥/ ١٩٣٩.
(٤) ذكر أبو محمد هذه الأبيات في العاقبة ص(١٧٣).
(٥) «ذا»: اسم إشارة للمذكر، والمراد في هذا الورى، أي: هذا الخلق.
(٦) السُّها: كوكب خفي. الصحاح ٦/ ٢٣٨٦.
(٧) التخوم: معالم الأرض، وحدودها. انظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ١٨٣.

وقال الربيع[١]: سئل الشافعي عن القدر فأنشأ يقول[٢]:

مـا شـئـتَ كـان وإنْ لـم أشـأ ... وما شئتُ إنْ لم تَشأ لم يكن
خلقتَ العبادَ على ما علمتَ ... ففي العلم يجري الفتى والمُسن
عـلى ذا مـنـنـتَ وهـذا خـذلـتَ ... وهـذا أعـنـتَ وذا لـم تُـعِـن
فـمـنـهـم شـقـي ومـنـهـم سـعـيـد ... ومـنـهـم قـبـيـح ومـنـهـم حـسـن

بَابٌ

ما جاء في رسل الموت قبل الوفاة

في **البخاري**[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أعذرَ الله إلى امرئ أخّر أجله حتى بلّغه ستين سنة».

يقال: أعذر في الأمر: أي بالغ فيه، أي أعذر غاية الإعذار بعبده الذي لا إعذار بعده، وأكبر الإعذار إلى بني آدم بعثة الرسل إليهم ليتم حجته عليهم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، قال: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] قيل: هو القرآن، وقيل: هو الرسل إليهم، وعن ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة[٤] وسفيان[٥] ووكيع[٦] والحسين ابن

---

(١) الربيع بن سليمان المرادي، أبو محمد، الفقيه، صاحب الشافعي وناقل علمه، توفي سنة ٢٧٠هـ. سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨٧.

(٢) ذكره البيهقي في كتابه الاعتقاد ص(١٦٢)؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة ٤/ ٧٠٢، ونسباه إلى الإمام الشافعي.

(٣) في صحيحه ٥/ ٢٣٦٠ ح رقم ٦٠٥٦.

(٤) أبو عبد الله القرشي مولاهم الحافظ المفسر العلّامة البربري الأصل، حدّث عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة وغيرهم، مات سنة ١٠٤هـ. سير أعلام النبلاء ٥/ ١٢.

(٥) سفيان بن عيينة والذي عيّنه هنا هو ابن كثير في تفسيره وعزا إليه هذا القول ٣/ ٥٦٧، وهو الإمام الكبير حافظ عصره أبو محمد ابن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي الكوفي، مات سنة ١٩٨هـ. السير ٨/ ٤٥٤.

(٦) وكيع بن الجراح بن مليح الكوفي، الإمام الحافظ، أحد الأعلام، مات سنة =

الفضل[١] والفراء[٢] والطبري[٣]: هو الشيب؛ فإنه يأتي في سن الاكتهال[٤] فهو علامة لمفارقة سن الصبا الذي هو سن اللهو واللعب.

قال:

رأيت الشيب من نذر المنايا لصاحبه وحسبك من نذير

وقال آخر:

فقلت لها المشيب نذير عمري ولست مسوِّداً وجه النذير

وللقاضي منذر بن سعيد البلوطي[٥]:

كم تصابى وقد علاك المشيب وتعامى عمداً وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير وشهاب[٦] الحِمَامِ منك قريب

= ١٩٧هـ. السير ٩/ ١٤٠.

(١) الحسين بن الفضل بن عُمير العلّامة، المفسر اللغوي المحدّث، أبو علي الكوفي، مات سنة ٢٨٢هـ. السير ١٣/ ٤١٤.

(٢) يحيى بن زياد بن عبد الله أبو زكريا، الأسدي مولاهم الكوفي النحوي، صاحب الكسائي، للفراء كتاب (البهي) في حجم (الفصيح) لثعلب، مات بطريق الحج سنة ٢٠٧هـ. السير ١٠/ ١١٨.

(٣) ذكر الماوردي حكاية قول الفراء والطبري في تفسيره النكت والعيون ٤/ ٤٧٦، والذي يظهر من قول الطبري أنه يرجح أن النذير هو: النبي ﷺ. انظر: تفسيره ١٠/ ٤١٩.

(٤) الكَهْلُ: الرجلُ إذا وَخَطه الشيب. لسان العرب ١١/ ٦٠٠.

(٥) أبو الحكم الأندلسي قاضي الجماعة بقرطبة، كان فقيهاً محققاً، وخطيباً مفوهاً، ولبيباً شاعراً، من تصانيفه: الإنباه عن الأحكام من كتاب الله، وكتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة، توفي سنة ٣٥٥هـ. السير ١٦/ ١٧٣.

(٦) كلمة: شهاب، من نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقَّري ١/ ٣٧٥ وهي من نسخة أخرى للكتاب غير التي اعتمدها المحقق، =

يا مقيماً قد حان منه رحيل بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
إن للموت سكرة فارتقبها لا يداويك إذا أتتك طبيب
كم تثوي[1] حتى تصير رهيناً ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم فاعملن جاهداً لها يا أُرَيْب[2]
وتذكر يوماً تحاسب فيه إن تذكرته فسوف تنيب
ليس في ساعة من الدهر إلا للمنايا عليك فيها رقيب

وله أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ[3]:

ثلاث وستون قد جزتها فماذا تؤمل أو تنتظر
وحلَّ عليك نذير المشيب فما ترعوي أو فما تنزجر
تمر لياليك مرًّا حثيثاً وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي من العمر لاعتضت خيراً بشر
فما لك ويحك لا تستعد[4] لدار المقام ودار المقر
أترغب عن فجأة المنون وتعلم أن ليس منها وزر
فإما إلى جنةٍ أزلفت وإما إلى سقر تستعر

قال الأزهري[5]: معناه: أن الحمَّى رسول الموت، أي كأنها

= والتي اعتمدها، جاء فيها: أن سيأتي الحمام، واخترت ما في النسخة الأخرى لقرب رسمها مما في الأصل.

(١) تثوي، بمعنى: الإقامة بالمكان، انظر: الصحاح ٦/ ٢٢٩٦.

(٢) الأريب: العاقل. الصحاح ١/ ٨٧.

(٣) عزا صاحب نفح الطيب الأبيات لأبي الوليد بن حزم ٣/ ٥٥٣.

(٤) في (نفح الطيب): لا تستعد إذن.

(٥) العلّامة أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري، كان رأساً في اللغة والفقه، ثقة ثبتاً ديّناً، له كتاب تهذيب اللغة وكتاب في التفسير والأسماء والصفات وغير ذلك، توفي سنة ٣٧٠هـ. السير ١٦/ ٣١٥.

تشعر بقدومه وتنذر بمجيئه[١].

وقيل: موت الأهل والأقارب والأصحاب والإخوان، وذلك إنذار بالرحيل في كل وقت وأوان وحين وزمان[٢].

قال:

وأراك تحملهم ولست تردهم وكأنني بك قد حُمِلت ولم تُرَدّ

وللفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي زمنين[٣] رحمه الله:

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا

لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها وإن توشحت من أثوابها الحسنا

أين الأحبة والجيران ما فعلوا أين الذين هم كانوا لنا سكنا

سقاهم الموتُ كأساً غير صافية فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا[٤]

وقيل: كمال العقل[٥]، الذي تعرف به حقائق الأمور ويفصل به بين الحسنات والسيئات، فالعاقل يعمل لآخرته، ويرغب فيما عند ربه، فهو نذير والنذير بمعنى الإنذار، والإنذار والإعذار قريب بعضه من بعض، وأكبر الإعذار إلى بني آدم بعثة الرسل إليهم، ثم الشيب، أو

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١٤/ ١٦٣.

(٢) ذكر هذا القولَ الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٧٦.

(٣) هو: أبو عبد الله بن محمد بن عيسى الأندلسي الألبيري شيخ قرطبة، تبحّر في العلم وصنّف في الزهد والرقائق، وقال الشعر الرائق، من تصانيفه: اختصار المدونة، ومنتخب الأحكام، وأصول السنّة، وأدب الإسلام، وغير ذلك، توفي سنة ٣٩٩هـ. السير ١٧/ ١٨٨.

(٤) عزاها صاحب نفح الطيب أيضاً لابن أبي زمنين ٣/ ٥٢٥.

(٥) ما زال المصنف يورد الأقوال في معنى النذير، وهذا القول للماوردي في تفسيره ٤/ ٤٧٦.

غيره كما بيّنّا. وجعلَ الستين غاية الإعذار؛ لأن الستين قريب من معترك العباد وهو سن الإنابة، والخشوع، والاستسلام لله، وترقب المنية ولقاء الله، ففيه إعذار بعد إعذار، وإنذار بعد إنذار: الأول: بالنبي ﷺ، والثاني: بالشيب وذلك عند كمال الأربعين. قال الله تعالى: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، فذكر الله ﷻ أن من بلغ الأربعين فقد آن له أن يعلم مقدار نِعَم الله عليه وعلى والديه، ويشكرهما.

تنبيه: هذا الباب هو الأصل في إعذار الحكام إلى المحكوم عليهم مرة بعد أخرى، وكان هذا لطفاً بالخلق؛ ولينفذ القيام عليهم بالحق.

يُحْكى عن بعض العلماء كان يميل إلى الراحات كثيراً، وكان يخلو في بستان له بأصحاب فلا يأذن لأحد سواهم، فبينا هو في البستان رأى شخصاً يتخلل الشجر، فغضب وقال: من أذن لهذا؟! وجاء الرجل فجلس أمامه، وقال: ما ترى في رجل ثبت عليه حق فزعم أن له مَدَافِعَ[(١)] تدفعه عنه، فقال: يَتَلَوَّمُ له[(٢)] الحاكم بقدر ما يرى، قال السائل: قد ضرب له الحاكم آجالاً فلم يأت بمنفعة له، ولا أقلع عن اللَّدَدِ[(٣)]، والمدافعة. قال: يقضي عليه، قال: فإن الحاكم رفق به، وأمهله أكثر من خمسين سنة. فأطرق الفقيه، وتحدّر عرق وجهه. وذهب السائل، ثم إن العالم أفاق من فكرته فسأل عن السائل، فقال البواب: ما دخل إليكم ولا خرج من عندكم أحد. فقال لأصحابه: انصرفوا، فما كان يرى إلا في مجلس يُذكر فيه العلم.

---

(١) جمع: مَدْفَع، والمراد موانع تمنعه من الموت. انظر: القاموس المحيط ص(٩٢٤).

(٢) والتَلَوّم: الانتظار والتمكّث. الصحاح ٥/ ٢٠٣٤.

(٣) التلدد، واللَّدَدُ: شدة الخصومة. الصحاح ٢/ ٥٣٥.

باب

في التوبة وبيانها وفي التائب من هو

في الحديث: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ»، خرّجه الترمذي[١]، أي عند الغرغرة، وبلوغ الروح الحلقوم يعاين ما يصير إليه من رحمة، أو هوان ولا تنفع حينئذٍ توبة، ولا إيمان كما قال في محكم البيان: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]، وقال: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨]. فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح وذلك عند غرغرته بالروح، وإنما يغرغر إذا انقطع الوتين[٢]، فشخص من الصدر إلى الحلق فعندها المعاينة وعندها حضور الموت فاعلم ذلك. فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة وهو معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]. قال ابن عباس والسدي: ﴿مِن قَرِيبٍ﴾: قبل المرض والموت[٣].

وقال أبو مجلز[٤]، والضحاك[٥]، وعكرمة، وابن زيد[٦] وغيرهم:

---

(١) رواه في جامعه ٥/٥٤٧ ح رقم ٣٥٣٧. قال الألباني: حسن. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٧٥ ح٢٨٠٢.

(٢) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه. الصحاح ٦/ ٢٢١١.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٣/ ٦٤٢.

(٤) أبو مجلز، واسمه لاحق بن حميد السدوسي، مات بالكوفة سنة ١١٠هـ قبل الحسن بقليل، مشاهير علماء الأمصار لأبي حاتم البستي ١/ ٩١؛ الكنى للبخاري ص(٩٠)، ملحق بالتاريخ الكبير.

(٥) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد صاحب التفسير، توفي سنة ١٠٢هـ. السير ٤/ ٥٩٨.

(٦) عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم العمري المدني، كان صاحب تفسير وقرآن، جمع تفسيراً في مجلد، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ، توفي سنة ١٨٢هـ. =

قبل المعاينة للملائكة والسَّوْق[1]، وأن يغلب المرء على نفسه.

ولقد أحسن محمود الوراق[2] حيث قال:

قدم لنفسك توبة مرجوة قبل الممات وقبل حبس الألسن
بادر بها غلَقَ[3] النفوس فإنها ذخر وغنم للمنيب المحسن

وقيل: المعنى يتوبون على قرب عهد من المذنب من غير إصرار، والمبادرة في الصحة أفضل، وألحق لأمله من العمل الصالح، والبعد كل البعد: الموت، وأما ما كان قبل الموت فهو قريب عن الضحاك[4] أيضاً.

وعن الحسن لما أهبط إبليس قال: بعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام الروح في جسده، قال الله تعالى: فبعزتي لا أحجب التوبة عن ابن آدم ما لم تغرغر نفسه[5].

والتوبة فرض على المؤمنين باتفاق ثقات المسلمين لقوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ الآية [التحريم: ٨].

= السير ٨/ ٣٤٩.

(١) أقوال هؤلاء العلماء أوردها ابن جرير الطبري في تفسيره ٣/ ٦٤٢ ـ ٦٤٣.

(٢) محمود بن الحسن الورّاق البغدادي الشاعر، روى عنه ابن أبي الدنيا وأبو العباس بن مسروق، مات في خلافة المعتصم. تاريخ بغداد ١٣/ ٨٧؛ السير ١١/ ٤٦١.

(٣) ذكره ابن عبد البر في بهجة المجالس ص٢٥٩ القسم الثاني، والعَلَق: الهوى، والمراد: هوى النفوس، والله أعلم. انظر: الصحاح ٤/ ١٥٢٩.

(٤) ذكر قوله البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٤٠٠ ح٧٠٧٤.

(٥) ذكره الطبري في تفسيره بنحوه ٣/ ٦٤٣؛ وذكره ابن المبارك في الزهد عن أبي قلابة ص(٣٦٩).

ولها شروط أربعة:

١ ـ الندم بالقلب.

٢ ـ وترك المعصية في الحال.

٣ ـ والعزم على أن لا يعود لمثلها.

٤ ـ وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفاً منه لا من غيره[١].

فإذا اختلّ شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة.

وقد قيل من شروطها: الاعتراف بالذنب، وكثرة الاستغفار الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان لا التلفظ باللسان. فأما من قال بلسانه: استغفر الله، وقلبه مصرّ على معصيةٍ فاستغفاره ذاك يحتاج إلى استغفار، وصغيرته لاحقة بالكبائر[٢].

وروي عن الحسن البصري أنه قال: استغفارنا يحتاج إلى استغفار[٣].

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا يقوله في زمانه فكيف في زماننا هذا الذي يُرى فيه الإنسان مكبّاً على الظلم مُصراً عليه لا يقلع والسُّبْحَةُ[٤] في يده

---

(١) وهذا الشرط يتضمن أن تكون التوبة خالصةً لله تعالى، فلا يتوب من المعصية تحسيناً لسمعته في المجتمع، أو خوفاً من العقوبة، إنما يتوب مبتغياً بتوبته وجه الله تعالى.

(٢) قال ابن أبي العز: وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة، وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل.اهـ. شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٥١.

(٣) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ١/ ٣١٣ عن رابعة العدوية.

(٤) قال الجوهري: السُّبْحَة بالضم: خَرَزَاتٌ يُسبّح بها. الصحاح ١/ ٣٧٢.

يقول بكر بن عبد الله أبو زيد: إن مَن وقف على تاريخ اتخاذ السُّبْحة، وأنها =

زاعماً أنه يستغفر من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف، وممن اتخذ آيات الله هزواً وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وروي عن علي رضي الله عنه وقد رأى رجلاً قد فرغ من صلاته وقال: اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك سريعاً، فقال له: يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين(١)، وتوبتك تحتاج إلى توبة، قال: يا أمير المؤمنين وما التوبة؟ قال: اسم يقع على ستة معان: على الماضي من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، ورد المظالم إلى أهلها، وإذابة النفس في الطاعة كما أذابها في المعصية، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذاقها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته.

وقال أبو بكر الورّاق(٢): التوبة أن تكون نصوحاً وهو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذين خُلِّفوا.

وقيل: التوبة النصوح هي: رد المظالم، واستحلال الخصوم، وإدمان الطاعات، وقيل غير هذا.

وبالجملة فالذنوب التي يتاب منها إما كفر، أو غيره: فتوبة الكافر إيمانه مع ندمه على سالف كفره، وليس مجرد الإيمان نفس توبته(٣)،

= من شعائر الكفار من البوذيين والهندوس والنصارى وغيرهم، وأنها تسربت إلى المسلمين من معابدهم علم أنها من خصوصيات معابد الكفرة، وأن اتخاذ المسلم لها وسيلة للعبادة بدعة ضلالة، وهذا ظاهر بحمد الله.اهـ. السُّبْحَة تاريخها وحكمها ص(١٠١).

(١) إلى هنا ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٤/ ٤٧.

(٢) الإمام المحدِّث أبو بكر، محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي المستملي الورّاق، مات سنة ١٣٧هـ. السير ١٦/ ٣٨٨.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الكافر إذا أسلم فإن إسلامه يتضمن التوبة من الكفر، فيغفر له بالإسلام الكفر الذي تاب منه، وهل تغفر له الذنوب التي =

وغير الكفر إما حق لله وإما حق لغيره، فحق الله تعالى يكفي في التوبة منه الترك، غير أن منها ما لم يكتف الشرع فيها بمجرد الترك بل أضاف إلى ذلك في بعضها قضاء: كالصلاة، والصوم، ومنها ما أضاف إليها كفارة: كالحنث في الأيمان وغير ذلك. وأما حقوق الآدميين فلا بد من إيصالها إلى مستحقها، فإن لم يوجدوا تصدق عنهم، ومن لم يجد السبيل لخروج ما عليه لإعساره فعفو الله مأمول، وفضله مبذول: فكم ضمن من التبعات، وبدل من السيئات بالحسنات، وعليه أن يكثر من الأعمال الصالحات، ويستغفر لمن ظلمه من المؤمنين والمؤمنات.

فإذا كملت التوبة على الشروط التي بيّنّا يقبلها الله بكرمه، وأنسى حافظيه، وبقاع الأرض خطاياه وذنوبه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢].

والأصل في هذه الجملة حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الرجل الذي قتل مائة نفس وسأل هل له من توبة، فقال له العالم: «من يحول بينك وبينها[1] انطلق إلى أرض بني فلان فإن بها ناساً صالحين يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا تعد إلى أرضك فإنها أرض سوء...»، الحديث

= فعلها في حال الكفر ولم يتب منها في الإسلام؟ هذا فيه قولان معروفان:
أحدهما: يغفر له الجميع لإطلاق قوله ﷺ: «الإسلام يهدم ما كان قبله». رواه مسلم ١/ ١١٢ ح١٢١ مع قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].
والقول الثاني: أنه لا يستحق أن يغفر له بالإسلام إلا ما تاب منه، فإذا أسلم وهو مصرّ على كبائر دون الكفر فحكمه في ذلك حكم أمثاله من أهل الكبائر، وهذا القول هو الذي تدل عليه الأصول والنصوص. اهـ. مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤، ولمزيد من البيان انظر المرجع السابق؛ وشرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ١٣٦.

(١) في صحيح مسلم: بينه وبين التوبة.

خرّجه **مسلم**(١) في الصحيح.

وفي مسند(٢) أبي داود(٣) **الطيالسي**: حدثنا زهير بن معاوية عن عبد الكريم الجزري عن زياد وليس بابن أبي مريم عن عبد الله بن مغفل قال: كنت مع أبي وأنا إلى جنبه عند عبد الله بن مسعود فقال له أبي: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «الندم توبة؟»، قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ.

وفي صحيح **مسلم**(٤)، **والبخاري**(٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله، تاب الله عليه».

وروى أبو حاتم **البستي**(٦) في المسند الصحيح(٧) له عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جلس على

---

(١) في صحيحه ٤/٢١١٩ ح رقم ٢٧٦٦.

(٢) ص(٥٠) ح رقم ٣٨١؛ وأخرجه ابن ماجه في سننه ٢/١٤٢٠ ح٤٢٥٢؛ والبزار في مسنده ٥/٣١٢ ح١٩٢٧. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/٤١٨ ح٣٤٢٩.

(٣) سُليمان بن داود بن الجارود، الحافظ الكبير صاحب المسند، أبو داود الفارسي مولى آل الزبير بن العوّام، توفي سنة ٢٠٣هـ. السير ٩/٣٧٨.

(٤) في صحيحه ٢/٢١٢٩ ح رقم ٢٧٧٠.

(٥) في صحيحه ٢/٩٤٢ ح رقم ٢٥١٨.

(٦) محمد بن حيّان بن أحمد بن حيّان التميمي أبو حاتم البستي، الإمام الحافظ العلّامة، صاحب التصانيف منها: المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء، مات سنة ٣٥٤هـ. تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/٩٠.

(٧) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ٥/٤٣ ح رقم ١٧٤٨. قال الأرناؤوط: في إسناده صهيب مولى العُتْوَاريين لم يُذكر فيه جرح، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. انظر تعليقه على الحديث في المرجع السابق ٥/٤٤؛ وأخرجه النسائي باختلاف يسير ٥/٨ ح رقم ٤٣٨؛ وابن خزيمة في صحيحه ١/١٦٣ ح رقم ٣١٥؛ والحاكم في المستدرك ١/٣١٦ ح رقم ٧١٩.

المنبر ثم قال: «والذي نفسي بيده» ثلاث مرات، ثم سكت، فأكبّ كل رجل منا يبكي حزيناً ليمين رسول الله ﷺ ثم قال: «ما من عبد يؤدي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له ثمانية أبواب الجنة يوم القيامة حتى إنها لتصفق، ثم تلا: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]».

قال المؤلف: فدل القرآن على أن في الذنوب كبائر وصغائر، خلافاً لمن قال كلها كبائر حسب ما بيّنّاه في سورة النساء[١]، وأن الصغائر كاللمسة، والنظرة تُكفّر باجتناب الكبائر قطعاً بوعده الصدق، وقوله الحق لا أنه يجب عليه ذلك، لكن بضميمة أخرى إلى الاجتناب وهي إقامة الفرائض كما نص عليه الحديث، ومثله ما رواه **مسلم**[٢] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» على هذا جماعة أهل التأويل، وجماعة الفقهاء وهو الصحيح في الباب. وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة منها والإقلاع عنها كما بيّنّا، وقد اختلف في تعيينها ليس هذا موضع ذكرها، وسيأتي[٣] في القصاص وأبواب النار جملة منها إن شاء الله تعالى.

باب

لا تخرج روح عبد مؤمن أو كافر حتى يُبشر وأنه يصعد بها

ابن ماجه[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «تحضر

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للمؤلف ٥/ ١٠٤.

(٢) في صحيحه ١/ ٢٠٩ ح رقم ٢٣٣. (٣) ص(١٩١، ٢٥٨).

(٤) في سننه ٢/ ١٤٢٣ ح٤٢٦٢؛ وأحمد ٢/ ٣٦٤ ح٨٧٥٤؛ والنسائي في الكبرى =

الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري برَوْح وريْحَان، وربٍّ راضٍ غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يُعرج بها إلى السماء فيُفتح لها فيُقال: من هذا؟ فيقولون: فلان بن فلان فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري برَوح وريحان، ورب راضٍ غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله تعالى، فإذا كان الرجلُ السوء قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغسَّاق، وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يُعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمةً فإنه لا يُفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر»، خرّجه[١] عن أبي بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا شبابة بن سوار عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة. وهذا إسناد صحيح ثابت اتفق على رجاله البخاري ومسلم ما عدا ابن أبي شيبة فإنه لمسلم وحده، وخرّجه عبد بن حميد[٢] أيضاً عن أبي ذئب، قال محمد بن عمرو: فحدثني سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قال: اخرجي أيتها الروح الطيبة. . .»، فذكره.

= ٦/ ٤٤٣ ح١١٤٤٢ كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٢٠ ح٣٤٣٧.

(١) أي: ابن ماجه.

(٢) في مسنده بنحوه. انظر ص(٤٤٤) ح١٥٣٧.

مسلم[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا خرجت روح العبد المؤمن[٢] تلّقاها ملكان يصعدان بها، قال حماد: فذكر من طيب ريحها، وذكر المِسْكَ، قال: ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قِبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه، فيُنطلق به إلى ربه[٣]، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل، وأن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد: وذكر من نتنها، وذكر لعناً، ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قِبَل الأرض، قال: فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل»، قال أبو هريرة: فردّ رسول الله ﷺ ريْطة[٤] كانت عليه على أنفه هكذا.

البخاري[٥] عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، فقالت عائشة أو بعض أزواجه: إنّا لنكره الموت، فقال: «ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته فليس شيء أحبَّ إليه مما أمامه فأحبَّ لقاء الله وأحبَّ الله لقاءه، وإن الكافر إذا حُضر بُشّر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»، أخرجه **مسلم**[٦]، **وابن ماجه**[٧] من حديث عائشة، **وابن المبارك**[٨] من حديث أنس رضي الله عنه.

---

(١) في صحيحه ٢/ ٢٢٠٢ ح٢٨٧٢.

(٢) في (صحيح مسلم): روح المؤمن.

(٣) في (صحيح مسلم): ربه عز وجل.

(٤) الريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقتين. الصحاح ٣/١١٢٨.

(٥) في صحيحه ٥/ ٢٣٨٦ ح٦١٤٢. (٦) في الصحيح ٤/ ٢٠٦٦ ح٢٦٨٤.

(٧) في سننه ٢/ ١٤٢٥ ح٤٢٦٤؛ والترمذي في السنن ٣/ ٣٧٩ ح١٠٦٦؛ والنسائي في المجتبى ٤/ ٩ ح١٨٣٤.

(٨) في الزهد له ص(٣٤٥) ح٩٧١.

فَصْلٌ

هذا الحديث وإن كان مفسراً مبيناً فقد روي عن عائشة رضي الله عنها في تفسير هذا الحديث أنها قالت لشريح بن هانئ[١] وقد سألها عما سمعه من أبي هريرة: «وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج[٢] الصدر، واقشعر الجلد، وتشنَّجت الأصابع، فعند ذلك من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». خرّجه **مسلم**[٣].

وخرّج الترمذي[٤] في أبواب القدر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ إذا أراد[٥] بعبدٍ خيراً استعمله»، فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «يوفقه لعملٍ صالحٍ قبل الموت»، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح[٦].

قلت: ومنه الحديث الآخر: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً عَسَلَه»[٧]،

---

(١) أبو المقدام الحارثي الفقيه، صاحب علي رضي الله عنه، حدّث عن أبيه، وعلي، وعمر، وعائشة، وغيرهم، توفي سنة ٩٨هـ. سير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٧.

(٢) الحشرجة: الغرغرة عند الموت، وتردد النفس. الصحاح ١/ ٣٠٦.

(٣) في الصحيح ٤/ ٢٠٦٦ ح٢٦٨٥.

(٤) في جامعه ٤/ ٤٥٠ ح٢١٤٢؛ وأخرجه أحمد ٣/ ١٠٦ ح١٢٠٥٥؛ وابن حبان في صحيحه ٢/ ٥٣ ح٣٤١؛ والحاكم في مستدركه ١/ ٤٩٠ ح١٢٥٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه، وله شاهد بإسناد صحيح. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٢٢٦ ح١٧٤١.

(٥) في (الترمذي): إذا أراد الله بعبد خيراً.

(٦) في (الترمذي): حسن صحيح.

(٧) في غريب الأثر لابن الأثير: العسل: طيب الثناء، ومنه الحديث: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً عسله في الناس»، أي: طيّب ثناءه فيهم ٣/ ٢٣٧.

قالوا: يا رسول الله وما عَسَلَه؟ فقال: يفتح الله له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله»[١].

وعن قتادة[٢] في تفسير قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩].

قال: الرَّوْح: الرحمة[٣]، والريحان تتلقاه به عند الموت.

وروى ابن جريج[٤] عن النبي ﷺ أنه قال لعائشة في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩]: «إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: نرجعك إلى الدنيا؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان؟ ويقول: قُدُماً إلى الله ﷻ، وأما الكافر فيقال: نرجعك؟ فيقول: ﴿ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ الآية [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠][٥].

باب

ما جاء في تلاقي الأرواح في السماء والسؤال عن أهل الأرض وفي عرض الأعمال

ابن المبارك[٦] عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: «إذا قبضت

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢/ ٥٤ ح٣٤٢، و٢/ ٥٥ ح٣٤٣. قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم ٢/ ٥٤؛ وأحمد ٤/ ٢٠٠ ح١٧٨١٩؛ والطبراني في الكبير ٨/ ١١٠ ح٧٥٢٢.

(٢) قتادة بن دِعامة السدوسي المفسر والمحدث، مات سنة ١١٧هـ. سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٩.

(٣) إلى هذا الموضع ذكره البغوي عن قتادة في تفسيره ٤/ ٢٩١.

(٤) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام الحافظ، أبو الوليد الأموي، مات سنة ١٤٩هـ. سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٥.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٨/ ٥٢.

(٦) في الزهد له ص(١٤٩ ـ ١٥٠) ح٤٤٣. قال ابن المبارك بعد إيراده للرواية: قال ابن صاعد: رواه سلام الطويل عن ثور فرفعه.اهـ. قال ابن الجوزي: =

نفس المؤمن تلقاه أهل الرحمة من عباد الله كما يتلقون[1] البشير في الدنيا، فيُقبِلون عليه فيسألونه[2]، فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم حتى يستريح؛ فإنه كان في كرب شديد، قال: فيُقبِلون عليه فيسألونه ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: إنه قد هلك، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذُهِبَ إلى أمه الهاوية فبئست الأم، وبئست المربية، قال: فتعرض عليهم أعماله، فإن رأوا حسناً فرحوا، واستبشروا، وقالوا: اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا شراً قالوا: اللهم راجع بعبدك».

قال **ابن المبارك**[3]: وحدثنا صفوان بن عمرو قال: حدثني

= هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وسلام هو الطويل، وقد أجمعوا على تضعيفه. اهـ. العلل المتناهية ٢/ ٩١٠ ـ ٩١١ ح١٥٢٢.

قلت: وإن كان سند ابن المبارك متكلماً فيه، فقد وردت الجملة محل الشاهد ـ سؤال الموتى عن أخبار الأحياء ـ من طريق صحيح، فقد أخرج النسائي في المجتبى ٤/ ٨ ح١٨٣٣ واللفظ له؛ وابن حبان في صحيحه ٧/ ٢٨٣ ح٣٠١٣ كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذُهب به إلى أمه الهاوية». قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن النسائي ٢/ ٣٩٥ ح١٧٢٩. وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: أرواح الموتى هل تجتمع بعضها ببعض أم لا؟ فأجاب رحمه الله: أرواح الأحياء إذا قبضت تجتمع بأرواح الموتى، ويسأل الموتى القادم عليهم عن حال الأحياء، ثم ذكر الحديث السابق، قال: وصحّح الحديث أبو محمد عبد الحق صاحب الأحكام، وأما أرواح الموتى فتجتمع الأعلى ينزل إلى الأدنى، والأدنى لا يصعد إلى الأعلى. انظر: مجموع الفتاوى ٢٤/ ٣٠٣، ٣٦٨؛ وكتاب الروح لابن القيم، المسألة الثانية ص١٧ وما بعدها.

(١) في (الزهد): يلقون. (٢) في (الزهد): ليسألوه.

(٣) في الزهد (الزوائد) ص(٤٢) ح١٦٥.

عبد الرحمٰن بن جُبير بن نُفَيْرٍ: أن أبا الدرداء كان يقول: «إن أعمالكم تُعرض على موتاكم فيُسرون، ويُساؤون»، قال: يقول أبو الدرداء: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً يُخْزَى به عبد الله بن رواحة.

قال **المبارك**[١]: وأخبرنا عبد الله بن عبد الرحمٰن بن يَعْلى الثقفي قال: أخبرني عثمان بن عبد الله بن أوس أن سعيد بن جبير قال له: استأذن لي على بنت أخي، وهي زوجة عثمان، وهي ابنة عمرو بن أوس، فاستأذنت له عليها، فدخل عليها ثم قال: كيف يفعل[٢] بك زوجك؟ قالت: إنه إليّ[٣] لمحسن فيما استطاع، فالتفت إليّ ثم قال: يا عثمان أحسن إليها فإنك لا تصنع بها شيئاً إلا جاء عمرو بن أوس، فقلت: وهل يأتي الأموات أخبار الأحياء؟ قال: نعم ما من أحد له حميم إلا ويأتيه أخبار أقاربه فإن كان خيراً سُرّ به وفرح وهنئ به، وإن كان شراً ابتأس وحزن به، حتى إنهم يسألون عن الرجل قد مات فيقال: ألم يأتكم؟ فيقولون: لا خولف به إلى أمه الهاوية.

وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال: إذا قُبض روح العبد المؤمن عُرج به إلى السماء فتلقاه أرواح المؤمنين فيسألونه فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقال: أوَ لم يأتكم؟ فيقولون: لا والله ما جاءنا ولا مرّ بنا سُلِكَ به إلى أمه الهاوية فبئست الأم، وبئست المربية[٤].

---

(١) في الزهد ص(١٥١) ح٤٤٧؛ وقوّام السنّة في الحجة في بيان المحجة ٢/ ٣١١.

(٢) في (الزهد): فعل.

(٣) (إليّ): ليست في (الزهد).

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه ٢/ ٥٨١ ح٣٩٦٨ وقال بعده: هذا حديث مرسل صحيح الإسناد.

فَصْلٌ

هذه الأخبار وإن كانت موقوفة فمثلها لا يقال من جهة الرأي، وقد خرّج **النسائي**[١] بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال الحديث وفيه: «فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه، يقدم عليه فيسألونه ما فعل فلان، ما فعلت فلانة؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: ما أتاكم؟ فيقولون: ذُهب به إلى أمه الهاوية...» وذكر الحديث.

وقد قيل في قوله عليه السلام: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[٢]، إنه هذا التلاقي، وقد قيل: تلاقي أرواح النيام والموتى[٣]، وقد قيل: غير ذلك، والله تعالى أعلم بالصواب.

بَابٌ
كيفية التوفي للموتى

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، وقال:

---

(١) في المجتبى ٤/ ٨ ح١٨٣٣، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن النسائي ٢/ ٣٩٥؛ وابن حبان في صحيحه ٧/ ٢٤٨ ح٣٠١٤ كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه باختلاف يسير.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ١٢١٣ ح٣١٥٨؛ ومسلم ٤/ ٢٠٣١ ح٢٦٣٨.

(٣) انظر شواهد تلاقي أرواح النيام مع أرواح الموتى في: كتاب الروح لابن القيم ص(٢٠).

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]، قالوا: وهذا مخصوص بمن قُتل من الكفار يوم بدر باتفاق أهل التأويل فيما قاله بعض علمائنا[١].

روى **مسلم**[٢] من حديث فيه طول، قال أبو زُمَيْل[٣]: فحدثني ابن عباس قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربةً بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حَيْزُوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه[٤]، وشق وجهه كضربة السوط فاخضرّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدّث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثانية»، فقتلوا يومئذٍ سبعين، وأسروا سبعين، وذكر الحديث.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ أي بالعذاب ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ إلى قوله: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٨/ ٨٩.

(٢) في الصحيح ٣/ ١٣٨٣ ح١٧٦٣.

(٣) سِماك بن الوليد الكوفي، أبو زُميل، روى عن ابن عباس وابن عمر ﷺ. السير ٥/ ٢٤٩.

(٤) من خطمت البعير: إذا وسمته بالكيّ بخطٍّ من الأنْفِ إلى أحد خدَّيه. انظر: الفائق في غريب الحديث ١/ ٣٨٢.

باب

ما جاء أن الروح إذا قبض تبعه البصر

ابن ماجه[١] عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، أخرجه مسلم أكمل من هذا وقد تقدم[٢].

وروى **مسلم**[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره؟ قالوا: بلى، قال: فذلك حين يتبع بصرُه نفسَه».

فصل

في قوله عليه السلام: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، وقوله: «فذلك حين يتبع بصره نفسه»، ما يستغنى به عن قول كل قائل في الروح والنفس، وأنهما اسمان لمسمى واحد[٤].

---

(١) في سننه ١/ ٤٦٧ ح١٤٥٤. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٢٤٥ ح١١٨٩.

(٢) انظر ص(٤٧).

(٣) في الصحيح ٢/ ٦٣٥ ح٩٢١.

(٤) قال ابن القيم: قول الجمهور أن مسماهما واحد، ثم قال: والفرق بينهما فرق بالصفات لا فرق بالذات، ثم ذكر الإطلاقات المشتركة بين النفس والروح، وما يخص كل واحدٍ منهما. انظر: كتابه الروح ص(٢١٨). وقال ابن العز الحنفي: فالنفس تُطلق على الروح، ولكن غالب ما تُسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إن أُخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها. شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٥٦٧.

باب

ما جاء في تزاور الأموات في قبورهم واستحسان الكفن لذلك

مسلم(١) عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه».

وخرّج أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوايلي السجستاني(٢) الحافظ في كتاب الإبانة(٣) له عن مذهب السلف الصالح في القرآن وإزالة شبه الزائغين بواضح البرهان، حدثنا هبة الله بن إبراهيم بن عمر قال: حدثنا علي بن الحسين بن بندار قال: حدثنا أبو عروبة قال: حدثنا محمد بن المصفى قال: حدثنا معاوية قال: حدثنا إبراهيم بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم(٤)»(٥).

وقال ابن المبارك: أحبّ أن يكفّن في ثيابه التي كان يصلي فيها(٦).

---

(١) في صحيحه ٢/ ٦٥١ ح٩٤٣.

(٢) الإمام العالم الحافظ شيخ السنّة أبو نصر السجزي، الوائلي البكري السجستاني، مصنف كتاب الإبانة الكبرى في أن القرآن غير مخلوق، وهو مجلد كبير دالّ على سعة علم، توفي سنة ٤٤٤هـ. سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٥٤.

(٣) هذا الكتاب مفقود، يسّر الله العثور عليه.

(٤) قال ابن القيم: الأرواح قسمان: أرواح معذبة، وأرواح منعمة، فالمعذبة في شغل مما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي، والأرواح المنعمة هي المرسلة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان بينها في الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على عملها. الروح لابن القيم ص(١٧).

(٥) قال ابن حجر العسقلاني: أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن. فتح الباري ١١/ ٣٨٦.

(٦) ذكره الترمذي في جامعه ٣/ ٣١٩؛ والزمخشري في ربيع الأبرار ٤/ ١٧٩.

بَابٌ
الإسراع بالجنازة وكلامها

البخاري[١] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كان النبي ﷺ يقول: «إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني، قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها، فيسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه صعق».

البخاري[٢] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها عليه، وإن يك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم»، أخرجه مسلم[٣] أيضاً.

فَصْلٌ

صعق: مات، والإسراع قيل معناه: الإسراع بحملها إلى قبرها في المشي، وقيل: تجهيزها بعد الموت لئلا تغير، والأول أظهر؛ لما رواه **النسائي**[٤] قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال: حدثنا خالد قال: حدثنا عيينة بن عبد الرحمٰن قال: حدثني أبي قال: شهدت جنازة عبد الرحمٰن بن سمرة وخرج زياد يمشي بين يدي السرير فجعل رجال

---

(١) في صحيحه ١/ ٤٤٢ ح١٢٥١.
(٢) في الصحيح ١/ ٤٤٢ ح١٢٥٢ واللفظ له.
(٣) في صحيحه ٢/ ٦٥١ ح٩٤٤.
(٤) في المجتبى ٤/ ٤٢ ح١٩١٢؛ وأحمد في المسند ٥/ ٣٨ ح٢٠٤١٦؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٢٢ ح٦٦٣٨. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن النسائي ٢/ ٤١٢ ح١٨٠٤.

من أهل عبد الرحمٰن ومواليهم يستقبلون السرير ويمشون على أعقابهم ويقولون: رويداً رويداً بارك الله فيكم فكانوا يدبون[١] حتى إذا كنا ببعض الطريق[٢] لحقنا أبو بكرة ﵁ يمشي على بغلة، فلما رأى الذين[٣] يصنعون حمل عليهم ببغلته وأهوى إليهم بالسوط وقال: خلوا فوالذي كرّم وجه أبي القاسم لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ وإنا لنكاد نرمل بها رملاً فانبسط القوم»، صححه أبو محمد عبد الحق[٤].

قال أبو عمر ابن عبد البر: والذي عليه جماعة أهل العلم في ذلك: الإسراع فوق السجية قليلاً، والعجلة أحبّ إليهم من الإبطاء، ويكره الإسراع الذي يشق على ضعفة من يتبعها[٥].

وقال إبراهيم النخعي: بطئوا ولا تدبّوا دبيب اليهود والنصارى[٦].

السجية: العادة.

باب

يدفن العبد في الأرض التي خُلق منها

أبو عيسى الترمذي[٧] عن مطر بن عُكَامِس ﵁ قال: قال

---

(١) في (سنن النسائي): يدبون دبيباً.

(٢) في (سنن النسائي): ببعض طريق المربد.

(٣) في (سنن النسائي): رأى الذي.

(٤) ذكر أبو محمد عبد الحق طرفاً من الحديث في أحكامه الشرعية الصغرى ٢/ ٣٣٤، والحكم عليه بالصحة مستفاد من شرطه ذلك في مقدمة كتابه. انظر: مقدمته ١/ ٧١.

(٥) التمهيد ١٦/ ٣٣ ـ ٣٤.

(٦) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ١٦/ ٣٤.

(٧) في جامعه ٤/ ٤٥٢ ح٢١٤٦؛ وابن ماجه ٢/ ١٤٢٤ ح٤٢٦٣؛ وأحمد في المسند ٥/ ٢٢٧ ح٢٢٠٣٥؛ وابن حبان في صحيحه ١٤/ ١٩ ح٦١٥١. =

رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة». قال أبو عيسى: وفي الباب عن أبي عزة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة ـ أو قال: ـ بها حاجة»[1]. قال: هذا حديث صحيح، وأبو عزة له صحبة، واسمه يسار بن عُبيد.

وأنشدوا[2]:

إذا ما حِمَام المرء كان ببلدة ... دعته إليها حاجة فيطير

وروى **الترمذي** الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يطوف ببعض نواحي المدينة فإذا بقبر يُحفر فأقبل حتى وقف عليه، فقال: «لمن هذا؟» قيل: لرجل من الحبشة، فقال: «لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دُفن في الأرض التي خُلق منها».

وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان أجل العبد بأرض أوثبته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله، فتقول الأرض يوم القيامة: رب هذا ما استودعتني»، خرّجه **ابن ماجه**[4].

= قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الترمذي له ٢/ ٢٢٧ ح١٧٤٥.

(١) الترمذي في جامعه ٤/ ٤٥٣ ح٢١٤٧؛ وأحمد في مسنده ٣/ ٤٢٩ ح١٥٥٧٨؛ وابن حبان في صحيحه ١٤/ ١٩ ح٦١٥١؛ والبخاري في الأدب المفرد ص(٢٧٣) ح٧٨٠. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٢٢٧ ح١٧٤٦.

(٢) ذكره صاحب المستطرف في كل فن مستظرف ٢/ ٥٧٥، ولم ينسبه إلى أحد.

(٣) نوادر الأصول ١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧، ولم يذكر له سنداً؛ وأخرجه الحاكم في مستدركه ١/ ٥٢١ ح١٣٥٦؛ والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ١٧٣ ح٩٨٩١. قال أبو عبد الله الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ولهذا الحديث شواهد، وأكثرها صحيحة. ثم سرد بعضها.

(٤) في سننه ٢/ ١٤٢٤ ح٤٢٦٣؛ والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ١٨٦ =

فصل

قال علماؤنا[١] رحمة الله عليهم: فائدة هذا الباب تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة، والخروج عن المظلمة، وقضاء الدين، وإثبات الوصية بما له وعليه في الحضر فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر؛ فلا يدري أين كُتبت منيته من بقاع الأرض، أنشد بعضهم:

مشينا في خطاً كُتبت علينا ومن كُتبت عليه خُطاً مشاها
وأرزاق لنا متفرقات فمن لم تأته منا أتاها
ومن كُتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

باب

ما يتبع الميت إلى قبره وبعد موته وما يبقى معه فيه

مسلم[٢] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله».

وروى **أبو نعيم**[٣] من حديث قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبع يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره: من علَّم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى

= ح١٠٤٠٣؛ والحاكم في المستدرك ١/ ١٠١ ح١٢٣. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٢٠ ح٣٤٣٨.

(١) ذكره صاحب المستطرف ٢/ ٥٥٣، ولم ينسبه لأحد.

(٢) في الصحيح ٤/ ٢٢٧٣ ح٢٩٦٠؛ والبخاري في الصحيح ٥/ ٢٣٨٨ ح٦١٤٩.

(٣) في الحلية ٢/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤، حسّنه الألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/ ٦٧٤ ح٣٦٠٢.

مسجداً، أو ورّث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته»، هذا حديث غريب من حديث قتادة تفرد به أبو نعيم عبد الرحمٰن بن هانئ النخعي عن العزرمي محمد بن عبد الله عن قتادة، وخرّجه **ابن ماجه**[(١)] من حديث الزهري: حدثني أبو عبد الله الأغر عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علمه ونشره، أو ولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته تلحقه من بعد موته».

باب

ما جاء في هول المطلع[(٢)]

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد»[(٣)].

ولما طعن عمر بن الخطاب ﷺ قال له رجل: إني لأرجو أن لا يمس جلدك النار، فنظر إليه ثم قال: إن من غررتموه لمغرور، والله لو أن لي ما على الأرض لافتديت به من هول المطلع[(٤)].

وقال أبو الدرداء ﷺ: أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث: أضحكني مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك

---

(١) ١/ ٨٨ ح٢٤٢؛ وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ١٢١ ح٢٤٩٠. قال الألباني: حسن. انظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٤٦ ح١٩٨.

(٢) في الغريب لابن سلام ٣/ ٢٣٧: المطلع هو: موضع الاطلاع من إشرافٍ إلى انحدارٍ، فشبّه ما أشرف عليه من أمر الآخرة بذلك.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٣ ح١٤٦٠٤، قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص(٢٩١) ح٢٠٠٦.

(٤) سير الخلفاء الراشدين ص(٩١)، ملحق بسير أعلام النبلاء للذهبي.

بملء فيه لا يدري أرضى الله أم أسخطه، وأبكاني فراق الأحبة محمد ﷺ وحزبه، وأحزنني هول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى يوم تبدو السريرة علانية، ثم لا يدري إلى الجنة أو إلى النار، خرّجه ابن المبارك[١] قال: أخبرنا غير واحد عن معاوية بن قرة قال: قال أبو الدرداء... فذكره.

قال[٢]: وحدثنا محمد[٣] بلغ به أنس بن مالك قال: ألا أحدثكم بيومين وليلتين لم تسمع الخلائق بمثلهن: أول يوم يجيئك البشير من الله تعالى إما برضاه وإما بسخطه، ويوم تقف فيه على ربك آخذاً كتابك إما بيمينك وإما بشمالك، وليلة تستأنف فيها المبيت في القبور ولم تبت فيها ليلة قط، وليلة تمخض صبيحتها يوم القيامة[٤].

باب

ما جاء أن القبر أول منازل الآخرة وفي البكاء عنده وفي حكمه والاستعداد له

ابن ماجه[٥] عن هانئ مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى[٦] حتى يبل لحيته، فقيل له: تَذْكُر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول

(١) في الزهد له ص(٨٤) ح٢٤٩.
(٢) هذه الرواية ليست في الزهد لابن المبارك.
(٣) لعله محمد بن شهاب الزهري، كما في شعب الإيمان.
(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٨٨ ح١٠٦٩٧، قال البيهقي: هكذا روي موقوفاً.
(٥) في سننه ٢/ ١٤٢٦ ح٤٢٦٧. قال الألباني: حسن. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٢١ ح٣٤٤٢.
(٦) في (سنن ابن ماجه): يبكي.

منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه»، خرّجه **الترمذي**[1]، وزاد رزين قال: وسمعت عثمان ينشد على قبر[2]:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة   وإلا فإني لا أخالك ناجياً

ابن ماجه[3] عن البراء قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى، وأبكى من حوله حتى بلّ الثرى ثم قال: يا إخواني لمثل هذا فأعدّوا».

فَصْلٌ

القبر واحد القبور في الكثير، وأقبُر في القلة، ويقال للمدفن: مقبرة.

قال الشاعر[4]:

لكل أناس مقبر بفنائهم   فهم ينقصون والقبور تزيد

---

(١) في جامعه ٤/ ٥٥٣ ح٢٣٠٨؛ وأحمد في المسند ١/ ٦٣ ح٤٥٤؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٥٦ ح٦٨٥.

(٢) هذه الزيادة ليست في جامع الترمذي، والبيت ورد في عدد من المصادر ولم ينسب لعثمان رضي الله عنه، فقد ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى ٧/ ١٥٣؛ وابن المبارك في الزهد ص(٧٨ ـ ٧٩)؛ وابن حجر في الإصابة ٤/ ٤٩٩ كلهم أن المنشد: عسعس بن سلامة؛ وفي الحلية لأبي نعيم ٢/ ٢٤١؛ وصفوة الصفوة لابن الجوزي ٣/ ٢١٩؛ والزهد لابن أبي عاصم ١/ ٢٠٧، أن المنشد: صلة بن أشيم.

(٣) في سننه ٢/ ١٤٠٣ ح٤١٩٥؛ والحاكم في المستدرك ١/ ٩٧ ح١١٤. وقال الألباني: حسن. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٠٨ ح٣٣٨٣.

(٤) ذكره أبو تمام في ديوان الحماسة ص(٣٦٨)، ونسبه إلى عبد الله بن ثعلبة.

وحكم القبر أن يكون مسنماً[١] مرفوعاً على وجه الأرض قليلاً غير مبني بالطين والحجارة والجص فإن ذلك منهي عنه.

وروى **مسلم**[٢] عن جابر ﷺ قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يُجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يُبنى عليه»، وخرّجه **الترمذي**[٣] أيضاً عن جابر ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ «أن تُجصص القبور، وأن يُكتب عليها، وأن يُبنى عليها، وأن توطأ». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

قال علماؤنا[٤] رحمهم الله: كره مالك تجصيص القبور؛ لأن ذلك من المباهاة وزينة الدنيا وتلك منازل الآخرة وليس بموضع الزينة، وإنما يزين الميت في قبره عمله.

وأنشدوا:

إذا وليت أمور قوم ليلة فاعلم بأنك بعدها مسؤول
وإذا حَملتَ إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول
يا صاحب القبر المنقش سطحه ولعله من تحته مغلول

وفي صحيح **مسلم**[٥] عن أبي الهيّاج الأسدي[٦] قال: قال لي

(١) تسنيم القبر خلاف تسطيحه. الصحاح للجوهري ٥/ ١٩٥٥.
(٢) في الصحيح ٢/ ٦٦٧ ح٩٧٠.
(٣) في جامعه ٣/ ٣٦٨ ح١٠٥٢؛ والنسائي في المجتبى ٤/ ٨٦ ح٢٠٢٧؛ وابن ماجه ١/ ٤٩٨ ح١٥٦٢، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ١/ ٣٠٧ ح٨٤١.
(٤) لم أقف على القائل، وكراهية الإمام مالك لذلك في مدونته الكبرى ١/ ١٨٩.
(٥) ٢/ ٦٦٦ ح٩٦٩.
(٦) حيّان بن حصين أبو الهيّاج الأسدي، كوفي ثقة، روى عن عمر وعلي، وغيرهم. التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٥٣ رقم ٢٠٣؛ والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي ١/ ٣٥٩ رقم ١٢٨٧.

علي بن أبي طالب ﷺ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته.

وقال أبو داود في المراسيل[١] عن عاصم عن ابن أبي صالح: رأيت قبر النبي ﷺ شبراً، أو نحواً من شبر. يعني في الارتفاع.

قال علماؤنا: يسنم القبر ليعرف كي يحترم، ويمنع من الارتفاع الكثير الذي كانت الجاهلية تفعله فإنما كانت تعلي عليها، وتبني فوقها تفخيماً لها، وتعظيماً. وأنشدوا[٢]:

أرى أهل القصور[٣] إذا أميتوا ... بنوا فوق المقابر[٤] بالصخور
أبـوا إلا مـبـاهـاة وفـخـراً ... على الفقراء حتى في القبور
لعمرك لو كشفْت الترب عنهم[٥] ... فما تدري[٦] الغني من الفقير
ولا الجلد المباشر ثوب صوف ... من الجلد المباشر للحرير
إذا أكـل الـثـرى هـذا وهـذا ... فما فضل الغني على الفقير

يا هذا أين الذي: جمعته من الأموال، وأعددته للشدائد والأهوال، لقد أصبحت كفك عنه عند الموت خالية صفراً، وبدلت من بعد غناك وعزّك ذُلًّا وفقراً، فكيف أصبحت يا رهين أوزاره، ويا من سُلب من أهله وداره، ما كان أخفى عليك سبيل الرشاد، وأقلّ

(١) المراسيل مع الأسانيد لأبي داود السجستاني ص(٢١١).
(٢) ذكره صاحب نفح الطيب ٢/ ٧٣٣، ونسبه إلى الأمير الشاعر محمد بن عبد الرحمٰن بن الحكم.
(٣) في نفح الطيب: أهل اليسار.
(٤) في نفح الطيب: بنوا تلك المقابر.
(٥) في نفح الطيب: لعمر أبيهم لو أبصروهم.
(٦) في نفح الطيب: لما عُرف.

اهتمامك بحمل الزاد إلى سفرك البعيد، وموقفك الصعب الشديد، أو ما علمت يا مغرور أن لا بد من الارتحال إلى يوم شديد الأهوال، وليس ينفعك ثمَّ قيل ولا قال، بل يُعدّ عليك بين يدي الملك الديان ما بطشت اليدان، ومشت القدمان، ونطق به اللسان، وعملت الجوارح والأركان، فإن رحمك فإلى الجنان، وإن كانت الأخرى فإلى النيران، يا غافلاً عن هذه الأحوال إلى كم هذه الغفلة والتوان، أتحسب أن الأمر صغير، أو تزعم أن الخطب يسير، أو تظن أن سينفعك حالك إذا آن ارتحالك، أو ينقذك مالُك حين توبقك أعمالك، أو يغني عنك ندمك إذا زلّت بك قدمك، أو يعطف عليك معشرك حين يضمك محشرك، كلا والله ساء ما تتوهم، ولا بد لك أن ستعلم لا بالكفاف تقنع، ولا من الحرم تشبع، ولا للعظاة تسمع، ولا بالوعيد تردع، دأبك أن تنقلب مع الأهواء، وتخبط خبط العشواء، يعجبك التكاثر بما لديك، ولا تذكر ما بين يديك يا نائماً في غفلةٍ وفي خبطه يقظان، إلى كم هذه الغفلة والتوان؟ أتزعم أن ستترك سدى وأن لا تحاسب غداً، أم تحسب أن الموت يقبل الرِّشا أم يميز بين الأسد والرَّشا، كلا والله لا يدفع الموت عنك مال ولا بنون، ولا ينفع أهل القبور سوى العمل المبرور، فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادّعى، ونهى النفس عن الهوى، وعلم أن الفائز من ارعوى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النجم: ٣٩ ـ ٤٠] فانتبه من هذه الرقدة، واجعل العمل الصالح لك عِدة، ولا تتمنى منازل الأبرار وأنت مقيم على الأوزار وعامل بعمل الفجار، بل أكثر من الأعمال الصالحات، وراقب في الخلوات رب الأرض والسموات، ولا يغرنك الأمل فتزهد عن العمل، أو ما سمعت الرسول حيث يقول لما جلس على القبور: «إخواني لمثل هذا فأعدّوا»[1]، أو

---

(١) تقدم تخريجه ص(٨٨).

ما سمعت الذي خلقك فسوى يقول: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأنشدوا:

تزود من معاشك للمعاد ... وقم لله واعمل خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيراً ... فإن المال يجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

وقال آخر[١]:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزوَّدا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

وقال آخر:

الموت بحر طافح موجه ... تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إني قائل فاسمعي ... مقالة من مشفق ناصح
لا ينفع الإنسان في قبره ... غير التقى والعمل الصالح

وقال آخر:

أسلمني الأهل ببطن الثرى ... وانصرفوا عني فيا وحشتا
وغادروني معدماً بائساً[٢] ... ما يبدي اليوم إلا البكا
وكل ما كان كأن لم يكن ... وكل ما حذرته قد أتى
وذاكم المجموع والمقتنى ... قد صار في كفي مثل الهبا
ولم أجد لي مؤنساً ها هنا ... غير فجور موحش[٣] أوْثقى

---

(١) ذكره أحمد المقري في نفح الطيب ٦/ ٣٣٣.

(٢) في كتاب العاقبة: يائساً.

(٣) في كتاب العاقبة: غير فجور كان لي.

فلو تراني وترى حالتي ... بكيت لي يا صاح[١] مما ترى[٢]

وقال آخر[٣]:

ولدتك إذ ولدتك أمك باكياً ... والقوم حولك يضحكون سروراً

فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا ... في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

وروي عن محمد القرشي[٤] أنه قال: سمعت شيخنا يقول: أيها الناس إني لكم ناصح، وعليكم شفيق، فاعملوا في ظلمة الليل لظلمة القبر، وصوموا في الحر قبل يوم النشور، وحجوا يحط عنكم عظائم الأمور، وتصدَّقوا مخافة يوم عسير.

وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أيها المقبور في حفرته المتخلي في القبر بوحدته، المستأنس في بطن الأرض بأعماله ليت شعري بأي أعمالك استبشرت، وبأي إخوانك اغتبطت، ثم يبكي حتى تبتل عمامته، ويقول: استبشرَ واللهِ بأعماله الصالحة، واغتبط واللهِ بإخوانه المعاونين له على طاعة الله، وكان إذا نظر إلى القبور صرخ كما يصرخ الثور[٥]. وسيأتي أن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه[٦]، وما فيه من الموعظة إن شاء الله تعالى.

باب

ما جاء في اختيار البقعة للدفن

خرّج **البخاري**[٧] **ومسلم**[٨] عن أبي هريرة قال: «أُرسل ملك

---

(١) أي: يا صاحبي، وهو من الترخيم.

(٢) أورد هذه الأبيات أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة ص(١٠٣).

(٣) لم أقف على القائل.

(٤) لم أقف على ترجمة تعينه.

(٥) ذكره الغزالي في الإحياء ٤/٤٨٦.

(٦) انظر ص(٩٦).

(٧) في الصحيح ١/٤٤٩ ح١٢٧٤.

(٨) في الصحيح ٤/١٨٤٢ ح٢٣٧٢.

الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكَّه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: فرد الله عليه عينه، وقال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم مه، قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، وقال ﷺ: «لو كنت ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر».

وفي رواية قال: «جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها»[(١)]، وذكر نحوه **الترمذي**[(٢)] عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن مات بها»، صححه أبو محمد عبد الحق[(٣)].

وفي **الموطأ**[(٤)] أن عمر رضي الله عنه كان يقول: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ووفاة في بلد نبيك. وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهما قد عهدا أن يحملا من العقيق إلى البقيع مقبرة المدينة فدفنا بها؛ وذلك والله أعلم لفضل علموه هناك فإن فضل المدينة غير منكور، ولا مجهول، ولو لم يكن إلا مجاورة الصالحين، والفضلاء من الشهداء وغيرهم[(٥)].

---

(١) أخرجها مسلم ٤/ ١٨٤٣ ح٢٣٧٢.

(٢) في جامعه ٥/ ٧١٩ ح٣٩١؛ وابن ماجه ٢/ ١٠٣٩ ح٣١١٢؛ وأحمد في المسند ٢/ ٧٤ ح٥٤٣٧؛ وابن حبان في صحيحه ٩/ ٥٧ ح٣٧٤١، صحّحه الألباني. انظر: صحيح الترمذي له ٣/ ٢٤٩ ح٣٠٧٦.

(٣) لم أقف على إيراده للحديث في كتبه الآتية: الأحكام الشرعية الكبرى، والصغرى، والعاقبة.

(٤) الموطأ ٢/ ٤٦٢ ح٩٨٩؛ وأخرجه البخاري ٢/ ٦٦ ح١٧٩١.

(٥) جواب لو، غير مذكور في جميع النسخ، وتقديره: لكفى.

فَصْلٌ

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: البقاع لا تقدس[١] أحداً، ولا تطهره، وإنما الذي يقدسه من وَضَرِ[٢] الذنوب ودنسها: التوبة النصوح مع الأعمال الصالحة، أما أنه قد يتعلق بالبقعة تقديس ما وهو إذا عمل العبد فيها عملاً صالحاً ضوعف له بشرف البقعة مضاعفة تكفر سيئاته، وترجح ميزانه، وتدخله الجنة، وكذلك تقدسه إذا مات على معنى النفع لصالح العمل لا أنها توجب التقديس ابتداء.

وقد روى مالك[٣] عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ما أحبّ أن أدفن في البقيع، لأن أدفن في غيره أحبّ إليّ، ثم بيّن العلة فقال: مخافة أن تنبش لي عظام رجل صالح، أو نجاور فاجراً. وهذا يستوي فيه سائر البقاع فدل على أن الدفن بالأرض المقدسة ليس بالمجتمع عليه، وقد يستحسن الإنسان أن يدفن بموضع قرابته وإخوانه وجيرانه لا لفضل ولا لدرجة[٤].

بَابٌ

ما جاء في كلام القبر كل يوم وكلامه للعبد إذا وضع فيه

وخرّج هناد[٥] بن ....

(١) القُدْسُ والقُدُسُ: الطُّهْر، والتقديس: التطهير. الصحاح ٣/ ٩٦٠.

(٢) الوضر: الدرن. الصحاح ٢/ ٨٤٦.

(٣) ذكر هذه الرواية عنه ابن عبد البر في كتابه التمهيد ٢١/ ٢١٨.

(٤) من قوله ثم بين العلة إلى هنا نص كلام ابن عبد البر في التمهيد ٢١/ ٢١٨.

(٥) هناد بن السَّرِيّ بن مصعب بن أبي بكر، أبو السري التميمي الدارمي، الإمام =

السِّرِيِّ[(١)] قال: حدثنا حسين الجعفي عن مالك بن مغول عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: يجعل الله للقبر لساناً ينطق به فيقول: ابن آدم كيف نسيتني؟ أما علمت أني بيت الأكلة، وبيت الدود، وبيت الوحدة، وبيت الوحشة.

قال[(٢)]: وحدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: إن القبر ليبكي يقول في بكائه: أنا بيت الوحشة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت الدود.

وذكر أبو عمر ابن عبد البر: روى يحيى بن جابر الطائي عن ابن عائذ الأزدي عن غضيف بن الحارث قال: أتيت بيت المقدس أنا وعبد الله بن عبيد بن عمير قال: فجلسنا إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول: إن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه فيقول: يا ابن

= القدوة الحافظ، روى عنه مسلم والأربعة، ثقة، توفي سنة ٢٤٣هـ. انظر: الكاشف للذهبي ٢/ ٣٣٩ رقم ٥٩٨٧؛ والسير له ١١/ ٤٦٥؛ وتقريب التهذيب ص(٥٧٤) رقم ٧٣٢٠.

(١) رواه في كتابه الزهد ١/ ٢٠٩ ح٣٤١، بسند رجاله ثقات، أما الجعفي فهو: حسين بن الوليد الكوفي، وثقه يحيى بن معين وغيره. انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨. وأما مالك فهو ابن مغول بن عاصم، قال أحمد ويحيى بن معين: ثقة. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ١٧٤. وأما عبد الله: فهو ابن عبيد بن عمير الليثي المكي، وثقه أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ١٠١ رقم ٤٦٧. وأما عبيد: فهو ابن عبيد بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي، مجمع على ثقته. التقريب ص(٣٧٧) رقم ٤٣٨٥.

(٢) أي: هناد في الزهد ١/ ٢٠٩ ح٣٤٢ وإسناده صحيح، والسند كسابقه عدا وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الكوفي فهو ثقة حافظ عابد. انظر: تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي ٣٠/ ٤٦٢، ٤٦٦ رقم ٦٦٩٥؛ والتقريب ص(٥٨١) رقم ٧٤١٤.

آدم ما غرّك بي؟! ألم تعلم أني بيت الوحدة؟ ألم تعلم أني بيت الظلمة؟ ألم تعلم أني بيت الحق؟ يا ابن آدم ما غرَّك بي؟ لقد كنت تمشي حولي فَدَّاداً، قال ابن عايد: قلت لغضيف: ما الفداد يا أبا أسماء؟ قال: كبعض مشيتك يا ابن أخي، قال غضيف: فقال صاحبي وكان أكبر مني لعبد الله بن عمرو: فإن كان مؤمناً فماذا له؟ قال: يوسع له في قبره، ويجعل منزله أخضر، ويعرج بروحه إلى السماء. ذكره في كتاب التمهيد[١].

وذكر أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة[٢]: عن أبي الحجاج الثمالي[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول القبر للميت إذا وضع فيه: ويحك يا ابن آدم ما غرّك بي؟ ألم تعلم أني بيت الفتنة، وبيت الظلمة، وبيت الدود؟ ما غرك بي إذ كنت تمر بي فداداً؟ قال: فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول: أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال: فيقول القبر: فإني أعود عليه خضراً، ويعود جسده نوراً، وتصعد روحه إلى رب العالمين». ذكر هذا الحديث أبو أحمد الحاكم[٤]

---

(١) ١٨/ ١٤٥ بسند حسن، فيحيى بن جابر الطائي: صدوق، قاله الذهبي في الكاشف ٢/ ٣٦٣ رقم ٦١٤٣، وابن عائذ هو عبد الرحمن بن عائذ الأزدي الثمالي الحمصي، وثقه النسائي. انظر: الكاشف ١/ ٦٣٢ رقم ٣٢٣٢، وغضيف ويقال: غطيف بن الحارث بن زنيم السكوني الكندي، مختلف في صحبته، وثقه الدارقطني والعجلي. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٨/ ٢٢٣ رقم ٤٦٠.

(٢) العاقبة ص(١٨٩).

(٣) هو: عبد الله بن عبد، ويقال: ابن عابد، ويقال: عبد بن عبد الثمالي، أبو الحجاج، وثمالة بطن من الأزد، له صحبة. الإصابة لابن حجر ٤/ ١٦٣ رقم ٤٨٠٩.

(٤) الحافظ محدث خراسان، محمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الكربيسي، أبو أحمد الحاكم الكبير، مؤلف كتاب الكُنى، توفي سنة ٣٧٨هـ. السير ١٦/ ٣٧٠.

في كتاب الكنى[١]، وذكره أيضاً قاسم بن أصبغ[٢] قال: قيل لأبي الحجاج: ما الفداد؟ قال: الذي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، يعني الذي يمشي مشية المتبختر.

وذكر **ابن المبارك**[٣] حدثنا داود بن نافذ[٤] قال: سمعت عبد الله عبيد بن عمير يقول: بلغني أن الميت يقعد في حفرته وهو يسمع وخط مشيعيه ولا يكلمه شيء أول من حفرته فتقول: ويحك يا ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي وظلماتي[٥]، ونتني وهولي، هذا ما أعددت لك فما أعددت لي؟

الوخط والوخد: سرعة السير في المشي.

وقال سفيان الثوري: من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار[٦].

وقال أحمد بن حرب[٧]: تتعجب الأرض ممن يمهد مضجعه،

---

(١) كتاب الأسامي والكنى لأبي أحمد الحاكم ٤/ ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) قاسم بن أَصْبَغ بن محمد بن ناصح، الحافظ محدث الأندلس، أبو محمد القرطبي، له كتاب: مسند مالك، والمنتقى في الآثار، والأنساب، وبر الوالدين، توفي سنة ٣٤٠هـ. السير ١٥/ ٤٧٢.

(٣) زوائد الزهد لابن المبارك ص(٤١) ح١٦٣.

(٤) قال البخاري في التاريخ الكبير ٣/ ٢٣٧ رقم ٨٠٥؛ وأبو حاتم في الجرح والتعديل ٣/ ٤٢٦ رقم ١٩٤٠ في داود بن نافذ: سمع عبد الله بن عبيد بن عمير.اهـ. ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٥) في (زوائد الزهد): ظلمتي.

(٦) ذكره أبو محمد في العاقبة ص(١٩٥ ـ ١٩٦).

(٧) أحمد بن حرب بن فيروز، أبو عبد الله شيخ نيسابور، سمع من سفيان بن عيينة وغيره، له كتاب: الزهد، وعيال الله، والدعاء، والحكمة، وغير ذلك، مات سنة ٢٣٤هـ. السير ١١/ ٣٢.

ويسوي فراشه للنوم، وتقول: يا ابن آدم ألا تذكر طول رقادك في جوفي وما بيني وبينك شيء[(١)].

وقيل لبعض الزهاد: ما أبلغ العظات؟ قال: النظر إلى محلة الأموات[(٢)].

ولقد أحسن أبو العتاهية[(٣)] حيث يقول:

وعظتك أجداث صمت ... ونعتك أزمنة خفت
وتكلمت عن أوجه تبلى ... وعن صور سبت[(٤)]
وأرتك نفسك في القبور ... وأنت حي لم تمت

باب

ما جاء في ضغطة القبر على صاحبه وإن كان صالحاً

النسائي[(٥)] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضُمّ ضمة ثم فرج الله[(٦)] عنه. قال أبو عبد الرحمٰن النسائي: يعني سعد بن معاذ.

ومن حديث شعبة بن الحجاج بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

---

(١) ذكره أبو محمد في العاقبة ص(١٩٦).
(٢) ذكره أبو محمد في العاقبة ص(١٩٤).
(٣) ديوان أبي العتاهية ص(٩٢).
(٤) المسبوت: الميت والمغشي عليه. الصحاح ١/ ٢٥١. وفي الديوان: شتت.
(٥) في المجتبى ٤/ ١٠٠ ح٢٠٥٥؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٥٠٥ ح٧٠٣٣؛ وأحمد في المسند ٣/ ٣٢٧ ح١٤٥٤٥؛ والطبراني في الكبير ٦/ ١٠ ح٥٣٣٣، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن النسائي ٢/ ٤٤١ ح١٩٤٢.
(٦) لفظ (الجلالة): ليس في المجتبى.

قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ»[(١)].



وما جاء أن الميت يعذب ببكاء أهله وهم من شر الناس له

ذكر **البخاري**[(٢)] من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أغمي على عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فجعلت أخته عَمْرة تبكي عليه: واجَبلاه، واكذا واكذا، تُعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قلت لي شيئاً إلا قيل لي: أنت كذلك؟ فلما مات لم تبك عليه.

وهذا لم يكن من سنة عبد الله بن رواحة ولا من اختياره ولا مما وصّى به، منصبه في الدين أجل وأرفع من أن كان يأمر بهذا أو يوصي به.

قال **المؤلف**: وهذا بظاهره أن بنفس الصياح يقول يقع التعذيب، وليس كذلك[(٣)] وإنما هو محمول على ما ذكرنا، والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٧/ ٣٧٩ ح٣١١٢؛ وأحمد ٦/ ٥٥ ح٢٤٣٢٨؛ والطبراني في الكبير ١٠/ ٣٣٤ ح١٠٨٢٧، قال الهيثمي: رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وإسناده صحيح، وقال أيضاً: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله موثوقون. انظر: مجمع الزوائد ٣/ ٤٦ ـ ٤٧.

(٢) في صحيحه ٤/ ١٥٥٥ ح٤٠١٩.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما تعذيب الميت فهو لم يقل: إن الميت يعاقب ببكاء أهله عليه بل قال: يعذب، والعذاب أعم من العقاب، فإن العذاب هو الألم، وليس كل من تألم بسبب كان ذلك عقاباً له على ذلك السبب، فإن النبي ﷺ قال: «السفر قطعة من العذاب..»، فسمى السفر عذاباً وليس هو عقاباً، والإنسان يعذب بالأمور المكروهة التي يشعر بها، مثل: الأصوات الهائلة، والأرواح الخبيثة، والصور القبيحة، فهو يتعذب بسماع هذا وشم هذا، ولم يكن ذلك عملاً له عوقب عليه، فكيف يُنكَر أن يعذب الميت =

وقال الحسن: إن من شر الناس للميت أهله يبكون عليه ولا يقضون دَينه[١].

باب

الوقوف عند القبر قليلاً بعد الدفن والدعاء بالتثبيت له

مسلم[٢] عن ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت... الحديث وفيه: فإذا دفنتموني فشنوا عليَّ التراب شنًّا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور وتقسم لحمها؛ حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي ﷻ.

أخرجه ابن المبارك[٣] بمعنى حديث مسلم من حديث ابن لهيعة قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب أن عبد الرحمٰن بن شماسة حدثه وقال فيه: وشدوا عليّ إزاري فإني مخاصم، وشنّوا عليّ التراب شنّاً، فإن جنبي الأيمن ليس بأحق بالتراب من جنبي الأيسر، ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حجراً، وإذا واريتموني فاقعدوا عند قبري قدر نحر جزور وتقطيعها أستأنس بكم.

أبو داود[٤] عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت فإنه الآن يُسأل».

= بالنياحة وإن لم تكن النياحة عملاً له يعاقب عليه؟! مجموع الفتاوى ٢٤/ ٣٧٤.

(١) لم أقف على هذا الأثر.

(٢) في الصحيح ١/ ١١٢ ح ١٢١.

(٣) في الزهد ص(١٤٧ ـ ١٤٨) ح٤٤٠.

(٤) في سننه ٣/ ٢١٥ ح٣٢٢١؛ والحاكم في مستدركه ١/ ٥٢٦ ح١٣٧٢؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٥٦ ح٦٨٥٦، صحّحه الألباني. انظر: صحيح أبي داود ٢/ ٦٢٠ ح٢٧٥٨.

فَصْلٌ

قال الآجري[١] في كتاب النصيحة[٢]: يستحب الوقوف بعد الدفن قليلاً والدعاء للميت مستقبل وجهه بالثبات فيقال: اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منّا ولا نعلم منه إلا خيراً وقد أجلسته لتسأله، اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبّته بالقول الثابت في الحياة الدنيا، اللهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد ﷺ ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره.

وقال أبو عبد الله الترمذي[٣]: فالوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت دفنه مَدَدٌ للميت بعد الصلاة؛ لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له، والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مدد العسكر، وتلك ساعة شغل للميت؛ لأنه يستقبله هول المطلع وسؤال وفتنة فتَّاني القبر على ما يأتي[٤].

والجَزور بفتح الجيم من الإبل، والجزرة من الضأن والمعز خاصة، قاله في الصحاح[٥].

فَصْلٌ

قول عمرو بن العاص رضي الله عنه: فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا

(١) الإمام المحدث أبو بكر، محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، صاحب التصانيف منها: الشريعة في السنّة، وكتاب الرؤية، وكتاب الغرباء، وغير ذلك، توفي سنة ٣٦٠هـ. السير ١٦/ ١٣٣.

(٢) نسب ابن النديم الكتاب إليه أيضاً، قال: وله كتاب النصيحة ويحتوي على عدة كتب في الفقه. انظر: الفهرست ص(٣٠١)، ولم أقف على كتاب النصيحة مطبوعاً ولا مخطوطاً.

(٣) في نوادر الأصول ٣/ ٢٢٦.

(٤) ص(١٠٦).

(٥) الصحاح للجوهري ٢/ ٦١٢.

نار، توصية منه باجتناب هذين الأمرين؛ لأنهما من عمل الجاهلية، ولنهي النبي ﷺ.

قال العلماء: ومن ذلك: الضجيج بذكر الله سبحانه أو بغير ذلك حول الجنائز، والبناء على المقابر، والاجتماع في الجبّانات والمساجد للقراءة وغيرها لأجل الموتى، وكذلك الاجتماع إلى أهل الميت وصنيعة الطعام، والمبيت عندهم، كل ذلك من أمر الجاهلية، ونحو منه الطعام الذي يصنعه أهل الميت في اليوم السابع فيجتمع له الناس يريدون بذلك القربة للميت والترحم عليه. وهذا محدث لم يكن فيما تقدم، ولا هو فيما يحمده العلماء، قالوا: وليس ينبغي للمسلمين أن يقتدوا بأهل الكفر، وينهى كل إنسان أهله عن الحضور لمثل هذا أو شبهه من لطم الخدود ونشر الشعور، وشق الجيوب، واستماع النوح، وكذلك الطعام الذي يصنعه أهل الميت كما ذكرنا فيجتمع عليه النساء والرجال من فعل قوم لا خلاق لهم.

وقال أحمد بن حنبل: هو من فعل أهل الجاهلية، وقيل له: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً»[(١)]؟ فقال: لم يكونوا هم اتخذوا وإنما اتُّخذ لهم[(٢)].

فهذا كله واجب على الرجل أن يمنع منه، ولا يرخص لهم، فمن أباح ذلك لأهله فقد عصى الله ﷻ، وأعانهم على الإثم والعدوان، والله تعالى يقول: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ٣/ ٣٢٣ ح٩٩٨؛ وأبو داود في السنن ٣/ ١٩٥ ح٣١٣٢؛ وابن ماجه في سننه ١/ ٥١٤ ح١٦١٠، حسّنه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٢٦٨ ح١٣٠٦.

(٢) لم أقف على من نسب هذا القول للإمام أحمد غير المصنف.

قال العلماء[١]: معناه: أدّبوهم وعلّموهم.

وروى ابن ماجه[٢] في سننه عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام من النياحة. وفي حديث شجاع بن مخلد[٣] قال: كانوا يرون إسناده صحيحاً.

وذكر الخرائطي عن هلال بن حباب قال: الطعام على الميت من أمر الجاهلية.

وخرّج الآجري عن أبي موسى قال: ماتت أخت لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقلت لامرأتي: اذهبي فعزيهم وبيتي عندهم، فقد كان بيننا وبين آل عمر الذي كان، فجاءت فقال: ألَم آمرك أن تبيتي عندهم؟ فقالت: أردت أن أبيت فجاء ابن عمر فأخرجنا، وقال: اخرجن لا تبيتن أختي بالعذاب.

وعن أبي البحتري[٤] قال: بيتوتة الناس عند أهل الميت ليست إلا من أمر الجاهلية.

قال المؤلف: وهذه الأمور كلها قد صارت عند الناس الآن سنّة وتركها بدعة، فانقلب الحال وتغيرت الأحوال.

قال ابن عباس: لا يأتي على الناس عام إلا أماتوا فيه سنّة

---

(١) نسبه ابن جرير الطبري في تفسيره لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ٢٨/ ١٦٥.

(٢) في السنن ١/ ٥١٤ ح١٦١٢؛ والطبراني في الكبير ٢/ ٣٠٧ ح٢٢٧٩، حسّنه الألباني ١/ ٢٦٩ ح١٣٠٨.

(٣) شجاع بن مخلد، أبو الفضل البغوي، وثقه ابن معين، وكان أحمد بن حنبل يقدمه، توفي سنة ٢٣٤هـ. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٣٧٩ رقم ١٦٥٥؛ ومولد العلماء ووفياتهم لمحمد بن زبر الربعي ٢/ ٥١٦.

(٤) لعله أبو البحتري سعيد بن فيروز، الكوفي الفقيه، حدّث عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري، توفي سنة ٨٢هـ. السير ٤/ ٢٧٩.

وأحيوا فيه بدعة حتى تموت السنن وتحيى البدع، ولن يعمل بالسنن وينكر البدع إلا من هوّن الله عليه إسخاط الناس يخالفهم فيما أرادوا، وينهاهم عما اعتادوا، ومن يسر لذلك أحسن الله تعويضه.

وقال ﷺ: «لا تزال في هذه الأمة عصابة يقاتلون على أمر الله لا يضرهم جدال من جادلهم، ولا عداوة من عاداهم»[١].

فَصْلٌ

ومن هذا الباب ما ثبت في **الصحيحين**[٢] عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

وفيهما[٣] أيضاً عن أبي بردة بن أبي موسى رضي الله عنه قال: وجع أبو موسى وجعاً فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فصاحت امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما أفاق قال: أنا بريء مما برئ منه رسول الله ﷺ، فإن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقّة.

وفي صحيح **مسلم**[٤] عن عبد الرحمٰن بن يزيد وأبي بردة بن أبي موسى قالا: أغمي على أبي موسى وأقبلت امرأة تصيح برنة، قالا: ثم أفاق، قال: ألم تعلمي، وكان يحدثها أن رسول الله ﷺ قال: «أنا بريء ممن حلق وسلق وخرق».

---

(١) هذا لفظ الطبراني في المعجم الكبير ١٩/ ٣٤٥ ح٨٠١؛ والحديث مخرّج في البخاري ٣/ ١٣٣١ ح٣٤٤١؛ ومسلم ٣/ ١٥٢٣ ح١٩٢١.

(٢) في البخاري ١/ ٤٣٥ ح١٢٣٢؛ ومسلم ١/ ١٠٣٩٩.

(٣) البخاري ١/ ٤٣٦ ح١٢٣٤؛ ومسلم ١/ ١٠٠ ح١٠٤.

(٤) ١/ ١٠٠ ح١٠٤.

ابن ماجه[١] عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ: «لعن الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور»، إسناده صحيح.

وقال حاتم الأصم[٢]: إذا رأيت صاحب المصيبة قد خرق ثوبه، وأظهر حزنه وعزيته فقد شركته في إثمه، وإنما هو صاحب منكر يحتاج إلى أن تنهاه.

وقال أبو سعيد البلخي[٣]: من أصيب بمصيبة فمزق ثوباً، أو ضرب صدراً فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربه ﷻ.

وأنشدوا:

عجبت لجازع باكٍ مصاب ... بأهل أو حميم ذي اكتئاب
شقيق الجيب داعي الويل جهلاً ... كأن الموت كالشيء العُجاب
وسوّى اللّه فيه الخلق حتى ... نبي اللّه منه لم يُحاب
له مَلَكٌ ينادي كل يوم ... لِدوا للموت وابنوا للخراب

باب

في سؤال الملكين للعبد وفي التعوذ من عذاب القبر وعذاب النار

البخاري[٤]: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) في السنن ١/ ٥٠٥ ح١٥٨٥؛ وابن حبان في صحيحه ٧/ ٤٢٧ ح٣١٥٦؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٦٤ ح٦٩١٣؛ والطبراني في الكبير ٨/ ١٣٠ ح٧٥٩١، صحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٢٦٤ ح١٢٨٩.

(٢) أبو عبد الرحمٰن حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي الواعظ، الأصم، توفي ٢٣٧هـ. السير ١١/ ٤٨٤.

(٣) الإمام الفقيه المحدث، خلف بن أيوب العامري، أبو سعيد البلخي، الحنفي الزاهد، مات سنة ٢٠٥هـ. السير ٩/ ٥٤١.

(٤) في الصحيح ١/ ٤٦٢ ح١٣٠٨.

«إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً».

قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح في قبره.

وقال **مسلم**[(١)]: سبعون ذراعاً، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون، ثم رجع إلى حديث أنس قال: «وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول كما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين».

قلت: ليس عند مسلم قول الملكين: «ولا تليت».

وقول الملكين: «ولا تليت»، قال النحويون: الأصل في هذه الكلمة الواو، أي: (ولا تلوت) إلا أنها قلبت ياء ليتبع بها دريت.

وقد جاء من حديث البراء: «لا دريت ولا تلوت» على ما رواه الإمام **أحمد بن حنبل**[(٢)] أي: لم تدر، ولم تتل القرآن، فلم تنتفع بدرايتك ولا تلاوتك، ثم رجع إلى حديث أنس إلى آخره، وإنما هو عند البخاري فحديثه أكمل.

ابن ماجه[(٣)] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الميت يصير

---

(١) في الصحيح ٤/ ٢٢٠٠ ح٢٨٧٠.
(٢) في المسند ٤/ ٢٩٥ ح١٨٦٣٧.
(٣) في سننه ٢/ ١٤٢٦ ح٤٢٦٨، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٢ ح٣٤٤٣.

إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له: فيمَ كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قِبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له قِبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشعوفاً فيقال له: فيمَ كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فيفرج له فرجة قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها، وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرفه الله عنك، ثم يفرج له فرجة إلى النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: هذا مقعدك، على الشك كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله».

الترمذي[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبر الميت، ـ أو قال: أحدكم ـ أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول فيه: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينوّر له فيه ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبّ أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله: لا

---

(١) في جامعه ٣/ ٣٨٣ ح١٠٧١؛ وابن حبان في صحيحه ٧/ ٣٨٦ ح٣١١٧، وحسّنه الألباني. انظر: صحيح الترمذي ١/ ٣١١ ح٨٥٦.

أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»، قال[١]: حديث حسن غريب.

أبو داود[٢] عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «دخل نخلاً لبني النجار فسمع صوتاً ففزع فقال: من أصحاب هذه القبور؟ قالوا: يا رسول الله ناس ماتوا في الجاهلية، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، ومن فتنة الدجال، قالوا: ومم ذاك يا رسول الله؟ قال: إن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول له: ما كنت تعبد؟ فإن الله هداه، قال: كنت أعبد الله، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، فما يُسأل عن شيء غيرها، فينطلق به إلى بيت كان له في النار فيقال له: هذا بيتك كان في النار، ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك به بيتاً في الجنة، فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشّر أهلي، فيقال له: اسكن، وإن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك فينتهره ويقول له: ما كنت تعبد؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري[٣] كنت أقول كما يقول الناس، فيضرب بمطارق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين».

وخرّج **أبو داود**[٤] أيضاً عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا

---

(١) أي: الترمذي.

(٢) في سننه ٤/٢٣٨ ح٤٧٥١، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود ٣/١٦٤ ـ ١٦٥ ح٤٥١.

(٣) (لا أدري): ليست في (سنن أبي داود).

(٤) في السنن ٤/٢٣٩ ح٤٧٥٣؛ وأحمد في المسند ٤/٢٨٧ ح١٨٥٥٧؛ والحاكم في المستدرك ١/٩٣ ح١٠٧، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح أبي داود ٣/ ٩٠١ ـ ٩٠٢ ح٣٩٧٩.

مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمَّا يُلْحَد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت[1] به في الأرض، فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً، قال: وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولّوا مدبرين، حين يقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ قال: ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: وما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قال فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقول له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، قال: فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، قال: ويفسح له فيه مد بصره، قال: وإن الكافر. . .» فذكر موته، قال: «وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرسول الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، قال: فينادي منادٍ أن كذب عبدي، فافرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، قال: فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه». زاد حديث جرير[2] قال: «ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً، قال: فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً ثم تعاد فيه الروح».

---

(١) في الصحاح ١/٢٦٩: النَكْتُ: أن تنكت في الأرض بقضيب، أي: تضرب بقضيب فتؤثر فيها.

(٢) قوله: زاد في حديث جرير، تابع لرواية أبي داود.

فَصْلٌ

جاء في حديث البخاري ومسلم: سؤال الملكين، وكذلك في حديث الترمذي ونص على اسميهما ونعتيهما.

وجاء في حديث أبي داود: سؤال ملك واحد.

وفي حديثه الآخر: سؤال ملكين.

ولا تعارض في ذلك، والحمد لله، بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص، فرُبّ شخص يأتيانه جميعاً في حال واحد عند انصراف الناس عنه؛ ليكون السؤال عليه أهول، والفتنة أشد في حقه وأعظم وذلك بحسب ما اقترف من الآثام، واجترح من سيئ الأعمال، وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه، وآخر يأتيه أحدهما على الانفراد فيكون ذلك أخف في السؤال، وأقل في المراجعة والعتاب والجواب لما عمله من صالح الأعمال.

وقد يحتمل حديث أبي داود وجهاً آخر: وهو أن الملكين يأتيانه جميعاً، ويكون السائل أحدهما وإن تشاركا في الإتيان فيكون الراوي اقتصر على الملك السائل وترك غيره؛ لأنه لم يقل في الحديث أنه لا يأتيه إلى قبره إلا ملك واحد، ولو قاله هكذا صريحاً لكان الجواب عنه ما بيّنّاه من أحوال الناس، والله أعلم، وقد يكون من الناس من يوقى فتنتهما، ولا يأتيه واحد منهما على ما يأتي[1] بيانه إن شاء الله تعالى.

واختلفت الأحاديث أيضاً في كيفية السؤال والجواب وذلك بحسب اختلاف أحوال الناس، فمنهم من يقتصر على سؤاله عن بعض اعتقاداته، ومنهم من يسأل عن كلها فلا تناقض.

---

(١) ص(١٢٩).

ووجه آخر: وهو أن يكون بعض الرواة اقتصر على بعض السؤال وأتى به غيره على الكمال، فيكون الإنسان مسؤولاً عن الجميع كما في حديث البراء المذكور، والله أعلم.

وقول المسؤول: «هاه هاه»، هي: حكاية صوت المبهوت من تعب أو جري أو حمل ثقيل.

باب

ذكر حديث البراء المشهور الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفي قبورهم

خرّجه أبو داود الطيالسي، في مسنده[(١)]، وهناد بن السري في زهده[(٢)]، وأحمد بن حنبل في مسنده[(٣)]، وغيرهم، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة[(٤)].

فأما أبو داود الطيالسي فقال: حدثنا أبو عوانة عن الأعمش.

وقال هناد وأحمد: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو.

وقال أبو داود[(٥)]: وحدثنا عمرو بن ثابت سمعه من المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء ـ يعني: ابن عازب رضي الله عنه ـ وحديث أبي عوانة أتمَّهما، قال البراء رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة

---

(١) ص(١٠٢) ح٧٥٣.
(٢) ١/ ٢٠٥ ح٣٣٩.
(٣) ٤/ ٢٨٧ ح١٨٥٥٧.
(٤) أخرجه أبو داود السجستاني في سننه ٤/ ٢٣٩ ح٤٧٥٣؛ والنسائي في المجتبى ٤/ ٧٨ ح٢٠٠١؛ وابن ماجه في سننه ١/ ٤٩٤ ح١٥٤٩، صحّحه الألباني. انظر: صحيح أبي داود ٣/ ٩٠١ ـ ٩٠٢ ح٣٩٧٩.
(٥) الطيالسي.

رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمَّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، ـ قال عمرو بن ثابت: وقع ولم يقله أبو عوانة[١] ـ فجعل يرفع بصره وينظر إلى السماء ويخفض بصره، وينظر إلى الأرض، ثم قال: «أعوذ بالله من عذاب القبر، ـ قالها مراراً، ثم قال: ـ إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول: اخرجي أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السقاء»، قال عمرو في حديثه ولم يقله أبو عوانة[٢]: «وإن كنتم ترون غير ذلك، وتنزل ملائكة من الجنة، بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنة، وحنوط من حنوطها، فيجلسون منه مد البصر، فإذا قبضها الملك لم يدعوها في يده طرفة عين، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، قال: فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت، فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح؟ فيقال: فلان، بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به أبواب السماء الدنيا، فيفتح له، ويشيعه من كل سماء مقرَّبوها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقال: اكتبوا كتابه في عليين: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين: ١٩ ـ ٢١] فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: ردوه إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى، قال: فترد إلى الأرض، وتعاد روحه في جسده، فيأتياه[٣]

(١) قوله: قال عمرو بن ثابت: وقع ولم يقله أبو عوانة، من نص حديث الطيالسي.
(٢) قوله: قال عمرو في حديثه ولم يقله أبو عوانة، من نص حديث الطيالسي.
(٣) في (الطيالسي): فيأتيه.

ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه، ويجلسانه فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث إليكم[١]؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به، وصدَّقت، قال: وذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال: وينادي منادٍ من السماء أن قد صدق عبدي، فألبسوه من الجنة، وأفرشوه من الجنة[٢]، وأروه منزله منها، ويفسح[٣] له مدّ بصره، ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، فيقول: أبشر بما أعدّ[٤] الله لك، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم، فيقول: بشّرك الله بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه الذي جاء بالخير، فيقول: هذا يومك الذي كنت توعد، والأمر الذي كنت توعد، أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله، بطيئاً عن معصية الله، فجزاك الله خيراً، فيقول: يا رب أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي، ـ قال: ـ فإن كان فاجراً وكان في قبل من الآخرة، وانقطاع من الدنيا جاءه ملك فجلس عند رأسه فقال: أخرجي أيتها النفس الخبيثة، أبشري بسخط من الله وغضب، فتنزل ملائكة سود الوجوه، معهم مسوح من نار، فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها في يده طرفة عين، قال: فتفترق في جسده فتستخرجها تقطع منها العروق والعصب كالسَّفُّود الكثير الشعب في الصوف المبلول، فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن ريح جيفة وجدت، فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة[٥]؟ فيقولون: هذا فلان بأسوأ

(١) في (الطيالسي): فيكم.
(٢) في (الطيالسي): وافرشوه منها.
(٣) في (الطيالسي): ويفتح.
(٤) في (الطيالسي): أعدّه.
(٥) في (الطيالسي): الخبيث.

أسمائه حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا[(١)] فلا يفتح له فيقولون: ردوه إلى الأرض، إني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى، قال: فيرمى به من السماء، قال: وتلا هذه الآية: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، قال: فتعاد إلى الأرض، وتعاد فيه روحه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه، ويجلسانه فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك، قال: فيقال: لا دريت، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذي جاء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله».

قال عمرو في حديثه عن المنهال عن زاذان عن البراء رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «فيقيض له أصم أبكم ومعه مرزبة لو ضُرِبَ بها جبلٌ صار تراباً، ـ أو قال: ـ رميماً، فيضربه ضربةً يسمعها الخلائق إلا الثقلين، ثم تعاد فيه الروح فيضربه ضربة أخرى». لفظ أبي داود الطيالسي[(٢)].

وخرّج أبو عبد الرحمٰن **النسائي**[(٣)] بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة

(١) في (الطيالسي): السماء الدنيا. (٢) في مسنده ٢/ ١٠٢ ح٧٥٣.
(٣) في المجتبى من السنن ٤/ ٨ ح١٨٣٣؛ وابن حبان في صحيحه ٧/ ٢٨٤ ح٣٠١٤، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن النسائي ٢/ ٣٩٥ ح١٧٢٩.

بيضاء، فيقولون: أخرجي راضية مرضية[١] عنك إلى رَوح وريحان، وربٍّ راضٍ غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ فيقولون: دعوه، فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: ما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية، وإن الكافر إذا حضر[٢] أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله، فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا[٣] به باب السماء[٤]، فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا[٥] به أرواح الكفار».

وخرّج **أبو داود الطيالسي**[٦] قال: حدثنا حماد[٧] عن قتادة عن أبي الجوزاء[٨] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قبض الله العبد المؤمن جاءته ملائكته الرحمة فتسلم[٩]، أو تسل نفسه في حريرة بيضاء، فيقولون: ما وجدنا ريحاً أطيب من هذه، فيسألونه، فيقولون: ارفقوا به، فإنه خرج من غم الدنيا، فيقولون: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ قال: وأما الكافر فتخرج نفسه، فتقول خزنة الأرض: ما وجدنا

(١) في (النسائي): مرضياً.
(٢) في (النسائي): احتضر.
(٣) في (النسائي): يأتون.
(٤) في (النسائي): باب الأرض.
(٥) في (النسائي): يأتون.
(٦) في مسنده ص(٣١٤) ح٢٣٨٩؛ وابن حبان في صحيحه ٧/ ٢٨٣ ح٣٠١٣، إسناده صحيح على شرط الشيخين. انظر: تعليق الأرناؤوط على حديث ابن حبان الإحالة نفسها.
(٧) هو حماد بن سلمة. انظر: تهذيب التهذيب ٨/ ٣١٦.
(٨) هو أوس بن عبد الله الربعي، بصري يرسل كثيراً، ثقة، مات سنة ١٨٣هـ. تقريب التهذيب ص(١٥٥) رقم الترجمة ٥٨٢.
(٩) (فتسلم): ليست في (الطيالسي).

ريحاً أنتن من هذه، فيهبط به إلى أسفل الأرض»، والله أعلم.

باب

اختلاف الآثار في سعة القبر على المؤمنين بالنسبة إلى أعمالهم

جاء في **البخاري**(١): «أنه يفسح له سبعون ذراعاً».

وفي **الترمذي**(٢): «سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً».

وفي حديث البراء: «مد البصر».

قلت: وهذا إنما يكون بعد ضيق القبر، والسؤال، وأما الكافر: فلا يزال قبره عليه ضيقاً. نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

باب

ما جاء في عذاب القبر وأنه حق وفي اختلاف عذاب الكافرين في قبورهم وضيقها عليهم

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، قال أبو سعيد الخدري(٣) وعبد الله بن مسعود(٤) رضي الله عنهم: ﴿ضَنكًا﴾: عذاب القبر.

---

(١) في صحيحه ١/ ٤٦٢ ح١٣٠٨، وفيه: يفسح له في قبره، من غير لفظ العدد.

(٢) في جامعه ٣/ ٣٨٣ ح١٠٧١، حسّنه الألباني. انظر: صحيح الترمذي ١/ ٣١١ ح٨٥٦.

(٣) في تفسير الطبري ١٦/ ٢٢٧.

(٤) في تفسير الطبري ١٦/ ٢٢٨.

وقيل في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور: ٤٧] هو: عذاب القبر[1]؛ لأن الله ذكره عقب قوله: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الطور: ٤٥]، وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا، فدلّ أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر، ولذلك قال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٧] لأنه غيب، وقال ﷻ: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥ ـ ٤٦]، فهو عذاب القبر في البرزخ.

وقال ابن عباس[2] ﵄ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [التكاثر: ٣]: ما ينزل عليكم من العذاب في القبر، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [التكاثر: ٤]: في الآخرة إذا حلّ بكم العذاب، فالأول: في القبر، والثاني: في الآخرة، فالتكرير للحالتين.

وروى زِر بن حُبيش عن علي قال[3]: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ يعني: في القبور.

وقال أبو هريرة ﵁: يضيق على الكافر قبره حتى تختلف أضلاعه، وهو المعيشة الضنك[4].

* * *

---

(١) نسبه ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٧/٣٦ ـ ٣٧ لابن عباس والبراء بن عازب ﵄.
(٢) لم أقف على من ذكر قوله.
(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ٣٠/ ٢٨٤.
(٤) رواه ابن جرير الطبري ١٦/٢٢٨.

باب

ما يكون في عذاب القبر واختلاف أحوال العصاة بحسب اختلاف معاصيهم

البخاري[١] **ومسلم**[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر: فكان لا يستتر من بوله، فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحداً، وعلى هذا واحداً، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».

في رواية: «كان لا يستتر عن البول، أو من البول»، رواها **مسلم**[٣].

وفي كتاب **أبي داود**[٤]: «كان لا يستنزه من بوله».

وفي حديث **هناد** بن السري[٥]: «لا يستبرئ من البول»، من الاستبراء.

وقال **البخاري**[٦]: «وما يعذبان في كبير وإنه لكبير».

وقد خرّج **مسلم**[٧] من حديث جابر الطويل وفيه: «فلما انتهى

---

(١) في صحيحه ١/ ٤٥٨ ح١٢٩٥.
(٢) في صحيحه ١/ ٢٤٠ ح٢٩٢ واللفظ لمسلم.
(٣) في صحيحه ١/ ٢٤١ ح٢٩٢.
(٤) السجستاني في السنن ١/ ٦ ح٢٠؛ وأخرجه النسائي في المجتبى ١/ ٣٠ ح٣١؛ وابن ماجه في سننه ١/ ١٢٥ ح٣٤٧؛ وابن حبان في صحيحه ٣/ ١٠٧ ح٨٢٤، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٦١ ح٢٧٧.
(٥) في زهده ١/ ٢١٦ ح٣٥٧؛ وابن جرير الطبري في كتابه صريح السنة ٢/ ٢٩ ح٤٠.
(٦) في صحيحه ٥/ ٢٢٥٠ ح٥٧٠٨.
(٧) في صحيحه ٤/ ٢٣٠١ _ ٢٣٠٧ ح٣٠٠٦.

إليّ، قال: يا جابر هل رأيت مقامي؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك، قال جابر: فقمت فأخذت حجراً فكسرته وحسرته فاندلق[١] لي، فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري، ثم لحقت فقلت: قد فعلت ذاك يا رسول الله، فعمَّ ذاك؟ فقال: إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما ما دام الغصنان رطبين».

الطحاوي[٢] عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أُمِرَ بعبدٍ من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه ناراً، فلما ارتفع عنه أفاق فقال: علام جلدتموني؟! قال: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره».

البخاري[٣] عن سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد رؤيا قصّها، فيقول: ما شاء الله، فسألنا يوماً فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا، قال: لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا

---

(١) الاندلاق: خروج الشيء من مكانه. النهاية ٢/ ١٣٠.

(٢) في شرح مشكل الآثار له ٨/ ٢١٢ ح٣١٨٥. قال الأرناؤوط: إسناده حسن، ورجاله رجال الصحيح غير عاصم فهو ابن أبي النجود، وهو صدوق. انظر: حاشية المرجع السابق؛ وأورده ابن عبد البر في التمهيد ٤/ ٢٣٩، و٢٢/ ٢٩٩؛ والمنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ١٣٢.

(٣) في صحيحه ١/ ٤٦٦ ح١٣٢٠.

بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلُّوب[١] من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا حتى يعود، فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟! قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر[٢] أو صخرة فيشدخ[٣] بها رأسه فإذا ضربه تدهده[٤] الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه، قلت: ما هذا؟! قالا: انطلق، فانطلقنا إلى نقْبٍ[٥] مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نار فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلت: ما هذا؟! قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة[٦]، فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟! قالا: انطلق، فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها فيها شيوخ وشباب ونساء

---

(١) الكَلُّوب: المنشال، والجمع كلاليب. الصحاح ١/ ٢١٤.
(٢) الفهر: الحجر ملء اليد. الصحاح ٢/ ٧٨٤.
(٣) الشدخ: كسر الشيء الأجوف. النهاية ٢/ ٤٥١.
(٤) تدهده: تدحرج وسقط. النهاية ٢/ ٩٥.
(٥) في (البخاري): ثقب.
(٦) في (البخاري): حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر، قال يزيد ووهب بن جرير عن جرير بن حازم: وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة...

وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب، قلت: طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت، قالا: نعم، الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة، والذي رأيته يُشدخُ رأسُه فرجل علَّمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار فيفعل به إلى يوم القيامة، وأما الذي رأيته في الثقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر آكل الربا، والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبرائيل وهذا ميكائيل فارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذلك منزلك، فقلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك».

فَصْلٌ

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: لا أبين في حال المعذبين في قبورهم من حديث البخاري هذا، وإن كان مناماً فمنامات الأنبياء عليهم السلام وحي بدليل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ فأجابه ابنه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وأما حديث الطحاوي فنص أيضاً، وفيه رد على الخوارج ومَن يُكفِّر بالذنوب.

بَابٌ

ما جاء في التعوذ من عذاب القبر وفتنته

النسائي[١] عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ

---

(١) في المجتبى ٤/ ١٠٤ ح٢٠٦٤؛ وأخرجه مسلم ١/ ٤١٠ ح٥٨٤؛ وأحمد في =

وعندي امرأة من اليهود وهي تقول: إنكم تفتنون في القبور، فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما تفتن يهود»، قالت عائشة: فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ﷺ: «هل شعرت أنه أوحي إليّ أنكم تفتنون في القبور»، قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يستعيذ من عذاب القبر.

وروى الأئمة[1] عن أسماء رضي الله عنها عنه ﷺ قال: «وأنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريباً أو مثل فتنة الدجال، ـ لا أدري أي ذلك قالت أسماء: ـ يؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن، لا أدري أي ذلك قالت أسماء، فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ثلاث مرات، ثم يقال له: نم قد كنا نعلم أنك لتؤمن به، فنم صالحاً، وأما المنافق ـ أو المرتاب لا أدري أي ذلك قالت أسماء، ـ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت»، لفظ مسلم.

وخرّج **البخاري**[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً، أخرجها الأثبات الثقات.

باب

ما جاء أن البهائم تسمع عذاب القبر

مسلم[3] عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في حائط

= المسند ٦/٢٤٨ ح٢٦١٤٨، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن النسائي ٢/٤٤٣ ح١٩٥١.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/٧٩ ح١٨٢؛ ومسلم ٢/٦٢٤ ح٩٠٥؛ والنسائي في المجتبى ٤/١٠٣ ح٢٠٦٢؛ وأبو عوانة في مسنده ١/١٥١.

(٢) في الصحيح ١/٤٦٣ ح١٣١١.

(٣) في الصحيح ٤/٢١٩٩ ح٢٨٦٧.

لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، كذا كان الجريري[(١)] يقول، فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع».

وخرّج[(٢)] أيضاً: عن عائشة ﵂ قالت: «دخل[(٣)] علي عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، قالت: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل علي رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة قالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، قال النبي ﷺ: صدقتا، إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم، قالت: فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر»، خرّجه **البخاري**[(٤)] أيضاً وقال: «تسمعه البهائم كلها».

فَصْلٌ

قال علماؤنا[(٥)] رحمة الله عليهم: وإنما حادت البغلة لما سمعت من صوت المعذبين، وإنما لم يسمعه من يعقل من الجن والإنس لقوله ﵇: «لولا أن لا تدافنوا...»[(٦)] الحديث، فكتمه الله سبحانه عنا حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية؛ لغلبة الخوف عند سماعه فلا نقدر على القرب من القبر للدفن، ويهلك الحي عند سماعه إذ لا يطاق سماع شيء من عذاب الله في هذه الدار؛ لضعف هذه

---

(١) هو أحد رجال سند مسلم.
(٢) مسلم ١/ ٤١١ ح٥٨٦.
(٣) في (مسلم): دخلت.
(٤) في صحيحه ٥/ ٢٣٤١ ح٦٠٠٥.
(٥) منهم شيخ المصنف: أبو العباس أحمد بن عمر في كتابه المفهم ٧/ ١٤٦.
(٦) مسلم ٤/ ٢١٩٩ ح٢٨٦٧.

القوى، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف، أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس؟ وأين صعقة الرعد من صيحة الذين تضربه الملائكة بمطارق الحديد التي يسمعها كل شيء يليه؟ وقد قال ﷺ في هذه الجنازة: «ولو سمعها إنسان لصعق»(١).

قلت: هذا وهو على رؤوس الرجال من غير ضرب ولا هوان، فكيف إذا حلّ به الخزي والنكال، واشتدّ عليه العذاب والوبال؟ فنسأل الله معافاته ومغفرته وعفوه ورحمته بمنّه وكرمه.

باب

ما جاء أن الميت يسمع ما يقال

مسلم(٢) عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدث عن أهل بدر فقال: «إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ، قال: فجعلوا في بئر بعضهم على بعض، فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً، قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليّ شيئاً».

وعنه(٣) أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً، فقام عليهم فناداهم فقال: «يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه ١/ ٤٤٢ ح١٢٥١ باختلاف يسير.
(٢) في صحيحه ٤/ ٢٢٠٢ ح٢٨٧٣.
(٣) أي: عن عمر رضي الله عنه، رواه مسلم ٤/ ٢٢٠٣ ح٢٨٧٤.

ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم[١] ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً، فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله وكيف يسمعون؟ وأنّى يجيبون وقد جيفوا؟ قال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا، ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر».

باب

قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ الآية

مسلم[٢] عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال: «نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك؟ فيقول: الله ربي ونبي محمد، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾».

وفي رواية[٣]: أنه قول البراء ولم يذكر النبي ﷺ.

قلت: وهذا الطريق وإن كان موقوفاً فهو لا يقال من جهة الرأي فهو محمول على أن النبي ﷺ قاله كما في الرواية الأولى، وكما خرّجه **النسائي**[٤]، **وابن ماجه**[٥] في سننهما، **والبخاري في** صحيحه[٦].

وهذا لفظ **البخاري**: حدثنا جعفر بن عمر قال: حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أقعد المؤمن في قبره أُتي ثم يشهد[٧] أن لا إله

---

(١) في (مسلم): وعد.
(٢) في صحيحه ٤/ ٢٢٠١ ح٢٨٧١.
(٣) مسلم ٤/ ٢٢٠٢ ح٢٨٧١.
(٤) في سننه ٤/ ١٠١ ح٢٠٥٦.
(٥) في سننه ٢/ ١٤٢٧ ح٤٢٦٩.
(٦) ١/ ٤٦١ ح١٣٠٣.
(٧) في (البخاري): شهد.

إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾».

وخرّجه **أبو داود**[١] أيضاً في سننه فقال فيه: عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن المسلم إذا سئل في القبر فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾» وقد مضى هذا المعنى في حديث البراء الطويل[٢] مرفوعاً، والحمد لله.

وقد روى هذا الخبر أبو هريرة[٣]، وابن مسعود[٤]، وابن عباس[٥]، وأبو سعيد الخدري[٦] رضي الله عنهم.

قال أبو سعيد الخدري: كنّا في جنازة مع رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن، وتفرق عنه أصحابه، جاءه ملك وبيده مطراق فأقعده، فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول له: صدقت، فيفتح له باب إلى النار، فيقول له: هذا منزلك لو كفرت بربك، وأما الكافر والمنافق فيقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: لا دريت، ولا تليت، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقول له: هذا

---

(١) في سننه ٤/ ٢٣٨ ح٤٧٥٠.   (٢) ص(١١٢).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٧/ ٣٨٠ ح٣١١٣؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٣/ ٥٦ ح١٢٠٦٢؛ وعبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٥٦٧ ح٦٧٠٣.

(٤) رواه الطبراني في الكبير ٩/ ٢٣٣ ح٩١٤٥.

(٥) روى حديثه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ١٠/ ١٦٤.

(٦) روى حديثه أحمد في المسند ٣/ ٣ ح١١٠١٣؛ والطبري في تفسيره ١٣/ ٢١٤. قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح. المجمع ٣/ ٤٨.

منزلك لو آمنت بربك، فأما إذ كفرت فإن الله أبدلك به هذا ثم يفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين، قال بعض أصحابه: يا رسول الله ما أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق إلا هيل[1] عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

فَصْلٌ

صحَّت الأخبار عن النبي ﷺ في عذاب القبر على الجملة فلا مطعن فيها ولا معارض لها.

وجاء فيما تقدم من الآثار: أن الكافر يفتن في قبره، ويسأل ويُهان ويعذب.

قال أبو محمد عبد الحق[2]: واعلم أن عذاب القبر ليس مختصاً بالكافرين ولا موقوفاً على المنافقين بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين، وكلٌّ على حاله من عمله، وما استوجبه بخطيئته وزللِهِ، وإن كانت تلك النصوص المتقدمة في عذاب القبر إنما جاءت في الكافر والمنافق.

وقال أبو عمر ابن عبد البر في كتاب التمهيد[3]: الآثار الدالة تدل[4] على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق، ممن كان في الدنيا منسوباً إلى أهل القبلة ودين الإسلام ممن حقن دمه بظاهر الشهادة، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه

(١) هاله الشيء يهوله هولاً، أي: أفزعه. الصحاح ٥/١٨٥٥.
(٢) في العاقبة ص(٢٤٦). (٣) التمهيد ٢٢/٢٥٢.
(٤) في (التمهيد): الآثار الثابتة في هذا الباب إنما تدل.

ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام، والله أعلم، فيثبت الله الذين آمنوا، ويرتاب المبطلون[1].

قال ابن عبد البر[2] في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها»، ومنهم من يرويه: «تُسأل في قبورها»، وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك، وهذا أمر لا يقطع عليه، والله أعلم.

قال **المؤلف**: قول أبي محمد بن عبد الحق أصوب، والله أعلم؛ فإن الأحاديث التي ذكرناها قبل، تدل على أن الكافر يسأله الملكان، ويختبرانه بالسؤال، ويضرب بمطارق الحديد على ما تقدم، والله أعلم.

باب

ما ينجي من أهوال القبر وفتنته وعذابه

وذلك أربعة أشياء: رباط، قتل، بطن، زمان.

الأول: روى **مسلم**[3] عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان».

فالرباط من أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما في

---

(١) قال ابن القيم: وقول أبي عمر رحمه الله: وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه، فيقال له: ليس كذلك بل هو من المسؤولين وأولى بالسؤال من غيره، وقد أخبر الله في كتابه أنه يسأل الكافر يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾... فإذا سُئلوا يوم القيامة، فكيف لا يسألون في قبورهم؟! فليس لما ذكره أبو عمر رحمه الله وجه. الروح ص(١٢٤).

(٢) التمهيد ٢٢/٢٥٣.

(٣) في الصحيح ٣/ ١٥٢٠ ح١٩١٣.

حديث العلاء بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة...» الحديث، وهو حديث صحيح انفرد بإخراجه **مسلم**.

وكذلك ما خرّجه **ابن ماجه**[(١)] **وأبو نعيم**[(٢)]: من أنه يلحق الميت بعد موته فإن ذلك مما ينقطع بنفاده وذهابه كالصدقة بنفادها، والعلم بذهابه، والولد الصالح بموته، والنخل بقطعه، إلى غير ذلك مما ذكر.

والرباط يضاعف أجره لصاحبه إلى يوم القيامة لقوله ﷺ: «وإن مات أجري عليه عمله»[(٣)]. وقد جاء مفسراً مبيّناً في كتاب **الترمذي**[(٤)] عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر»، قال: حديث حسن صحيح.

وخرّجه **أبو داود**[(٥)] بمعناه قال: «ويؤمن من فتاني[(٦)] القبر» فلا معنى للنماء إلا المضاعفة، وهي غير موقوفة على سبب فينقطع بانقطاعه بل هو فضل دائم من الله سبحانه؛ لأن أعمال البرّ لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منهم بحراسة بيضة الدين، وإقامة شعائر الإسلام. وهذا العمل الذي يُجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة.

وخرّج **ابن ماجه**[(٧)] في سننه عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ

---

(١) في سننه ١/ ٨٨ ح٢٤٢، وحسّنه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٤٦ ح١٩٨.
(٢) في الحلية ٢/ ٢٤٤.
(٣) جزء من حديث مسلم السابق.
(٤) في جامعه ٤/ ١٦٥ ح١٦٢١؛ وابن حبان في صحيحه ١٠/ ٤٨٤ ح٤٦٢٤، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ١٢٣ ح١٣٢٢.
(٥) في سننه ٣/ ٩ ح٢٥٠٠.
(٦) في (أبو داود): فتان.
(٧) في سننه ٢/ ٩٢٤ ح٢٧٦٧؛ والنسائي في المجتبى ٦/ ٣٩ ح٣١٦٧، صححه =

قال: «من مات مرابطاً في سبيل الله أجري عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه، وأمن من الفتان، وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع».

وفي حديث أبي هريرة وحديث فضالة بن عبيد قيد ثان: وهو الموت حالة الرباط، والله أعلم.

وروى[١] عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها».

مسألة: الرباط هو: الملازمة في سبيل الله عز وجل، مأخوذ من ربط الخيل، ثم سمي كل ملازم لثغرٍ مرابطاً فارساً كان أو راجلاً.

واللفظة مأخوذة من الربطة، وقول النبي ﷺ في منتظري الصلاة: «فذلكم الرباط»[٢]، إنما هو تشبه بالرباط في سبيل الله.

والرباط اللغوي هو الأول، وهو الذي شخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما.

فأما سكان الثغور دائماً بأهليهم الذين يعمرون ويسكنون هناك، فهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين، قاله علماؤنا، وقد بيّنّاه في كتاب أحكام القرآن من سورة آل عمران[٣] والحمد لله.

= الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ١٢٣ ح٢٢٣٤.

(١) ابن ماجه في سننه ٢/ ٩٢٤ ح٢٧٦٦، وقد حسّنه الألباني. انظر: حاشية ضعيف ابن ماجه ص(٢٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ١/ ٧٢ ح٥١؛ والنسائي في المجتبى ١/ ٨٢ ح١٤٣؛ والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ٨٢ ح٣٩١، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ١/ ١٧ ح٤٦.

(٣) ٤/ ٢٠٧ رقم الفقرة ٣٢٤.

الثاني: روى **النسائي**[١] عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة».

وخرّج **ابن ماجه**[٢] في سننه **والترمذي** في جامعه[٣] عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دُفْعَةٍ ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار؛ الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج بثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه». قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

وقال ابن ماجه: «يُغفر له في أول دُفْعَةٍ من دمه، قال: ويحلى حلة الإيمان» بدل: «ويوضع على رأسه تاج الوقار».

قال **المؤلف**: ووقع في جميع نسخ الترمذي وابن ماجه: «ست خصال»، وهي في متن الحديث سبع وعلى ما ذكر ابن ماجه: «ويحلّى حلة الإيمان» تكون ثمانياً.

الثالث: خرّج **النسائي**[٤] عن جامع بن شداد قال: سمعت

---

(١) في المجتبى ٤/ ٩٩ ح٢٠٥٣، صحّحه الألباني؛ صحيح سنن النسائي ٢/ ٤٤١ ح١٩٤٠.

(٢) في سننه ٢/ ٩٣٥ ح٢٧٩٩، صحّحه الألباني؛ صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ١٢٩ ح٢٢٥٧.

(٣) ٤/ ١٨٧ ح١٦٦٣؛ وأحمد في مسنده ٤/ ١٣١ ح١٧٢٢١؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٢١٠ ح١٩٣٨٢؛ والبيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٢٤ ح٤٢٥٢.

(٤) في المجتبى ٤/ ٩٨ ح٢٠٥٢؛ وأحمد في المسند ٤/ ٢٦٢ ح١٨٣٣٦؛ =

عبد الله بن يسار يقول: كنت جالساً مع سليمان بن صرد، وخالد بن عرفطة، فذكروا أن رجلاً مات ببطنه فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهدا جنازته، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره».

الرابع: روى **الترمذي**(١) عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر».

فَصْلٌ

قلت: اعلم رحمك الله إن هذا الباب لا يعارض ما تقدم من الأبواب، بل يخصها، ويبين من لا يسأل في قبره، ولا يفتن فيه، ممن يجري عليه السؤال، ويقاسي تلك الأهوال، وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس، ولا مجال للنظر فيه، وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المرسل للعباد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه إلى يوم التناد.

وقد روى **ابن ماجه** في سننه(٢) عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الميت في قبره مثّلت له الشمس عند غروبها، فيجلس يمسح عينيه ويقول: دعوني أصلي».

ولعل هذا ممن وقي فتنة القبر(٣)، فلا تعارض، والحمد لله.

= والطبراني في الكبير ٤/ ١٩٠ ح٤١٠٣، صحّحه الألباني؛ صحيح سنن النسائي ٢/ ٤٤١ ح١٩٣٩.

(١) في جامعه ٣/ ٣٨٦ ح١٠٧٤؛ وأحمد في المسند ٢/ ١٦٩ ح٦٥٨٢، وقد حسنّه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ١/ ٣١٢ ح٨٥٨.

(٢) ٢/ ١٤٢٨ ح٤٢٧٢؛ وابن حبان في صحيحه ٧/ ٣٨٥ ح٣١١٦، حسّنه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٢٣ ح٣٤٤٧.

(٣) ويحتمل أنه قال ذلك بعد اجتياز الفتنة.

فَصْلٌ

قوله عليه السلام في الشهيد: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة» معناه: أنه لو كان في هؤلاء المقتولين نفاق كذا إذا التقى الزحفان، وبرقت السيوف فرّوا؛ لأن من شأن المنافق الفرار والروغان عند ذلك، ومن شأن المؤمن البذل والتسليم لله نفساً لإعلاء كلمته، فهذا قد أظهر صدق ما في ضميره حيث برز للحرب والقتل، فلماذا يعاد عليه السؤال في القبر؟ قاله الترمذي الحكيم(١).

قلت: وإذا كان الشهيد لا يفتن، فالصدّيق أجلُّ خطراً، وأعظم أجراً، فهو أحرى أن لا يفتن؛ لأنه المقدم ذكره في التنزيل على الشهداء قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء: ٦٩].

وقد جاء في المرابط الذي هو أقل مرتبة من الشهداء لا يفتن، فكيف بمن هو أعلى منه ومن الشهيد، فتأمله.

فَصْلٌ

قوله ﷺ: «من مات مريضاً مات شهيداً» عام في جميع الأمراض، لكن قيّده قوله في الحديث الآخر: «من يقتله بطنه»، وفيه قولان:

أحدهما: أنه الذي يصيبه الذَّرَبُ وهو: الإسهال، تقول العرب: أخذه البطن إذا أصابه الداء، وذَرِبَ الجرح إذا لم يقبل الدواء، وذَرِبْت معدته: فسدت.

---

(١) في نوادر الأصول ٤/ ١٦١.

الثاني: أنه الاستسقاء[(١)]، وهو أظهر القولين فيه؛ لأن العرب تنسب موته إلى بطنه تقول: قتله بطنه، يعنون: الداء الذي أصابه في جوفه. وصاحب الاستسقاء قلّ أن يموت إلا بالذرب، فكأنه قد جمع الوصفين وغيرهما من الأمراض، والوجود شاهد للميت بالبطن أن عقله لا يزال حاضراً، وذهنه باقياً إلى حين موته، ومثل ذلك صاحب السل، إذ موت الآخر إنما يكون بالذرب، وليست حالة هؤلاء كحال من يموت فجأة، أو من يموت بالسام والبرسام[(٢)]، والحميات المطبقة والقولنج أو الحصاة فتغيب عقولهم لشدة الألم، ولورم أدمغتهم، ولفساد أمزجتها، وإذا كان الحال هكذا فالميت يموت وذهنه حاضر وهو عارف بالله، والله أعلم.

باب

ما جاء أن الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي

البخاري[(٣)] **ومسلم**[(٤)] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة».

فصل

قوله: «عرض عليه مقعده» ويروى: «عرض على مقعده».

جاء في التنزيل في حق الكافرين: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا

---

(١) هو ماء يقع في البطن. القاموس المحيط ص(١٦٧١).

(٢) البِرسام: ـ بالكسر ـ علة يُهذى فيها. القاموس المحيط ص(١٣٩٥).

(٣) ١/ ٤٦٤ ح١٣١٣. (٤) ٤/ ٢١٩٩ ح٢٨٦٦.

وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]. فأخبر تعالى أن الكافرين يعرضون على النار كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنان بالخبر الصحيح في ذلك، وهل كل مؤمن يعرض على الجنان، فقيل: ذلك مخصوص بالمؤمن الكامل الإيمان ومن أراد الله إنجاءه من النيران.

وأما من أنفذ الله عليه وعيده من المخلطين الذين خلطوا عملًا صالحاً وآخر سيئاً فله مقعدان يراهما جميعاً، كما أنه يرى عمله شخصين في وقتين أو في وقت واحد، قبيحاً وحسناً.

وقد يحتمل بأن يراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيف ما كان، والله أعلم.

ثم قيل: هذا العرض إنما هو على الروح وحده، ويجوز أن يكون مع جزء من البدن، ويجوز أن يكون عليه من جميع الجسد فيرد إليه الروح كما ترد عند المسألة حين يقعده الملكان ويقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، وكيف ما كان فإن العذاب محسوس، والألم موجود، والأمر شديد.

وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلاً في النائم، فإن روحه تنعم أو تعذب، والجسد لا يحس بشيء من ذلك.

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال لهم: هذه داركم، فذلك قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾.

وعنه أيضاً: أن أرواحهم في جوف طيور سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها[1].

---

(١) هذا الأثر والذي بعده لم أجده عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وإنما رواه كل من الطبري في تفسيره ٢٤/ ٧١؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٥٤ ح٣٤١٦٠؛ =

وروى شعبة عن يعلى بن عطاء قال: سمعت ميمون بن ميسرة يقول: كان أبو هريرة[١] رضي الله عنه إذا أصبح ينادي: أصبحنا والحمد لله، وعُرض آل فرعون على النار، وإذا أمسى نادى: أمسينا والحمد لله، وعُرض آل فرعون على النار، فلا يسمع أبا هريرة أحدٌ إلا تعوذ بالله من النار، وقد قيل: إن أرواحهم في صخرة سوداء تحت الأرض السابعة على شفير جهنم في حواصل طير سود.

والغداة والعشي: إنما هو بالنسبة إلينا على ما اعتدناه لا لهم، إذ الآخرة ليس فيها مساء ولا صباح.

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

قلنا: الجواب عنهما واحد، وسيأتي له مزيد بيان في وصف الجنان إن شاء الله تعالى.

بَابٌ

ما جاء أن أرواح الشهداء في الجنة دون أرواح غيرهم

في **صحيح مسلم**[٢] عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فقال: أما إنّا قد سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء

= وهناد بن السري في الزهد ١/ ٢٢١ ح٣٦٦ كلهم عن الهذيل بن شرحبيل.

(١) ذكر نحوه ابن المبارك في الزهد ص(٤٣٤)؛ وابن كثير في التفسير ٤/ ٤٨٦.

(٢) ٣/ ١٥٠٢ ح١٨٨٧.

نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث نشاء، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا».

باب

كم الشهداء؟ ولِمَ سُمّي شهيداً؟ ومعنى الشهادة؟

الترمذي(١) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغَرِق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله ﷻ»، وقال: حديث حسن صحيح.

النسائي(٢) عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون، والمبطون، والغرق، والحَرِق، وصاحب ذات الجنب، والذي يموت تحت الهدم، والمرأة تموت بجُمع».

قيل: هي التي تموت من الولادة وولدها في بطنها قد تم خلقه، وقيل: إذا ماتت من النفاس فهي شهيدة سواء ألقت ولدها وماتت أو ماتت وهو في بطنها، وقيل: التي تموت بكراً لم يمسها الرجال، وقيل: التي تموت قبل أن تحيض وتطمث فهذه قولان، لكل قول وجهان.

---

(١) في جامعه ٣ج٣٧٧ ح١٠٦٣؛ وأخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢٣٣ ح٦٢٤؛ ومسلم في صحيحه ٣/ ١٥٢١ ح١٩١٤.

(٢) في المجتبى ٤/ ١٣ ح١٨٤٦؛ وأبو داود في سننه ٣/ ١٨٨ ح٣١١١؛ وابن ماجه في سننه ٢/ ٩٣٧ ح٢٨٠٣؛ وابن حبان في صحيحه ٧/ ٤٦٢ ح٣١٨٩. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح النسائي له ٢/ ٣٩٨ ح١٧٤٢.

وفي «جمع» لغتان: ضم الجيم وكسرها.

وفي بعض الآثار: «المجنوب شهيد»[١] يريد: صاحب ذات الجنب، يقال منه: رجل جَنِب ـ بكسر النون وفتح الجيم ـ إذا كانت به ذات الجنب وهي: الشَّوصة[٢].

وفي كتاب **الترمذي**[٣] **وأبي داود**[٤] **والنسائي**[٥] عن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد»، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وروى **النسائي**[٦] من حديث سويد بن مقرن رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون مظلمته فهو شهيد».

وخرّج **مسلم**[٧] من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه».

وعن سهل بن حنيف أن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[٨].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٤٤١ ح٩٦٩٣.
(٢) الشَّوْصة: ريح تعتقب الأضلاع. الصحاح ٣/ ١٠٤٤.
(٣) في جامعه ٤/ ٣١ ح٤١٢١.
(٤) في سننه ٤/ ٢٤٦ ح٤٧٧٢.
(٥) في المجتبى ٧/ ١١٦ ح٤٠٩٥. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح النسائي ٣/ ٨٥٨ ح٣٨٠٧.
(٦) في المجتبى ٧/ ١١٦ ح٤٠٩٣. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح النسائي ٣/ ٨٥٨ ح٣٨١٥.
(٧) في الصحيح ٣/ ١٥١٧ ح١٩٠٨.
(٨) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٥١٧ ح١٩٠٩.

فَصْلٌ

الشهداء: جمع الشاهد، والشهيد: القتيل في سبيل الله، كذا قال أهل اللغة الجوهري[١] وغيره[٢].

وسمي بذلك؛ لأنه مشهود له بالجنة، فالشهيد بمعنى: مشهود له، فعيل بمعنى: مفعول.

وقال ابن فارس اللغوي في المجمل[٣]: الشهيد: القتيل في سبيل الله.

قالوا: لأن ملائكة الله تشهده.

فالشهيد بمعنى: الشاهد أي الحاضر إلى الجنة.

وقال في شهداء أُحد: «أنا شهيد على هؤلاء»[٤] لبذلهم أنفسهم دونه، وقتلهم بين يديه تصديقاً لما جاء به ﷺ. هذا الكلام في الشهيد.

فأما الشهادة فصفة يسمَّى حاملها بالشاهد ويبالغ بشهيد.

والشهادة على الكمال إنما هي لله سبحانه، وأن جميع الشاهدين سواه يؤدون شهاداتهم عنده. قال الله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩]، والشهداء هم العدول: أهل العدالة في الدنيا والآخرة، وهم القائمون بما وجب للحق سبحانه عليهم في الدنيا.

---

(١) في كتابه الصحاح ٢/ ٤٩٤.
(٢) الفيروزآبادي في القاموس المحيط ص(٣٧٢).
(٣) ٢/ ٥١٤.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٤٥٠ ح١٢٧٨.

باب

روى **النسائي**[١] عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا في الذين يتوفون زمن الطاعون، فيقول الشهداء: قتلوا كما قتلنا، ويقول المتوفون على فرشهم: إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا، فيقول ربنا عز وجل: انظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم».

وروت عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن فناء أمتي بالطعن والطاعون، قالت: أما الطعن فقد عرفناه فما الطاعون؟ قال: غدة كغدة البعير تخرج في المَرَاق[٢] والإباط من مات منها مات شهيداً»[٣]، أخرجه أبو عمر في التمهيد[٤] والاستذكار[٥].

باب

ما جاء أن الإنسان يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب

مسلم[٦] **وابن ماجه**[٧] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) في المجتبى ٦/ ٣٧ ح٣١٦٤؛ وأحمد في المسند ٤/ ١٢٨ ح١٧٩٩؛ والطبراني في مسند الشاميين ٢/ ١٩٥ ح١١٧٧، صحّحه الألباني. انظر: صحيح النسائي ٢/ ٦٦٥ ح٢٩٦٦.

(٢) المراقي، والمَراق: ما سَفَل من البطن فما تحته من المواضع التي تَرِقُّ جُلُودُها، واحدُها مَرَق. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٥٢.

(٣) رواه أحمد في المسند ٦/ ٢٥٥ ح٢٦٢٢٥، و٣/ ٤٣٧ ح١٥٦٤٦، ٤/ ٣٩٥ ح١٩٦٤٦؛ وأبو داود الطيالسي في مسنده ٢/ ٧٢ ح٥٤٣. قال الهيثمي: رواه أحمد بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٢/ ٣١٢.

(٤) ١٩/ ٢٠٥.

(٥) ٨/ ٣١٥ ح١١٦٦٦.

(٦) في صحيحه ٤/ ٢٢٧٠ ح٢٩٥٥.

(٧) في سننه ٢/ ١٤٢٥ ح٤٢٦٦.

رسول الله ﷺ: «ليس من الإنسان شيء يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»(١).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب»(٢).

فصل

يقال: عجم وعجب، بالباء والميم، لغتان، وهو جزء لطيف في أصل الصلب.

وقيل: هو رأس العصعص كما رواه **ابن أبي داود**(٣) في كتاب البعث(٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قيل: يا رسول الله وما هو؟ قال: «مثل حبة خردل وهو منه ينشرون»(٥).

وقوله: «منه خلق، وفيه يركب»، أي: أول ما خلق من الإنسان هو، ثم إن الله تعالى يبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة أخرى.

باب

لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء ولا الشهداء وأنهم أحياء

قال الله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

---

(١) واللفظ لابن ماجه. (٢) أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٧١ ح٢٩٥٥.

(٣) عبد الله بن سليمان بن الأشعث، أبو بكر السجستاني، كان من بحور العلم بحيث إن بعضهم فضله على أبيه ـ أبي داود صاحب السنن ـ، صنف السنن، والمصاحف، وشريعة المقارئ، والناسخ والمنسوخ، والبعث، وغير ذلك، مات سنة ٣١٦هـ. سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٢١.

(٤) ص(٤٨ ـ ٤٩) ح١٧.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه ٧/ ٤٠٩ ح٣١٤٠؛ وأحمد في مسنده ٣/ ٢٨ ح١١٢٤٨. قال الهيثمي: رواه أحمد بإسناد حسن. مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٢.

ولذلك لا يغسلون ولا يصلى عليهم، ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة في شهداء أُحد وغيرهم، ليس هذا موضع ذكرها.

مالك(١) عن عبد الرحمٰن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين ثم السلميين كانا قد حفر السيل قبرهما، وكان قبرهما مما يلي السيل، وكانا في قبر واحد، وهما ممن استشهد يوم أُحد، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت، وكان بين أُحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة.

قال أبو عمر(٢): هذا الحديث لم يختلف عن مالك في انقطاعه وهو حديث متصل من وجوه صحاح عن جابر.

قال **المؤلف** رضي الله عنه: وهكذا حكم من تقدمنا من الأمم ممن قتل شهيداً في سبيل الله، أو قتل على الحق كأنبيائهم.

وفي **الترمذي**(٣) في قصة أصحاب الأخدود: «وأن الغلام الذي قتله الملك دفن»، قال: فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل، قال: حديث حسن غريب. وقصة الأخدود مخرّجة في صحيح **مسلم**(٤)، وكانوا بنجران في الفترة ما بين عيسى ومحمد ﷺ، وقد ذكرناها مستوفاة في كتاب: جامع أحكام القرآن والمبيِّن لما تضمن من السنّة وآي الفرقان(٥)، وروى نقلة

---

(١) في الموطأ ٢/ ٤٧٠ ح١٠٠٥. (٢) في التمهيد ١٩/ ٢٣٩.

(٣) في جامعه ٥/ ٤٣٨ ح٣٣٤٠، صحّحه الألباني. انظر: صحيح الترمذي للألباني ٣/ ١٢٨ ـ ١٣٠ ح٢٦٦١.

(٤) ٤/ ٢٢٩٩ ح٣٠٠٥. (٥) ١٩/ ١٨٨ رقم الفقرة: ٢٨٦.

الأخبار[١] أن معاوية ﷺ لما أجرى العين التي استنبطها بالمدينة في وسط المقبرة، وأمر الناس بتحويل موتاهم وذلك في أيام خلافته، وبعد الجماعة بأعوام وذلك بعد أُحدٍ بنحو من خمسين سنة فوُجدوا على حالهم حتى أن الكل رأوا المسحاة أصابت قدم حمزة بن عبد المطلب ﷺ فسال منه الدم، وأن جابر بن عبد الله بن حرام أخرج أباه عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأمس، وهذا أشهر في الشهداء من أن يحتاج فيه إلى إكثار.

وخرّج **أبو داود**[٢] **وابن ماجه**[٣] في سننهما عن أوس بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ»، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟! قال: يقولون: بليت، فقال: «إن الله ﷻ حرّم على الأرض أجساد الأنبياء ﷺ»، لفظ أبي داود.

بَابٌ

ما جاء في انقراض هذا الخلق وذكر النفخ والصعق وكم بين النفختين وذكر بعث البشر والنار

مسلم[٤] عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: ابن سعد في طبقاته الكبرى ٣/ ١١؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٢١٦ ح١٩٤٣٤؛ وابن المبارك في كتاب الجهاد ص(٨٤) ح٩٨.

(٢) في سننه ١/ ٢٧٥ ح١٠٤٧.

(٣) في سننه ١/ ٣٤٥ ح١٠٨٥، صحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ١/ ١٧٩ ح٨٨٩.

(٤) ٤/ ٢٢٥٨ ح٢٩٤٠.

يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً، فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقولون: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌّ رزقُهم حسنٌ عيشُهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً، قال: فأول[1] من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله، أو قال: ينزل الله مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤]، ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك يوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] وذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢].

مسلم[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون عاماً؟ قال: أبيت، ثم ينزل الله تعالى من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً».

---

(١) في (مسلم): وأول.

(٢) ٤/ ٢٢٧٠ ح٢٩٥٥.

في رواية: «لا تأكله الأرض أبداً»(١) وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة.

فَصْل

«أصغى» معناه: أمال، «ليتاً» يعني: صفحة العنق، و«يلوط» معناه: يطين ويصلح، وقول أبي هريرة رضي الله عنه: أبيت، فيه تأويلان:

الأول: أبيت، أي امتنعت من بيان ذلك وتفسيره، وعلى هذا كان عنده علم من ذلك وسمعه من رسول الله ﷺ.

الثاني: أبيت، أي أبيت أن أسأل عن ذلك رسول الله ﷺ، وعلى هذا لم يكن عنده علم من ذلك. والأول أظهر والله أعلم.

بَابٌ

في قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ﴾ [الزمر: ٦٨]

صعق: مات.

روى الأئمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل من اليهود بسوق المدينة: والذي اصطفى موسى على البشر، فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه، قال: تقول هذا وفينا رسول الله ﷺ؟ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «قال الله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾، فأكون أول من رفع رأسه، فإذا أنا بموسى عليه السلام آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن

(١) أخرجها مسلم أيضاً ٤/٢٢٧١ ح٢٩٥٥.

استثنى الله، ومن قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب». لفظ **ابن ماجه**(١) أخرجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن علي بن مسهر، وأخرجه **الترمذي**(٢) عن أبي كريب محمد بن العلاء قال: حدثنا عبدة بن سليمان جميعاً عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة. قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وخرّجه **مسلم**(٣) **والبخاري**(٤) بمعناه.

فَصْلٌ

واختلف العلماء في المستثنى من هو؟ فقيل: الملائكة، وقيل: الأنبياء، وقيل: الشهداء واختاره الحَلِيمي(٥) قال: وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن الاستثناء لأجل الشهداء، فإن الله تعالى يقول: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وضعّف غيره من الأقوال(٦).

وقال شيخنا أبو العباس: والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل(٧).

---

(١) في سننه ٢/ ١٤٢٨ ح٤٢٧٤، حسّنه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٣ ح٣٥٥٨.

(٢) في جامعه ٥/ ٣٧٣ ح٣٢٤٥.

(٣) في صحيحه ٤/ ١٨٤٣ ح٢٣٧٣.

(٤) في صحيحه ٢/ ٨٥٠ ح٢٢٨١.

(٥) القاضي العلامة، أبو عبد الله، الحسين بن الحسن بن محمد بن حَلِيم، البخاري الشافعي، للحافظ البيهقي اعتناء بكلام الحليمي، لا سيما في كتاب شعب الإيمان، توفي سنة ٤٠٣هـ. السير ١٧/ ٢٣١.

(٦) المنهاج في شعب الإيمان لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي ١/ ٤٣١.

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٦/ ٢٣١.

بَابٌ

يفنى العباد ويبقى الملك لله وحده

البخاري[(١)] **ومسلم**[(٢)] عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض».

وعن عبد الله بن عمر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله السماء يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ يطوي الأرض[(٣)] بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»، أخرجه **مسلم**[(٤)].

وعن عبد الله بن مسلم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ قال: «يأخذ الله سمواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الله، ويقبض أصابعه ثم يبسطها فيقول: أنا الملك، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل، حتى إني أقول: أساقط برسول الله ﷺ؟»[(٥)].

فَصْلٌ

هذه الأحاديث تدل على أن الله سبحانه يفني جميع خلقه أجمع، ثم يقول الله ﷻ: لمن المُلك اليوم؟ فيجيب عن نفسه المقدسة بقوله: لله الواحد القهار.

فالمقصود إظهار انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعاوى المدعين

---

(١) في صحيحه ٦/ ٢٦٨٨ ح٦٩٤٧.
(٢) في الصحيح ٤/ ٢١٤٨ ح٢٧٨٧.
(٣) في (مسلم): الأرضين.
(٤) في صحيحه ٤/ ٢١٤٧ ح٢٧٨٨.
(٥) أخرجه مسلم ٤/ ٢١٤٧ ح٢٧٨٨.

وانتساب المنتسبين إذ قد ذهب كل ملك وملكه، وكل جبار ومتكبر وملكه، وانقطعت نسبهم ودعاويهم، وهذا ظاهر، وهو قول الحسن ومحمد بن كعب، وهو مقتضى قوله الحق: «أنا الملك أين ملوك الأرض»[(١)].

باب

البرزخ

روى **هناد بن السري**[(٢)] قال: حدثنا محمد بن فضيل ووكيع عن فطر قال: سألت مجاهداً عن قول الله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]؟ قال: هو ما بين الموت إلى البعث.

وقيل للشعبي[(٣)]: مات فلان، قال: ليس هو في الدنيا ولا في الآخرة، هو في برزخ[(٤)]، والبرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفرقان: ٥٣] أي: حاجزاً، وكذلك هو في الآية من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل في البرزخ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾، أي: من أمامهم وبين أيديهم.

باب

ذكر النفخ الثاني للبعث في الصور

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام:

---

(١) أخرجه البخاري ٤/ ١٨١٢ ح٤٥٣٤؛ ومسلم ٤/ ٢١٤٨ ح٢٧٨٧.

(٢) في الزهد له ١/ ١٩٥ ح٣١٤.

(٣) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، أبو عمر الهمداني ثم الشعبي، علّامة العصر، حدّث عن أبي موسى الأشعري وعائشة، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، مات سنة ١٠٥هـ. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤.

(٤) أخرجه هناد في الزهد ١/ ١٩٥ ح٣١٥.

٧٣]، وقال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [النبأ: ١٨]، وسمَّاه الله تعالى بالناقور في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ [المدثر: ٨].

قال المفسرون: الصور ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق على ما يأتي بيانه(١).

قال الله تعالى مخبراً عن كفار قريش: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ [يس: ٤٩] أي ما ينتظر كفار آخر هذه الأمة الدائنون بدين أبي جهل وأصحابه: ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يعني: النفخة الأولى التي يكون بها هلاكهم ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي: يختصمون في أسواقهم وحوائجهم. وقال تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [يس: ٥٠]، أي: أن يوصوا ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: من أسواقهم وحيث كانوا ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [يس: ٢٩] ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١]، هذه النفخة الثانية نفخة البعث.

والصور: قرن من نور تجعل فيه الأرواح.

وقال مجاهد: هو كالبوق ذكره **البخاري**(٢)، فإذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده، ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور ﴿يَنسِلُونَ﴾ أي: يخرجون سراعاً، يقال: نسل ينسل ويُنسل بالضم أيضاً، إذا أسرع في مشيته، فالمعنى يخرجون مسرعين. وفي **البخاري**(٣) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي

---

(١) ص(١٥١).
(٢) في صحيحه ٥/٢٣٨٨.
(٣) في صحيحه ٥/٢٣٨٨.

﴿ٱلنَّاقُورِ ⑧﴾: الصور، قال: والراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية.

فَصْلٌ

الصور بالصاد: قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء وهي نفخة الصعق، ويكون معها نقرٌ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ⑧﴾ [المدثر: ٨] أي: في الصور، فإذا نفخ فيه للإصعاق جمع بين النفخ والنقر لتكون الصيحة أهدّ وأعظم[١]، ثم يمكث الناس أربعين عاماً، ثم يُنزل الله ماء كمني الرجال، فتكون منه الأجساد بقدرة الله تعالى، حتى يجعلهم بشراً، كما روي في قصة الذين يخرجون من النار قد صاروا حمماً أنهم يغتسلون من نهر بباب الجنة فينبتون نبات الحِبة تكون في حميل السيل، وعن ذلك عبر في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم في صحيح مسلم[٢] وغيره[٣]، فينبتون نبات البقل فإذا تهيأت الأجسام وكملت، نفخ في الصور نفخة البعث من غير نقر؛ لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصور إلى أجسادها لا تنقيرها من أجسادها، فالنفخة الأولى للتنقير وهي نظير صوت الرعد الذي قد يقوى فيمات منه، ونظير الصيحة الشديدة التي يصيحها الرجل على الرجل فيفزع منه فيموت، فإذا نفخ للبعث من غير نقر كما ذكرنا خرجت الأرواح من المجال التي هي فيه فتأتي كل روح إلى جسده فيحييها الله كل ذلك في لحظة كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾، ﴿وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

---

(١) هذا كلام الحليمي في المنهاج ١/ ٤٣٤.

(٢) في صحيحه ١/ ١٦٥ ح١٨٢.

(٣) وأخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٧٠٧ ح٧٠٠١.

باب

في صفة البعث وما آية ذلك في الدنيا

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الروم: ٤٧ ـ ٥٠]، وقال: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، والآي في هذا المعنى كثير.

باب

يبعث كل عبد على ما مات عليه

مسلم[1] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم[2]»[3]، ولفظ البخاري عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم»[4].

مالك[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي

---

(١) في الصحيح ٤/ ٢٢٠٦ ح٢٨٧٨.
(٢) في (صحيح مسلم): على أعمالهم.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٦ ح٢٨٧٩.
(٤) أخرجه البخاري في الصحيح ٦/ ٢٦٠٢ ح٦٦٤٩.
(٥) في الموطأ ٢/ ٤٦١ ح٩٨٤.

نفسي بيده لا يُكْلَمُ أحد في سبيل الله، والله أعلم من يكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً، اللون لون دم، والعَرْف عَرف مسك»، خرّجه **البخاري**[(١)] **ومسلم**[(٢)].

مسلم[(٣)] عن ابن عباس ﵄ أن رجلاً كان مع رسول الله ﷺ محرماً فوقصته ناقته فمات، فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر وكفّنوه في ثوبيه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً»، في رواية: «ملبداً» خرّجه **البخاري**[(٤)].

أخرج **ابن ماجه**[(٥)] **ومسلم** بمعناه عن أبي مالك الأشعري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «النياحة من أمر الجاهلية، وإن النائحة إذا ماتت قطع الله لها ثياباً من نار، ودرعاً من لهب النار»، لفظ ابن ماجه.

وقال **مسلم**[(٦)]: «تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب».

ابن ماجه[(٧)] عن عكرمة عن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «النياحة على الميت من أمر الجاهلية وإن النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت فإنها تبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران ثم يُعلى عليها بدرع من لهب النار»، وفي كتاب الشبهات: يبعث شاهد الزور مولعاً لسانه في النار.

---

(١) في الصحيح ٣/ ١٠٣٢ ح٢٦٤٩. (٢) في الصحيح ٣/ ١٤٩٦ ح١٨٧٦.
(٣) في الصحيح ٢/ ٨٦٦ ح١٢٠٦. (٤) في الصحيح ١/ ٤٢٦ ح١٢٠٨.
(٥) في سننه ١/ ٥٠٣ ح١٥٨١، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٢٦٣ ح١٢٨٥.
(٦) في الصحيح ٢/ ٦٤٤ ح٩٣٤.
(٧) في سننه ١/ ٥٠٤ ح١٥٨٢، صحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٢٦٤ ح١٢٨٦.

وفي التنزيل: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال أهل التأويل: المعنى: لا يقومون من قبورهم، قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي وابن زيد وغيرهم[١].

قال بعضهم: يجعل معه شيطاناً يخنقه[٢].

وقالوا كلهم: يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتاً عند جميع أهل المحشر. فجعل الله هذه العلامة لأكلة الربا، وذلك أنه أرباه في بطونهم فأثقلهم فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم. نسأل الله الستر والسلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

باب

أين يكون الناس

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾؟ [إبراهيم: ٤٨]

مسلم[٣] عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد...، وذكر الحديث، وفيه: فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسمٰوات، فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الحشر...»، الحديث.

وخرّج **مسلم**[٤] أيضاً، **وابن ماجه**[٥] جميعاً قالا: حدثنا أبو

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٢٧.
(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.
(٣) في صحيحه ١/ ٢٥٢ ح٣١٥.
(٤) في صحيحه ٤/ ٢١٥٠ ح٢٧٩١.
(٥) في سننه ٢/ ١٤٣٠ ح٤٢٧٩، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٢٤ ح٣٤٥٢.

بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة ﵂ قالت: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾، فأين يكون الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط».

وخرّج **الترمذي**[١] عن مجاهد قال: قال ابن عباس ﵄: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا، قال: أجل والله ما تدري، حدثتني عائشة ﵂ أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، قالت: فقلت: فأين يكون الناس يا رسول الله؟ فقال: «على جسر جهنم»، قال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

فَصْلٌ

هذه الأحاديث نص في أن السمٰوات والأرض تبدل وتزال ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط، لا كما قال كثير من الناس أن تبديل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها، وتسوية آكامها، ونسف جبالها ومد أرضها.

قال ابن مسعود وابن عباس[٢] ﵄: تبدل الأرض أرضاً بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة قط. وقال ابن مسعود أيضاً: تبدل الأرض ناراً والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها[٣].

---

(١) في جامعه ٥/ ٣٧٢ ح٣٢٤١. قال الألباني: صحيح الإسناد ٣/ ١٠١ ح٢٥٨٩.
(٢) ذكر قول ابن عباس وابن مسعود ﵃ الطبري في تفسيره ١٣/ ٢٥٠؛ والماوردي في تفسيره ٣/ ١٤٣.
(٣) ذكره الطبري في تفسيره ١٣/ ٢٥١.

وقال علي رضي الله عنه: تبدل الأرض فضة والسماء ذهباً[(١)].

وقال جابر[(٢)]: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾، قال: تبدل خبزة يأكل منها الخلق يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨].

وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب[(٣)]: تبدل الأرض خبزة بيضاء فيأكل المؤمن من تحت قدميه.

وأما تبديل السماء فقيل: تكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها، قاله ابن عباس[(٤)] رضي الله عنهما.

وقيل: اختلاف أحوالها، فتارة كالمُهل وتارة كالدهان. حكاه[(٥)] ابن الأنباري[(٦)].

وقال كعب: تصير السماء دخاناً وتصير البحار نيراناً[(٧)].

وقيل: تبديلها: أن تطوى كطي السجل للكتاب[(٨)].

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٣/ ١٤٤.

(٢) جابر بن يزيد الجعفي، وأورد أبو جعفر النحاس هذه الرواية في معاني القرآن له ٣/ ٥٤٥.

(٣) ذكر قول سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الطبري في تفسيره ١٣/ ٢٥٢.

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره ٣/ ١٤٤.

(٥) حكى هذا القول الماوردي في تفسيره ٣/ ١٤٤.

(٦) الحافظ اللغوي ذو الفنون، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشّار بن الأنباري، المقرئ النحوي، صنّف في علوم القرآن، والغريب، والمشكل، والوقف والابتداء، وأشياء عدة، توفي سنة ٣٠٤هـ. السير ١٥/ ٢٧٤.

(٧) ذكره الماوردي في تفسيره ٣/ ١٤٤.

(٨) ذكره الماوردي في تفسيره ٣/ ١٤٤ وعزاه للقاسم بن يحيى.

باب

الحشر

ومعناه: الجمع، وهو على أربعة أوجه: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة، أما الذي في الدنيا فقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]، قال الزهري[١]: كانوا من سبط لم يصبهم جلاء، وكان الله ﷻ قد كتب عليهم الجلاء، فلولا ذلك لعذّبهم في الدنيا، وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلى الشام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من شك أن الحشر في الشام فليقرأ هذه الآية[٢]، وذلك أن النبي ﷺ قال لهم: «اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر»[٣]، قال قتادة: هذا أول الحشر[٤].

والثاني: ما رواه **مسلم**[٥] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين وراهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا»، أخرجه **البخاري**[٦] أيضاً.

وقال قتادة[٧]: الحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، فتأكل منهم من تخلف.

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٢٨/٢٨.
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤/٣٣٣.
(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤/٣٣٣.
(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره عن الحسن البصري ٤/٣٣٣.
(٥) في صحيحه ٤/٢١٩٥ ح٢٨٦١.
(٦) في صحيحه ٥/٢٣٩٠ ح٦١٥٧.
(٧) ذكره الطبري في تفسيره ٢٨/٢٩.

قال القاضي عياض[١]: هذا الحشر في الدنيا قبل[٢] قيام الساعة وهو آخر أشراطها، كما ذكره **مسلم**[٣] بعد هذا في آيات الساعة، قال فيه: «وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن[٤] ترحل الناس». وفي رواية: «تطرد الناس إلى محشرهم»[٥]. وفي حديث آخر: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز»[٦].

ويدل على أنها قبل يوم القيامة قوله: «فتقيل معهم حيث قالوا، وتمسي معهم حيث أمسوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا»، قال: وفي بعض الروايات في غير مسلم: «فإذا سمعتم بها فاخرجوا إلى الشام»[٧]، كأنه أمر بسبقها إليه قبل إزعاجها لهم.

والحشر الثالث: حشرهم إلى الموقف على ما يأتي[٨] بيانه في الباب بعد هذا إن شاء الله، قال الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

والرابع: حشرهم إلى الجنة والنار، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥]، أي ركباناً على النُّجُب، وقيل: على قدر الأعمال، وقد وردت أخبار منها ما رواه النعمان بن سعد[٩]

(١) في كتابه إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ٣٩١.
(٢) في (إكمال المعلم): قبيل. (٣) في صحيحه ٤/ ٢٢٢٥ ح٢٩٠١.
(٤) في (مسلم): تخرج من اليمن.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٢٥ ح٢٩٠١.
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٢٧ ح٢٩٠٢.
(٧) أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٨٤ ح٣٧٤١٨ بنحوه.
(٨) ص(١٥٩).
(٩) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٦٠٩ ح٨٦٨٨، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه.

عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾، قال: «أما إنهم ما يحشرون على أقدامهم ولا يساقون سوقاً، ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة لم ينظر الخلائق إلى مثلها، رحالها الذهب وأزمتها الزبرجد، فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة»، وسمي المتقون وفداً لأنهم يسبقون الناس إلى حيث يدعون إليه فهم لا يثبطون لكنهم يحدون ويسرعون والملائكة تتلقاهم بالبشارات كما قال الله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فيزدهم ذلك إسراعاً، وحق للمتقين أن يسبقوا لسبقهم في الدنيا بالطاعات ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦] أي عطاشاً، وقال: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان: ٣٤].

مسلم[(١)] عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله الذين يحشرون على وجوههم أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «أليس الذي أمشاه على الرجلين قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟» قال قتادة حين بلغه: بلى وعزة ربنا، أخرجه **البخاري**[(٢)] أيضاً.

باب

بيان الحشر إلى الموقف كيف هو وفي أرض المحشر

وقال محمد بن كعب القرظي[(٣)]: يحشر الناس يوم القيامة في ظلمة، وتطوى السماء، وتتناثر النجوم، وتذهب الشمس والقمر،

(١) في صحيحه ٤/ ٢١٦١ ح٢٨٠٦.
(٢) في صحيحه ٤/ ١٧٨٤ ح٤٤٨٢، وذكر البخاري قول قتادة بعد الرواية.
(٣) ذكره ابن كثير أيضاً في تفسيره ٣/ ١٦٦.

وينادي منادٍ فيتبع الناس الصوت يومئذ، فذلك قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ الآية [طه: ١٠٨]. قال الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝﴾ [الانفطار: ١ ـ ٣]، فُجِّر عذبها في ملحها وملحها في عذبها.

وفي تفسير قتادة[1]: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝﴾ [الانفطار: ٤]، أي: أخرجت ما في جوفها من الأموات، وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝﴾ [الانشقاق: ١ ـ ٢] سمعت وأطاعت، وحقت: أي وحق لها أن تفعل، ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝﴾ تمد مد الأديم، وهذا إذا بدلت بأرض بيضاء كأنها فضة لم يعمل عليها خطيئة قط، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي: من الأموات فصاروا على ظهرها.

مسلم[2] عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي[3] ليس فيها عَلم لأحد».

باب

في الجمع بين آيات وردت في الكتاب في الحشر ظاهرها التعارض

منها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥]، وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وفي

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٨٥.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢١٥٠ ح٢٧٩٠.

(٣) في الفائق للزمخشري ٣/ ٦: قوله ﷺ: «يُحْشر الناس يومَ القيامة على أرض بيضاء عَفْراء، كقرصة النَّقِيّ ليس فيها مَعْلَم لأحَد». النَّقيّ: الحُوَّارَى، سمي لنقائه من النّخالة. وفي لسان العرب ١٥/ ٣٤١: كقرصة الخبز.

آية ثالثة إنهم كانوا يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢]، وهذا كلام وهو متضاد والبكم، والتعارف: تخاطب وهو مضاد للصمم والبكم معاً، وقال الله تعالى: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦﴾ [الأعراف: ٦]، والسؤال لا يكون إلا باستماع، وإلا لناطق يستمع للجواب، وقال: ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾ [طه: ١٠٢]، وقال: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وقال: ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣﴾ [المعارج: ٤٣]، والنسلان والإسراع مخالفان للحشر على الوجوه.

والجواب: لمن سأل عن هذا أن يقال له: إن الناس إذا أحيوا وبعثوا من قبورهم فليست حالهم واحدة، ولا موقفهم ولا مقامهم واحداً، ولكن لهم مواقف وأحوال، واختلفت الأخبار عنهم لاختلاف مواقفهم وأحوالهم. وجملة ذلك أنها خمسة أحوال: أولها: حال البعث من القبور، والثانية: حال السوق إلى موضع الحساب، والثالثة: حال المحاسبة، والرابعة: حال السوْق إلى دار الجزاء، والخامسة: حال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها.

فأما حال البعث من القبور، فإن الكفار يكونون كاملي الحواس والجوارح لقول الله تعالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [يونس: ٤٥]، وقوله: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣﴾ [طه: ١٠٣]، وقوله: ﴿فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقوله: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٥].

والحالة الثانية: حال السوق إلى موضع الحساب، وهم أيضاً في هذه الحال بحواس تامة لقوله ﷻ: ﴿۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ

﴿٢٤﴾ [الصافات: ٢٢ ـ ٢٤]، ومعنى فاهدوهم؛ أي: دلوهم، ولا دلالة لأعمى أصم ولا سؤال لأبكم، فثبت بهذا أنهم يكونون بأبصار وأسماع، وألسنة ناطقة.

والحالة الثالثة: وهي حالة المحاسبة، وهم يكونون فيها أيضاً كاملي الحواس ليسمعوا ما يقال لهم ويقرؤوا كتبهم الناطقة بأعمالهم، وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم فيسمعونها، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقولون: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩] وأنهم يقولون لجلودهم لم شهدتم علينا، وليشاهدوا أحوال القيامة وما كانوا مكذبين في الدنيا، من شدتها وتصرف الأحوال بالناس فيها.

وأما الحالة الرابعة: وهي السوق إلى جهنم، فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم لقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الإسراء: ٩٧]، ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمٰن: ٤١] إشارة إلى ما يشعرون به من سلب الأبصار والأسماع والمنطق.

والحالة الخامسة: حال الإقامة في النار، وهذه الحال ينقسم إلى بدوٍ ومآل، فبدؤها أنهم إذا قطعوا المسافة التي بين موقف الحساب وشفير جهنم عمياً وبكماً وصمًّا إذلالاً لهم وتمييزاً عن غيرهم ردت الحواس إليهم ليشاهدوا النار، وما أعدّ لهم فيها من العذاب ويعاينوا ملائكة العذاب وكل ما كانوا به مكذبين، فيستقرون في النار ناطقين سامعين مبصرين، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧] ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ

أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ ﴿٣٨﴾ ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٩]، وقال: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك: ٦ ـ ٩].

وأخبر الله تعالى أنهم ينادون أهل الجنة فيقولون: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠]، وأن أهل الجنة ينادون: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وأنهم ليقولون: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيقول لهم: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وأنهم يقولون لخزنة جهنم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ فيقولون لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩ ـ ٥٠]، وأما العقبى والمآل فإنهم إذا قالوا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، فقال الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

سلبوا في ذلك الوقت أسماعهم، وقد يجوز أن يسلبوا الأبصار والكلام لكن سلب السمع يقين، لأن الله تعالى يقول: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٠]، فإذا سلبوا الأسماع صاروا إلى الزفير والشهيق، ويحتمل أن تكون الحكمة في سلب الأسماع من قبل أنهم سمعوا نداء الرب سبحانه على ألسنة رسله فلم يجيبوه بل جحدوه وكذبوا به بعد قيام الحجة عليهم بصحته، فلما كانت حجة الله عليهم في الدنيا الاستماع عاقبهم على كفرهم في الأخرى بسلب الأسماع، يبين ذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]، وقالوا: ﴿لَا

تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، وأن قوم نوح عليه السلام كانوا يستغشون ثيابهم تستراً منه لئلا يروه ولا يسمعوا كلامه[١]، وقد أخبر الله عن الكفار في وقت نبينا عليه الصلاة والسلام مثله، فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [هود: ٥]، وإن سلبت أبصارهم فلأنهم أبصروا العبر فلم يعتبروا، والنطق فلأنهم أوتوه فكفروا، فهذا وجه الجمع بين الآيات على ما قاله علماؤنا، والله عز وجل أعلم.

باب

ما جاء في حشر الناس إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلاً وفي أول من يكسى منهم، وفي أول ما يتكلم من الإنسان

مسلم[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال: «يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ألا وإن أول الناس يكسى[٣] يوم القيامة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ألا وإنه سيُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقول[٤]: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧ ـ ١١٨]، فيقال: إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. أخرجه **البخاري**[٥] أيضاً.

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢١٩٤ ح٢٨٦٠.

(٣) في (مسلم): وإن أول الخلائق يكسى.

(٤) في (مسلم): فيقال.

(٥) في صحيحه ٣/ ١٢٢٢ ح٣١٧١.

والترمذي[١] عن معاوية بن حيدة عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال: وأشار بيده إلى الشام فقال: «ها هنا إلى ها هنا تحشرون ركباناً ومشاةً، وتجرون على وجوهكم يوم القيامة على أفواهكم الفدام توفون سبعين أمة، أنتم خيرهم وأكرمهم على الله، وأن أول ما يُعْرِبُ عن أحدكم فخذه».

فَصْلٌ

قوله: «غرلاً»، أي: غير مختونين، «النقي»: الحوَّارى، وهو الدرمك من الدقيق، و«الفدام»: مصفاة الكوز والإبريق، قاله الليث[٢].

قال أبو عبيدة[٣]: يعني أنهم منعوا الكلام حتى تتكلم أفخاذهم فشبه ذلك بالفدام الذي يجعل على الإبريق، وقوله: «أول من يكسى إبراهيم» فضيلة عظيمة لإبراهيم، وخصوص له كما خص موسى عليه السلام بأن النبي ﷺ يجده متعلقاً بساق العرش مع أن النبي ﷺ أول من تنشق عنه الأرض، ولا يلزم من هذا أن يكونا أفضل منه مطلقاً، بل هو أفضل من وافى القيامة على ما يأتي[٤] بيانه في أحاديث الشفاعة والمقام المحمود إن شاء الله. قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر في كتاب المفهم له[٥]: ويجوز أن يراد بالناس من عداه من الناس فلم يدخل تحت خطاب نفسه، والله أعلم.

---

(١) لم أجده في الترمذي بهذا اللفظ، ويوجد فيه مختصراً ٥/ ٢٢٦ ح٣٠٠١، وقد حسّنه الألباني. انظر: صحيح جامع الترمذي له ٣/ ٣٢ ح٢٣٩٩.

(٢) ذكر المصنف هذا النص أيضاً في تفسيره ١٥/ ٣٤، فقرة ٤٨، ولم يبين من هو الليث، وكذلك لم يذكر في كتب غريب الحديث المشهورة.

(٣) ذكره ابن سلام في غريب الحديث له ١/ ٤٩.

(٤) ص(١٧٥).

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/ ١٥٣.

فَصْلٌ

وتكلم العلماء في حكمة تقديم إبراهيم عليه السلام بالكسوة، فروي أنه لم يكن في الأولين والآخرين لله عز وجل عبد أخوف من إبراهيم عليه السلام فتجعل له كسوته أماناً له ليطمئن قلبه.

ويحتمل أن يكون ذلك لما جاء به الحديث من أنه أول من أمر بلبس السراويل إذا صلى مبالغة في التستر وحفظاً لفرجه من أن يماس مصلاه، ففعل ما أمر به، فيجزى بذلك أن يكون أول من يستر يوم القيامة.

ويحتمل أن يكون الذين ألقوه في النار جرَّدوه ونزعوا عنه ثيابه على أعين الناس كما يفعل بمن يراد قتله، فكان ما أصابه من ذلك في ذات الله عز وجل، فلما صبر واحتسب وتوكل على الله تعالى دفع عنه شر النار في الدنيا والآخرة، وجزاه بذلك العري أن جعله أول من يدفع عنه العري يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وهذا اجتهاد، والله أعلم.

بَابٌ مِنهُ

وبيان قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾

مسلم[1] عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً»، قلت: يا رسول الله، الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض».

الترمذي[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تحشرون حفاة

(١) في صحيحه ٤/ ٢١٩٤ ح٢٨٥٩.

(٢) في جامعه ٥/ ٤٣٢ ح٣٣٣٢، وحسّنه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٢٦ ح٢٦٥٢.

عراة غرلاً»، فقالت امرأة: أيبصر بعضنا أو يرى بعضنا عورة بعض؟ فقال: «يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»، قال: حديث حسن صحيح.

باب

قول النبي ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾»

الترمذي[1] عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾»، قال: هذا حديث حسن.

فصل

قلت: إنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة لما فيها من انشقاق السماء وانفطارها، وتكوّر شمسها وانكدار نجومها وتناثر كواكبها إلى غير ذلك من أفزاعها وأهوالها وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم بعد نشر صحفهم، وقراءة كتبهم وأخذها بأيمانهم وشمائلهم أو من وراء ظهورهم في موقفهم على ما يأتي بيانه.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق: ١]، وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ [الانفطار: ١]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥] فتراها واهية منفطرة متشققة لقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ

---

(١) في جامعه ٥/ ٤٣٣ ح٣٣٣٣؛ والحاكم في مستدركه ٢/ ٥٦٠ ح٣٩٠٠، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٢٦ ح٢٦٥٣.

ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ: ١٩]، ويكون الغمام سترة بين السماء والأرض. وقيل: إن الباء بمعنى عن، أي: تشقق عن سحاب أبيض، ويقال: انشقاقها لما يخلص إليها من حر جهنم، وذلك إذا بطلت المياه وبرزت النيران فأول ذلك أنها تصير حمراء صافية كالدهن وتنشق لما يريد الله من نقض هذا العالم ورفعه. وقد قيل: إن السماء تتلون؛ فتصفرّ ثم تحمرّ، أو تحمرّ ثم تصفرّ كالمُهْرةِ[١] تميل في الربيع إلى الصفرة، فإذا اشتد الحرُّ مالت إلى الحمرة ثم إلى الغبرة، قاله الحليمي[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ [التكوير: ١]، قيل: ذهاب ضوئها، قاله الحسن وقتادة[٣]. وروي ذلك عن ابن عباس[٤] رضي الله عنهما ومجاهد وقال أبو عبيدة[٥]: كورت مثل تكوير العمامة تلف فتُمحى.

وقال الربيع بن خثيم[٦]: كورت رمي بها، ومنه كوَّرته فتكوَّر، أي: سقط.

قلت: وأصل التكوير الجمع، مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها، أي: لاتها وجمعها فهي تكور، ثم يُمحى ضوءها ثم يُرمى بها والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [التكوير: ٢] أي: انتثرت،

---

(١) والمهرة تطلق على الأنثى من ولد الفرس. الصحاح للجوهري ٢/ ٨٢١، وتطلق على الخرزة. لسان العرب ٥/ ١٨٥، وهذا المعنى الأخير أقرب إلى المراد.

(٢) في كتابه المنهاج ١/ ٤٥٢.

(٣) ذكره الحليمي في كتابه المنهاج ١/ ٤٥٢.

(٤) رواه الماوردي في تفسيره ٦/ ٢١١. (٥) في مجاز القرآن له ٢/ ٢٨٧.

(٦) ذكر قوله الماوردي في تفسيره ٦/ ٢١١.

قيل: تتناثر من أيدي الملائكة لأنهم يموتون، وفي الخبر أنها معلقة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدي الملائكة، وقال ابن عباس: انكدرت تغيّرت[١]، وأصل الانكدار الانصباب فتسقط في البحار فتصير معها نيراناً إذا ذهبت المياه.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [التكوير: ٣] هو مثل قوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧] أي: تحول عن منزلة الحجارة فتكون كثيباً مهيلاً، أي: رملاً سائلاً، وتكون كالعهن، وتكون هباءً منبثاً، وتكون سراباً مثل السراب الذي ليس بشيء، وقيل: إن الجبال بعد اندكاكها إنها تصير كالعهن من حر جهنم كما تصير السماء من حرها كالمهل.

قال الحليمي[٢]: وهذا والله أعلم لأن مياه الأرض كانت حاجزة بين السماء والأرض، فإذا ارتفعت وزيد مع ذلك في إحماء جهنم أثرت في كل واحد من السماء والجبال ما ذكر.

قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ [التكوير: ٤]، أي: عطّلها أهلها فلم تحلب من الشغل بأنفسهم، والعشار: الإبل الحوامل، واحدها: عُشراء، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعدما تضع، وإنما خص العشار بالذكر لأنها أعز ما تكون على العرب، فأخبر أنها تعطل يوم القيامة، ومعناه أنهم إذا قاموا من قبورهم وشاهد بعضهم بعضاً ورأوا الوحوش والدواب محشورة، وفيها عشارهم التي كانت أنفس أموالهم لم يعبئوا بها ولم يهممهم أمرها، ويحتمل تعطيل العشار إبطال الله تعالى أملاك الناس عما كان ملكهم إياها في الدنيا، وأهل العشار يرونها ولا يجدون إليها سبيلاً[٣]،

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/ ٢١١.

(٢) في المنهاج له ١/ ٤٥٢.

(٣) هذا كلام الحليمي في كتابه المنهاج ١/ ٤٥٠.

وقيل: العشار: السحاب، تعطل مما يكون فيه، وهو الماء فلا تمطر، وقيل: العشار: الديار تعطل فلا تسكن، وقيل: الأرض التي يُعشّر زرعها تعطل فلا تزرع، والقول الأول أشهر، وعليه من الناس الأكثر.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير: ٥]، أي: جمعت، والحشر: الجمع.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦] أي: أوقدت فصارت ناراً، رواه الضحاك عن ابن عباس[١] رضي الله عنهما، وقال قتادة: غار ماؤها فذهب[٢]، وقال الحسن[٣] والضحاك[٤]: فاضت، قال ابن أبي زمنين: سجرت حقيقة ملئت فيفضي بعضها إلى بعض فتصير شيئاً واحداً، وهو معنى قول الحسن.

ويقال: إن الشمس تلف ثم تلقى في البحار، فمنها تُحمى وتنقلب ناراً[٥].

قال الحليمي[٦]: ويحتمل إن كان هذا هكذا أن البحار في قول من فسر التسجير بالامتلاء هو أن النار حينئذٍ تكون أكثر مما كان، لأن الشمس أعظم من الأرض مرات كثيرة، فإذا كورت وألقيت في البحر فصارت ناراً ازدادت امتلاء.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ [التكوير: ٧] تفسير الحسن[٧]: أن

---

(١) ذكر الطبري قوله في تفسيره ٣٠/ ٦٨ بنحوه.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٣٠/ ٦٨.

(٣) المشهور عن الحسن أنه يفسر ﴿سُجِّرَتْ﴾ بمعنى يبست وغار ماؤها. انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير ٤/ ١٨٨٣؛ وتفسير الطبري ٣٠/ ٦٨.

(٤) ذكر الطبري قوله في تفسيره ٣٠/ ٦٨.

(٥) ذكر هذا القول الحليمي في كتابه المنهاج ١/ ٤٥٣.

(٦) في كتابه المنهاج ١/ ٤٥١.

(٧) رواه الطبري عن قتادة ٣٠/ ٧٠.

تلحق كل شيعة بشيعتها اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد من دون الله شيئاً، يلحق بعضهم ببعض، المنافقون بالمنافقين، والمؤمنون بالمؤمنين.

وقال عكرمة[١]: المعنى تقرن بأجسادها، أي: ترد إليها، وقيل: يقرن الغاوي بمن أغواه من شيطان أو إنسان.

وقيل: يقرن المؤمنون بالحور العين، والكافرون بالشياطين[٢].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ يعني: بنات الجاهلية، كانوا يدفنونهن أحياء لخصلتين: إحداهما: كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به.

الثانية: مخافة الحاجة والإملاق، وسؤال الموؤودة على وجه التوبيخ لقاتلها كما يقال للطفل إذا ضرب: لم ضُرِبت؟ وما ذنبك؟

قال الحسن[٣]: أراد الله أن يوبخ قاتلها، لأنها قتلت بغير ذنب، وبعضهم يقرأ: «وإذا الموؤودة سألت»[٤] فتتعلق الجارية بأبيها فتقول: بأي ذنب قتلتني؟.

وقيل: معنى سُئلت: يسأل عنها، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير: ١٠] أي: للحساب.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١﴾ قيل معناه: طويت كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾، أي: كطي

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٧٠.
(٢) ذكر الثعالبي نحوه في تفسيره ٣/ ١٦.
(٣) لم أقف على من ذكر قول الحسن، وذكر الطبري نحوه ٣٠/ ٧١.
(٤) هذه قراءة أبي الضحى مسلم بن صبيح، ذكرها الطبري في تفسيره ٣٠/ ٧١.

الصحيفة على ما فيها، فاللام بمعنى على، يقال: كشطت السقف أي: قلعته، وكأن المعنى قلعت، فطويت، والله أعلم.

والكشط، والقشط سواء وهو القلع، وقيل: السجل كاتب رسول الله ﷺ، ولا يصح، إذ لا يُعرف في الصحابة من اسمه سجل.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾، أي: أوقدت.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾، أي: قربت لأهلها، وأدنيت.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾، أي: من عملها، وهو مثل قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الانفطار: ٥]، ومثل قوله: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣]، فهو يوم الانشقاق ويوم الانفطار ويوم التكوير ويوم الانكدار، ويوم الانتثار، ويوم التسيير، قال الله تعالى: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطور: ١٠] مثل: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾، ويوم التعطيل، ويوم التسجير، ويوم التفجير، ويوم الكشط، والطي، ويوم المد لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾﴾ [الانشقاق: ٣] إلى غير ذلك من أسماء القيامة، وهي الساعة الموعود أمرها، ولعظمها أكثر الناس السؤال عنها رسول الله ﷺ حتى أنزل الله ﷻ على رسوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، وهذا جميع كلام العرب، ألا ترى أن السيف لمَّا عظم عندهم موضعه، وتأكد نفعه لديهم وموقعه، جمعوا له خمس مائة اسم، وله نظائر، فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة، منها ما ذكرناه مما وقع في هذه السور الثلاث. ومما قيل في معنى ما ذكرناه من النظم قول بعضهم:

مثل لنفسك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور

إذ كورت شمس النهار وأدنيت ... حتى على رؤوس العباد تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا البحار تفجرت من خوفها ... ورأيتها مثل الحميم تفور
وإذا الجبال تعلقت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت وتخربت ... خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحشرت ... وتقول للأملاك أين تسير
وإذا تقاة المسلمين تزوجت ... من حور عين زانهن شعور
وإذا الموءودة سئلت عن شأنها ... وبأي ذنب قتلها ميسور
وإذا الجليل طوى السماء بيمينه ... طي السجل كتابه المنشور
وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت ... تبدي لنا يوم القصاص أمور
وإذا السماء تكشطت عن أهلها ... ورأيت أفلاك السماء تدور
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها فلها ... على أهل الذنوب زفير
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت ... لفتى على طول البلاء صبور
وإذا الجنين بأمه متعلق ... يخشى القضاء وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية ... كيف المصر على الذنوب دهور

باب

ما ينجي من أهوال يوم القيامة وكربها

مسلم[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة...»، وذكر الحديث.

وقد ينجي منها كلها ما ثبت في صحيح **مسلم**[٢] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢٠٧٤ ح٢٦٩٩. (٢) ٣/ ١١٩٥ ح١٥٦١.

فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله ﷻ: أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدي». وخرّج[(١)] عن حذيفة ﷺ: عن النبي ﷺ: «أن رجلاً مات فدخل الجنة، فقيل له: ما كنت تعمل؟ فقال: أما ذكروا ما ذكر، فقال: إني كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجوز في السكة أو في النقد، فغفر له»، وقال ابن مسعود: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ. رواه مسلم من طرق، وخرّجه **البخاري**[(٢)].

وروى **مسلم**[(٣)] عن أبي قتادة ﷺ أنه طلب غريماً له فتوارى عنه ثم وجده، فقال: إني معسر، قال: آلله، قال: آلله، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه».

وعن أبي اليسر ـ واسمه كعب بن عمرو ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله»، خرّجه **مسلم**[(٤)].

وروى الأئمة[(٥)] عن رسول الله ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلّق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله ﷻ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه». معنى: في ظله، أي: في ظل عرشه، وقد جاء هكذا مفسراً في الحديث.

---

(١) أي: مسلم في صحيحه ٣/ ١١٩٥ ح١٥٦٠.
(٢) في صحيحه ٢/ ٨٤٣ ح٢٢٦١. (٣) في صحيحه ٣/ ١١٩٦ ح١٥٦٣.
(٤) في صحيحه ٤/ ٢٣٠٢ ح٣٠٠٦.
(٥) التجاري في صحيحه ١/ ٢٣٤ ح٦٢٩؛ ومسلم في صحيحه ٢/ ٧١٥ ح٣١ ـ ١.

وفي التنزيل تحقيقاً لهذا الكتاب وجامعاً له قوله الحق: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ إلى قوله: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾ مع قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] مع قوله في غير موضع بعد ذكر الأعمال الصالحة: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

بَابٌ

في الشفاعة العامة لنبيّنا ﷺ لأهل المحشر

مسلم[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة، فقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بمَ ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبونا أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسمّاك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربنا، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم نوح: إني ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم أنت

---

(١) في صحيحه ١/ ١٨٤ ح١٩٤؛ والبخاري في صحيحه ٤/ ١٧٤٥ ح٤٤٣٥.

نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضّلك الله برسالته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم قال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تُشفّع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أَدْخِلِ الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكَما بين مكة وهجر، وكما بين مكة وبُصْرى»(١)، وفي البخاري: «كما بين مكة وحِمْيَر».

---

(١) تقع بُصْرى داخل الحدود السورية على مقربة من الحدود الأردنية. انظر: معجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي ص(٤٣ ـ ٤٤).

فَصْلٌ

هذه الشفاعة العامة التي خُصَّ بها نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء هي المراد بقوله عليه السلام: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي»، رواه الأئمة: **البخاري**[(١)] **ومسلم**[(٢)] وغيرهما[(٣)].

وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي لتعجيل حسابهم ويراحوا من هول الموقف، وهي الخاصة به ﷺ، وقوله: «فأقول: يا رب أمتي أمتي» اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم، وقوله: «فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه»، يدل على أنه يشفع فيما طُلِبَ من تعجيل الحساب لأهل الموقف، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع في حساب مَنْ عليه حساب مِن أمته وغيرهم، وكان طلب هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر في ذلك اليوم مقام نبيه محمد ﷺ المحمود الذي وعده، ولذلك قال كل نبي: «لست لها، لست لها» حتى انتهى الأمر إلى محمد ﷺ فقال: «أنا لها».

وروى **مسلم**[(٤)] عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك»، وفي رواية: «فيلهمون، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال: فيأتون آدم...»، وذكر الحديث.

---

(١) في صحيحه ٥/ ٢٣٢٣ ح٥٩٤٥. (٢) في صحيحه ١/ ١٨٨ ح١٩٨.
(٣) الترمذي في جامعه ٥/ ٥٨٠ ح٣٦٠٢؛ وابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٤٠ ح٤٣٠٧.
(٤) في صحيحه ١/ ١٨٠ ح١٩٣.

باب

ما جاء أن هذه الشفاعة هي المقام المحمود

الترمذي(١) عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، قال: فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: إني أذنبت ذنباً فأهبطت به إلى الأرض، ولكن ائتوا نوحاً، فيقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات ـ ثم قال رسول الله ﷺ: ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ـ ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول: قد قتلت نفساً، ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول: إني عُبدت من دون الله، ولكن ائتوا محمداً ﷺ فيأتونني فأنطلق معهم». قال ابن جدعان: قال أنس: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ.

قال: «فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها، فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد، فيفتحون لي ويرحبون، فيقولون: مرحباً، فأخرّ ساجداً، فيلهمني من الثناء والحمد، فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعطه(٢)، واشفع تشفع، وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله فيه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]».

قال سفيان: ليس عن أنس إلا هذه الكلمة: «فآخذ بحلقة باب

---

(١) في جامعه ٣٠٨/٥ ح٣١٤٨، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٧٠/٣ ـ ٧١ ح٢٥١٦.

(٢) في (الترمذي): تعط.

الجنة فأقعقعها»[١]، قال الترمذي: حديث حسن.

وفي **البخاري**[٢] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتبع نبيها، تقول: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود».

وروى **الترمذي**[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾. سئل عنها قال: «هي الشفاعة»، قال: هذا حديث حسن صحيح[٤].

فصل

إذا ثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء عليهم السلام حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيشفع هذه الشفاعة العامة لأهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ليراحوا من هول موقفهم فاعلم أن العلماء اختلفوا في شفاعاته وكم هي؟

فقال النقاش[٥]: لرسول الله ﷺ ثلاث شفاعات: العامة، وشفاعة في السبق إلى الجنة، وشفاعة في أهل الكبائر[٦].

---

(١) ذكره الترمذي في جامعه ٥/ ٣٠٨.

(٢) في صحيحه ٤/ ١٧٤٨ ح٤٤٤١.

(٣) في جامعه ٥/ ٣٠٣ ح٣١٣٧؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٤٤٤ ح٩٧٣٣، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ٦٨ ـ ٦٩ ح٢٥٠٨.

(٤) (صحيح): ليست في (الترمذي).

(٥) العلامة المفسر، أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي، النقّاش، روى عنه الدارقطني، وابن شاهين، وغيرهما، له مصنفات منها: شفاء الصدور في التفسير، والإشارة في غريب القرآن، وغيرها، توفي سنة ٣٥١هـ. سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٧٣.

(٦) ذكر قوله ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز ١٠/ ٣٣٦.

وقال ابن عطية[1]: والمشهور أنهما شفاعتان فقط، العامة، وشفاعة في إخراج المذنبين من النار، وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء.

وقال القاضي عياض[2]: شفاعات نبينا ﷺ يوم القيامة خمس شفاعات:

الأولى: العامة.

الثانية: إدخال قوم الجنة بغير حساب.

الثالثة: في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا ﷺ، ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة.

الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا محمد ﷺ وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم المؤمنين.

الخامسة: في زيادات الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها.

قلت: وشفاعة سادسة[3] لعمه أبي طالب في التخفيف عنه كما رواه **مسلم**[4] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله قال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه.

فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

---

(١) القول في تفسيره المحرر الوجيز ١٠/٣٣٦.

(٢) في كتابه إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم ١/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦.

(٣) وأوصل شارح العقيدة الطحاوية شفاعات النبي ﷺ إلى ثمانية أنواع. انظر ١/ ٢٨٣ ـ ٢٩٠.

(٤) في صحيحه ١/ ١٩٥ ح٢١٠.

قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة.

باب

من أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة

البخاري[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه».

باب

ما جاء في تطاير الصحف عند العرض والحساب وإعطاء الكتب باليمين والشمال

قال الترمذي[٢]: ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب على من حاسب نفسه في الدنيا.

وقال عطاء الخراساني[٣]: يحاسب العبد يوم القيامة عند معارفه ليكون أشد عليه. ذكره **أبو نعيم**[٤].

---

(١) في صحيحه ٥/ ٢٤٠٢ ح٦٢٠١.

(٢) ذكره الترمذي في جامعه ٤/ ٦٣٨ ح٢٤٥٩؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٩٦ ح٣٤٤٩.

(٣) هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني، المحدث، الواعظ، روى عن ابن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، وروى عنه سفيان ومالك وشعبة وحماد بن سلمة، وغيرهم، مات سنة ١٣٥هـ. السير ٦/ ١٤٠.

(٤) في الحلية ٥/ ١٩٧.

البخاري[١] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ من حوسب يوم القيامة عذب، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨] فقال: «ليس ذلك الحساب، إنما ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذّب». أخرجه **مسلم**[٢] **والترمذي**[٣] وقال: حديث حسن صحيح.

فَصْلٌ

قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣] قال الزجاج[٤]: ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق[٥].

وقال إبراهيم بن أدهم[٦]: كل آدمي في عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله، فإذا مات طويت، فإذا بعث نشرت، وقيل له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝﴾[٧].

وقال ابن عباس[٨] رضي الله عنهما: طائره: عمله، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) في صحيحه ٥/ ٢٣٩٥ ح٦١٧٢. (٢) في صحيحه ٤/ ٢٢٠٤ ح٢٨٧٦.

(٣) في جامعه ٥/ ٤٣٥ ح٣٣٣٧.

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن السري، أبو إسحاق الزجاج، البغدادي، نحوي زمانه، صنّف كتاب معاني القرآن، وله كتب أخرى، توفي سنة ٣١١هـ. السير ١٤/ ٣٦٠.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٢٣٠.

(٦) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أحد الزهّاد، حدّث عن أبي إسحاق السبيعي والأعمش وغيرهم، وحدث عنه سفيان الثوري وبقية بن الوليد وغيرهما، توفي سنة ١٦٢هـ. السير ٧/ ٣٨٧.

(٧) روى نحوه ابن المبارك في زهده عن الحسن البصري ص(٥٤٥) ح١٥٦٣؛ وأبو نعيم في الحلية عن الحسن أيضاً ٨/ ٧٠.

(٨) ذكر قوله الطبري في تفسيره ١٥/ ٥١.

كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

قال الحسن: يقرأ الإنسان كتابه أمياً كان أو غير أمي[1].

وقال أبو السوار العدوي[2]: وقرأ هذه الآية: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾، قال: هما نشرتان وطيَّة، أما ما حييت يا ابن آدم فصحيفتك المنشورة فاملأ فيها ما شئت، فإذا مت طويت، حتى إذا بعثت نشرت[3]، ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾، فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يوثق بها بعد البعث حوسبوا بها، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾، فدل أن المحاسبة تكون عند إيتاء الكتب، لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، فإذا بعثوا من قبورهم إلى الموقف فقاموا فيه ما شاء الله تعالى حفاة وعراة، وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاسبهم فيه أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس، فأتوها فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو وراء ظهره وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كلٌّ كتابه وأنشدوا:

مثّل وقوفك يوم العرض عريانا ... مستوحشاً قلق الأحشاي حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا

---

(١) ذكره ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٥/١٦.

(٢) أبو السوار العدوي البصري، قيل اسمه: حسان بن حريب، وقيل بالعكس، وقيل: حريف آخره فاء، وقيل: منقذ، وقيل: حجير بن الربيع، ثقة من الثانية. تقريب التهذيب ١/٦٤٦ رقم ٨١٥٢؛ وذكره قوله أبو نعيم في الحلية ٢/٢٥٠.

(٣) إلى هنا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/١٦.

اقرأ كتابك يا عبدي على مهل فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي وامضوا بعبد عصا للنار عطشانا
المشركون غداً في النار يلتهبوا والمؤمنون بدار الخلد سكانا

فتوهم نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب، ونصبت الموازين، وقد نوديتَ ونُوِّه باسمك على رؤوس الخلائق: أين فلان بن فلان، هلمّ إلى العرض على الله، وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك إلى الله، لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك إذا عرفت أنك المراد بالدعاء، إذ قرع النداء قلبك فعلمت أنك المطلوب، فارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك وتغيّر لونك، وطار قلبك يخطي بكل الصفوف إلى ربك للعرض عليه، والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت في أيديهم وقد طار قلبك واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك[١].

فتوهم نفسك وأنت بين يدي ربك في يدك صحيفة مخبرة بعملك، لا تغادر بلية كتمتها ولا مخبأ أسررتها وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل وقلب منكسر والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك، وكم من بلية قد كنت نسيتها ذكركها، وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها، وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك في ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيماً، فيا حسرة قلبك ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[٢] فيعلم أنه من أهل الجنة، ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ وذلك حين يأذن الله فيقرأ كتابه[٣].

---

(١) ذكر هذا التوهم المحاسبي في كتابه التوهم ص(٥٣).
(٢) هذه الآية وما بعدها إلى قوله: ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ من سورة الحاقة: الآيات (١٩ ـ ٣٢).
(٣) ذكر هذا التوهم المحاسبي في كتابه التوهم ص(٥٦).

فتوهم نفسك إن كنت من السعداء وقد خرجت على الخلائق مسرور الوجه قد حلّ بك الكمال والحسن والجمال، وكتابك في يمينك، أخذ بضبعيك ملك ينادي على رؤوس الأشهاد هذا فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وأما إن كنت من أهل الشقاء فيسود وجهك وتتخطى الخلائق، وكتابك في شمالك أو من وراء ظهرك تنادي بالويل والثبور وملك آخذ بضبعيك ينادي على رؤوس الخلائق ألا إن فلان بن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً[١].

بَابٌ

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]

الترمذي[٢] عن أبي غالب قال: رأى أبو أمامة رؤوساً منصوبة على برج دمشق، فقال أبو أمامة: كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه. ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ...﴾ إلى آخر الآية، فقلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً حتى عدّ سبعاً ما حدثتكموه، قال: هذا حديث حسن.

وخرّج أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب[٣] عن مالك بن سليمان الهروي أخي غسان عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ

---

(١) ذكر هذا التوهم المحاسبي في كتابه التوهم ص(٦٠).

(٢) في جامعه ٥/ ٢٢٦ ح٣٠٠٠؛ والحاكم في مستدركه ٢/ ١٦٣ ح٢٦٥٥؛ وأبو نعيم في الحلية ٦/ ١٨٢ ح٨٨٩٩. قال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ٣٢ ح٢٣٩٨.

(٣) خرّجه في تاريخ بغداد ٧/ ٣٧٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وُجُوهٌ﴾ قال: يعني تبيض وجوه أهل السنّة وتسود وجوه أهل البدعة، قال أبو بكر: منكر من حديث مالك.

قلت: هذا قول ابن عباس[(١)] وغيره في الآية: تبيض وجوه أهل السنّة، وتسود وجوه أهل البدعة.

وقال الحسن: هي في المنافقين[(٢)].

قتادة: في المرتدين[(٣)].

أُبيّ بن كعب: في الكفار، وهو اختيار الطبري[(٤)].

اللهم بيّض وجوهنا يوم تبيض وجوه أوليائك، ولا تسوّدها يوم تسوّد وجوه أعدائك، بفضلك يا ذا الفضل العظيم وكرمك يا كريم.

باب

ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣]، وقال: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧]، أي: بما عملتموه، وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] أي: يسأل عن ذلك ويجازى عليه، والآي في هذا المعنى كثيرة.

وقال: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨].

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٣٩١.

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٤/ ٤٠ ـ ٤١.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٤/ ٤٠.

(٤) في تفسيره ٤/ ٤١.

الترمذي[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ قال الناس: يا رسول الله عن أي النعيم نسأل؟ فإنما هما الأسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا، قال: إن ذلك سيكون».

وعنه[(٢)] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعني العبد أن يقال له: ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد»؟ قال الترمذي: حديث غريب.

مسلم[(٣)] عن أبي برزة الأسلمي[(٤)] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن علمه فيما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟».

مسلم[(٥)] عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعت رسول الله يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف، قال: فيقول: فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، قال: فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكافر

---

(١) في جامعه ٥/٤٤٨ ح٣٣٥٧؛ وابن ماجه في سننه ٢/١٣٩٢ ح٤١٥٨، حسّنه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/١٣٤ ح٢٦٧٣.

(٢) أي: عن الترمذي في جامعه ٥/٤٤٨ ح٣٣٥٨؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/٣٦٤ ح٧٣٦٤، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/١٣٤ ح٢٦٧٤.

(٣) لم أجده في صحيح مسلم.

(٤) اسمه: نضلة بن عبيد بن الحارث، له صحبة. انظر: الكنى للبخاري ص(٩١) رقم ٩٨٦، وأسماء من يعرف بكنيته للموصلي ص(٣٢) رقم ١٩.

(٥) في صحيحه ٤/٢١٢٠ ح٢٧٦٨.

والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلاق: هؤلاء الذين كذبوا على الله».

أخرجه **البخاري**[(١)] وقال في آخره: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه وتخبأ كبارها، فيقال له: عملت يوم كذا وكذا وكذا ثلاث مرات، وهو يقر ليس ينكر قال: وهو مشفق من الكبائر أن تجيء، قال: فإذا أراد الله به خيراً قال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة، فيقول حين طمع: يا رب إن لي ذنوباً ما رأيتها هاهنا، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ثم تلا: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]، خرّجه **مسلم** في صحيحه[(٢)].

فصل

قوله: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل»، عامٌ لأنه نكرةٌ في سياق النفي لكنه مخصوص بقوله عليه السلام: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب»[(٣)] على ما يأتي[(٤)]، وبقوله تعالى لمحمد ﷺ: «أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن»[(٥)] الحديث، ولقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾.

قوله عليه السلام: «وعن علمه ما عمل فيه». **قلت**: هذا مقام مخوف؛

(١) في صحيحه ٢/ ٨٦٢ ح٢٣٠٩. (٢) ١/ ١٧٧ ح١٩٠.
(٣) أخرجه البخاري ٥/ ٢٣٧٥ ح٦١٠٧؛ ومسلم ١/ ١٩٨ ح٢١٨.
(٤) ص(٢٥٤).
(٥) أخرجه البخاري ٤/ ١٧٤٦ ح٤٤٣٥؛ ومسلم ١/ ١٨٤ ح١٩٤.

لأنه لم يقل: وعن علمه ما قال فيه، وإنما قال: ما عمل فيه، فلينظر العبد ما عمل فيما عَلِمَهُ، هل صدق الله في ذلك وأخلصه حتى يدخل فيمن أثنى الله عليه بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ [البقرة: ١٧٧] أو خالف علمه بفعل فيدخل في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآية [الأعراف: ١٦٩]، وقوله: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]، والأخبار في هذا المعنى كثيرة، وسيأتي[(١)] ذكرها في أبواب النار إن شاء الله تعالى.

وقوله: «حتى يضع عليه كنفه»، أي: ستره ولطفه وإكرامه فيخاطبه خطاب الملاطفة ويناجيه مناجاة المصافاة والمحادثة فيقول: هل تعرف، فيقول: رب أعرف، فيقول الله تعالى: ممتناً عليه ومظهراً فضله لديه فإني قد سترتها عليك في الدنيا ـ أي لم أفضحك بما فيها ـ وأنا أغفرها لك اليوم.

وروي عن ابن مسعود أنه قال: «ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة»[(٢)]. وهذا مأخوذ من حديث النجوى، ومن قوله ﷺ: «لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة» خرّجه **مسلم**[(٣)].

وفي صحيح **مسلم**[(٤)] أيضاً من حديث أبي هريرة: «ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة».

---

(١) ص(٢٦٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٩/ ١٦٠ ح٨٨٠٠؛ والحاكم في مستدركه ٤/ ٤٢٥ ح٨٨٦١.

(٣) في صحيحه ٤/ ٢٠٠٢ ح٢٥٩٠. (٤) ٤/ ٢٠٧٤ ح٢٦٩٩.

وروي: «من ستر على مسلم عورته ستر الله عورته يوم القيامة»[١].

قال أبو حامد[٢]: فهذا إنما يرجوه عبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم، واحتمل في حق نفسه تقصيرهم، ولم يحرك لسانه بذكر مساوئ الناس، ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، فهذا جدير بأن يجازى بمثله في القيامة.

باب

ما جاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه ترجمان

مسلم[٣] عن عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة». زاد ابن حجر: قال الأعمش: وحدثني عمرو بن مرة عن خيثمة عن عدي مثله وزاد فيه: ولو بكلمة طيبة[٤]، خرّجه **البخاري**[٥] **والترمذي**[٦]، وقال: حديث حسن صحيح.

قلت: وقوله: «ما منكم من أحد» مخصوص بما ذكرناه في الباب قبل، أي: ما منكم ممن لا يدخل الجنة بغير حساب ومن أمتي إلا وسيكلمه الله، والله أعلم.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه ٢/ ٨٥٠ ح٢٦٩٩، صحّحه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/ ٧٩ ح٢٠٦٣.

(٢) في الإحياء ٤/ ٥١٩.

(٣) في صحيحه ٢/ ٧٠٣ ح١٠١٦.

(٤) نهاية النقل من صحيح مسلم.

(٥) في صحيحه ٥/ ٢٣٩٥ ح٦١٧٤.

(٦) في جامعه ٤/ ٦١١ ح٢٤١٥.

فتفكر في عظيم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شفاهاً؛ إذ يقول: يا عبد أما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجميل، أكنت أهون عليك من سائر عبادي؟ استخففت بنظري إليك فلم تكترث به، واستعظمت نظر غيري، ألم أنعم عليك؟ فماذا غرّك بي؟

وعن ابن مسعود ﷺ قال: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول: يا ابن آدم ما غرّك بي؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين[(١)]؟ يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينيك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك؟ ألم أكن رقيباً على أذنك؟ وهكذا عن سائر الأعضاء، فكيف ترى حياءك وخجلك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك، وأياديه ومساويك، فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك، فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء، إلا أن الله ﷻ وعد المؤمن أن يستر عليه، ولا يطلع عليه غيره كما ذكرنا، وذلك تفضل منه تعالى.

باب

القصاص يوم القيامة ممن استطال في حقوق الناس وفي حبسه لهم حتى ينتصفوا منه

مسلم[(٢)] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء[(٣)] من الشاة القرناء».

---

(١) إلى هنا أخرجه الطبراني في الكبير ٩/ ١٨٢ ح٨٨٩٩. قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير موقوفاً ورجال الكبير رجال الصحيح غير شريك بن عبد الله فهو ثقة، وفيه ضعف. مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٧.

(٢) في صحيحه ٤/ ١٩٩٧ ح٢٥٨٢.

(٣) هي التي لا قرن لها. النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٨٤.

البخاري[١] عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه».

مسلم[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من[٣] المفلس؟»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار».

وخرّج **ابن ماجه**[٤] قال: أخبرنا محمد بن ثعلبة بن سواء، حدثنا عمي محمد بن سواء عن حسين المعلم عن مطر الوراق عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وعليه دينار أو درهم قضي من حسناته، ليس ثم دينار ولا درهم، من ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله»[٥].

ابن ماجه[٦] عن جابر رضي الله عنه قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ

---

(١) في صحيحه ٢/ ٨٦٥ ح٢٣١٧.
(٢) في صحيحه ٤/ ١٩٩٧ ح٢٥٨١.
(٣) في (مسلم): ما.
(٤) في سننه ٢/ ٨٠٧ ح٢٤١٤، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٥٣ ح١٩٥٨.
(٥) (من ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله): ليست في (متن حديث ابن ماجه، وإنما هي عنوان الباب الذي يلي الحديث الذي أورده المصنف).
(٦) في سننه ٢/ ١٣٢٩ ح٤٠١٠، حسّنه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٦٨ ح٣٢٣٩.

مهاجرة البحر، قال: «ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟» فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس، مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرّت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم يا غَدِر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً، قال: يقول رسول الله ﷺ: «صدقت، صدقت، كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم».

فَصْلٌ

وإذا تقرر هذا فيجب على كل مسلم: البدار إلى محاسبة نفسه كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا. وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً، ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله عز وجل ويرد المظالم حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسطوته بقلبه ويطيِّب قلوبهم حتى يموت ولم تبق عليه فريضة ولا مظلمة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، فإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلبته[1] وهذا يقول: ظلمتني، وهذا يقول: شتمتني، وهذا يقول: استهزأت بي، وهذا يقول: ذكرتني في الغيبة بما يسوؤني، وهذا يقول: جاورتني فأسأت جواري، وهذا يقول: عاملتني فغششتني، وهذا يقول: بايعتني فأخفيت عني عيب متاعك، وهذا

---

(١) اللبّة: هي الهَزْمة التي فَوْق الصَّدْر وفيها تُنْحَر الإبل. انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٢٣.

يقول: وجدتني مظلوماً وكنت قادراً على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني، فبينا أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا في تلابيبك أيديهم، وأنت مبهوت من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو جناية أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقامتهم ومددت عين الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم، إذ قرع سمعك نداء الجبار ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ﴾ [غافر: ١٧]، فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما أنذرك الله به على لسان نبيه محمد ﷺ حين قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٣].

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك اليوم بأعراض الناس، وتناولك أموالهم، وما أشد حسرتك في ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العذاب وشوفهت بخطاب السيئات وأنت فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظهر عذراً، فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك فتنقل إلى خصمائك عوضاً عن حقوقهم، كما ورد في الأحاديث المذكورة في هذا الباب، فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس لك حسنة قد سلمت من آفات الرياء ومكائد الشيطان، فإن سلمت حسنة واحدة في ساعة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها.

قال أبو حامد[1]: ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا ينقضي عليك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك، فكيف ببقية

(١) في الإحياء ٤/ ٥٢١ ـ ٥٢٢.

السيئات من أكل الحرام والشبهات، والتقصير في الطاعات، وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء؟ ويقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

فكيف بك يا مسكين في يوم ترى فيه صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك، فتقول: أين حسناتي؟ فيقال: نقلت إلى صحيفة خصمائك، وترى صحيفتك مشحونة بسيئات غيرك، فتقول: يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط، فيقال: هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء، وظلمتهم في المعاملة والمبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة، فاتق الله في مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وأبشارهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخُلُق في معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة المغفرة إليه أسرع، ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص من حيث لا يطلع عليه إلا الله تعالى، فعساه يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذي ادخره لأربابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم بإرضائه إياهم.

باب

أول من يحاسب أمة محمد ﷺ

ابن ماجه(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيها، فنحن الآخرون الأولون».

---

(١) في سننه ٢/ ١٤٣٤ ح٤٢٩٠، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٧ ح٣٤٦٣.

باب

أول ما يسأل عنه العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس الدماء، وأول من يدعى للخصومة

مسلم[(١)] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»، خرّجه **البخاري**[(٢)] أيضاً، **والنسائي**[(٣)] **والترمذي**[(٤)] وقال: هذا حديث حسن صحيح، **وللنسائي**[(٥)] أيضاً عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس الدماء».

وفي **البخاري**[(٦)] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا أول من يجثو يوم القيامة بين يدي الرحمٰن للخصومة، يريد قصته في مبارزته، هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش، قال أبو ذر: وفيهم نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ الآية [الحج: ١٩]، والخبر بهذا مشهور صحيح خرّجه **البخاري**[(٧)] **ومسلم**[(٨)] وغيرهما[(٩)].

---

(١) في صحيحه ٣/ ١٣٠٤ ح١٦٧٨.

(٢) في صحيحه ٦/ ٢٥١٧ ح٦٤٧١.

(٣) في المجتبى له ٧/ ٨٣ ح٣٩٩٣، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن النسائي ٣/ ٨٤٠ ح٣٧٢٩.

(٤) في جامعه ٤/ ١٧ ح١٣٩٧، صحّحه الألباني. انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٥٦ ح١١٢٧.

(٥) في المجتبى ٧/ ٨٣ ح٣٩٩١، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن النسائي ٣/ ٨٣٩ ح٣٧٢٦.

(٦) في صحيحه ٤/ ١٤٥٨ ح٣٧٤٧.

(٧) في صحيحه ٤/ ١٧٦٩ ح٤٤٦٧.

(٨) في صحيحه ٤/ ٢٣٢٢ ح٣٠٣٣.

(٩) وأخرجه أيضاً ابن ماجه في سننه ٢/ ٩٤٦ ح٢٨٣٥؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٣٥٧ ح٣٦٦٨٣؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٢٧٦ ح٥٩١١.

وخرّجه **الترمذي** في جامعه[١] قال: ثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال: ثنا شبابة قال: ثنا ورقاء بن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس ﵄ عن النبي ﷺ قال: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دماً يقول: يا رب قتلني هذا حتى يدنيه من العرش»، قال: هذا حديث حسن غريب.

مالك[٢] عن يحيى بن سعيد قال: بلغني أن أول ما ينظر فيه من عمل المرء الصلاة، فإن قبلت منه نظر فيما بقي من عمله وإن لم تقبل منه لم ينظر في شيء من عمله.

قلت: وهذا الحديث وإن كان موقوفاً بلاغاً، فقد رواه أبو داود[٣] والترمذي[٤] والنسائي[٥] مرفوعاً بهذا المعنى عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا ﷿ لملائكته: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت تامة[٦]، وإن كان أنقص منها شيئاً قال: انظروا هل لعبدي من تطوع، فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك»، لفظ أبي داود: وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وخرّجه ابن ماجه[٧] أيضاً.

---

(١) ٥/ ٢٤٠ ح٣٠٢٩، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ٤٠ ح٢٤٢٥.

(٢) في الموطأ ١/ ١٧٣ ح٤١٨.

(٣) في سننه ١/ ٢٢٩ ح٨٦٤.

(٤) في جامعه ٢/ ٢٧٢ ح٤١٣.

(٥) في المجتبى ١/ ٢٣٢ ح٤٦٥، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن النسائي ١/ ١٠١ ـ ١٠٢ ح٤٥٢.

(٦) في (أبو داود): كتبت له تامة.

(٧) في سننه ١/ ٤٥٨ ح١٤٢٥.

فَصْلٌ

قال علماؤنا[١]: أما إكمال الفريضة من التطوع فإنما يكون ذلك والله أعلم فيمن سهى عن فريضة فلم يأت بها أو لم يحسن ركوعها وسجودها ولم يدر قدر ذلك، وأما من تعمد تركها أو شيء منها ثم ذكرها فلم يأت بها عامداً واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه، وهو ذاكر له فلا تكمل فريضته تلك من تطوعه، والله أعلم.

قلت: فينبغي للإنسان أن يحافظ على أداء فرضه فيصليه كما أمر من تمام الركوع والسجود وحضور القلب، فإن غفل عن شيء من ذلك فيجتهد بعد ذلك في نفله ولا يتساهل فيه ولا في تركه، ومن لا يحسن أن يصلي الفرض فأحرى أن لا يحسن النفل لا جرم، بل تنفل الناس في أشد ما يكون من النقصان والخلل من التمام لخفة النفل عندهم وتهاونهم به، ولعمر الله لقد يشاهد في الوجود من يشار إليه ويظن به العلم تنفله كذلك بل فرضه، أن ينقر نقر الديك فكيف بالجهال الذين لا يعلمون، وإذا كان هذا، فكيف يكمل بهذا التنفل ما نقص من الفرض، هيهات، هيهات. فاعلموا أن الصلاة إذا كانت بهذه الصفة دخل صاحبها في معنى قوله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

قال جماعة من العلماء[٢]: التضييع للصلاة هو أن لا يقيم حدودها من مراعاة وقت وطهارة وتمام ركوع وسجود ونحو ذلك، وهو مع ذلك يصليها ولا يمتنع من القيام بها في وقتها وغير وقتها،

(١) النص لابن عبد البر في كتابه التمهيد ٢٤/ ٨١.
(٢) ذكرهم المصنف في تفسيره ١١/ ٨٢ فقرة ١٢٢ منهم: الشافعي وأحمد وإسحاق.

قالوا: فأما من تركها أصلاً ولم يصلها فهو كافر.

روى **الترمذي**[١] عن أبي مسعود الأنصاري[٢] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزي صلاة لا يقيم فيها الرجل صلبه في الركوع والسجود»، قال: حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم يرون أن يقيم الرجل صلبه في الركوع والسجود.

قال الشافعي[٣] وأحمد[٤] وإسحاق[٥]: من لم يقم صلبه في الركوع والسجود فصلاته فاسدة لحديث النبي ﷺ: «لا يقيم فيها الرجل صلبه في الركوع والسجود»، وروى **البخاري**[٦] عن زيد بن وهب عن حذيفة ورأى رجلاً لا يتم ركوعه ولا سجوده، فلما قضى صلاته قال له حذيفة: «ما صليت، ولو مت مت على غير سنّة محمد ﷺ»[٧]. أخرجه **النسائي**[٨] أيضاً عنه عن حذيفة أنه رأى رجلاً يطفف، فقال له حذيفة: «منذ كم تصلي هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين عاماً، قال: ما صليت ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة لمت على غير فطرة محمد ﷺ، ثم

---

(١) في جامعه ٢/ ٥٢ ح٢٦٥؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٣٠٣ ح٣٦٢٩٥؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٨٨ ح٢٤٠٣، صحّحه الألباني. انظر: صحيح جامع الترمذي ١/ ٨٤ ح٢١٧.

(٢) هو: عقبة بن عمرو بن ثعلبة، صحابي، مات بعد سنة ٤٠هـ. الإصابة ٤/ ٥٢٤.

(٣) في الأم له ١/ ١١٤.

(٤) انظر: المغني ١/ ٢٩٦.

(٥) لم أقف على من ذكر قوله غير المصنف.

(٦) في صحيحه ١/ ١٥٢ ح٣٨٢.

(٧) في (البخاري): وأحسبه قال: لو مت، مت على غير سنّة محمد ﷺ.

(٨) في المجتبى ٣/ ٥٨ ح١٣١٢. قال الألباني: صحيح الإسناد. انظر: صحيح النسائي ١/ ٢٨٢ ح١٢٤٤.

قال: إن الرجل ليخفف الصلاة ويتم ويحسن». والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً قد أتينا عليها في غير هذا الموضع وهي تبين لك المراد من قوله تعالى: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

وقد روى **النسائي**(١) عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن وجدت تامة كتبت تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً(٢) قال: انظروا هل تجدون له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضته من تطوعه؟ ثم سائر الأعمال تجري على ذلك»(٣)، وهذا نص.

وقال عمر: من ضيعها فهو لما سواها أضيع(٤).

باب

ما جاء في شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما ولقائهما الله ﷻ

قال الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ [يس: ٦٥]، وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤]، وقال: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ الآية [فصلت: ٢١].

مسلم(٥) عن أنس بن مالك ﵁ قال: كنا عند رسول الله ﷺ

---

(١) في المجتبى ١/ ٢٣٣ ح٤٦٦، صحّحه الألباني. انظر: صحيح النسائي ١/ ١٠١ ـ ١٠٢ ح٤٥٢.
(٢) في (النسائي): شيء.
(٣) في (سنن النسائي): على حسب ذلك.
(٤) رواه مالك في الموطأ ١/ ٦ ح٦؛ والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ٤٤٥ ح١٩٣٥.
(٥) في صحيحه ٤/ ٢٢٨٠ ح٢٩٦٩.

فضحك فقال: «هل تدرون مما أضحك؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل».

الترمذي[(١)] عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول[(٢)]: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً؟ وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع، فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول: اليوم أنساك كما نسيتني»، قال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

البخاري[(٣)] عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «يجاء بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملأ الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك».

وأخرجه **مسلم**[(٤)] وقال: بدل «قد كنت»: «كذبت قد سئلت ما هو أيسر من ذلك».

---

(١) في جامعه ٤/٦١٩ ح٢٤٢٨؛ وابن حبان في صحيحه ١٠/٤٩٩ ح٤٦٤٢، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٢٩٢ ح١٩٧٨.

(٢) في (الترمذي): فيقول الله.

(٣) في صحيحه ٥/٢٣٩٥ ح٦١٧٣.

(٤) في صحيحه ٤/٢١٦١ ح٢٨٠٥.

فَصْلٌ

معنى تراس وتربع: ترأس على قومك، أي: تكون رئيساً عليهم وتأخذ الربع مما يحصل لهم من الغنائم والكسب وكانت عادتهم أن أمراءهم كانوا يأخذون من الغنائم الربع ويسمونه المرباع، قال شاعرهم[(١)]:

لك المرباع منا والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

وقال آخر[(٢)]:

منا الذي ربع الجيوش لصلبه عشرون وهو يعد في الأحياء

يقال: ربع الجيش يربعه رباعة: إذا أخذ ربع الغنيمة.

ومعنى قوله: «اليوم أنساك كما نسيتني»، أتركك[(٣)] في العذاب كما تركت عبادتي ومعرفتي.

بَابٌ

ما جاء في شهادة الأرض وشهادة المال على صاحبه

الترمذي[(٤)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه

---

(١) أورده ابن سلام في غريب الحديث له ٣/٨٨، ونسبه إلى الشَمّاخ، وأورده ابن منظور في لسان العرب ١١/٥٢٦، وقال: قاله ابن عَنْمة.

(٢) ذكره محمد بن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء ٢/٧٥١، قال: وأنشد أبو النجم في مجلس سليمان بن عبد الملك، فذكره.

(٣) وهو من معاني النسيان وهو اللائق بالله تعالى.

(٤) في جامعه ٥/٤٤٦ ح٣٣٥٣؛ والنسائي في الكبرى ٦/٥٢٠ ح١١٦٩٣؛ والحاكم في مستدركه ٢/٢٨١ ح٣٠١٢ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه. قال الألباني: ضعيف الإسناد. انظر: ضعيف الترمذي ص(٢٧٥) ح٤٢٨.

الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزلزلة: ٤]، قال: «أتدرون ما أخبارها؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها»، حديث حسن صحيح غريب[(١)].

وخرّج **مسلم**[(٢)] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ وفيه: «وأن هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو إن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل ـ أو كما قال رسول الله ﷺ ـ وأنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة، فلا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة». رواه أبو سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أخرجه الأئمة **مالك**[(٣)] وغيره[(٤)].

قال المؤلف: فتفكّر يا أخي وإن كنت شاهداً عدلاً بأنك مشهود عليك في كل أحوالك، من فعلك ومقالك، وأعظم الشهود لديك المطّلع عليك الذي لا تخفى عليه خائنة الأعين ولا يغيب عنه زمان ولا أين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، فاعمل عمل من يعلم أنه راجع إليه وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير، سبحانه لا إلٰه إلا هو.

---

(١) (غريب): ليست في (الترمذي).
(٢) في صحيحه ٢/ ٧٢٨ ح١٠٥٢.
(٣) في الموطأ ١/ ٦٩ ح١٥١.
(٤) ابن ماجه في سننه ١/ ٢٣٩ ح٧٢٣؛ وابن خزيمة في صحيحه ١/ ٢٠٣ ح٣٨٩؛ وأحمد في مسنده ٣/ ٦ ح١١٠٤٥؛ وعبد الرزاق في مصنفه ١/ ٤٨٥ ح١٨٦٥.

بَابٌ

ما جاء في سؤال الله تعالى الأنبياء وفي شهادة هذا الأمة للأنبياء على أممهم

قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٦ ـ ٧]، وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢]، فيبدأ بالأنبياء عليهم السلام: ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ﴾ [المائدة: ١٠٩] قيل في تفسيره: ما كانوا قد علموا لكن دهشت عقولهم وعزبت أفهامهم ونسوا من شدة الهول وعظم الخطب وصعوبة الأمر، فقالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، ثم يقربهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام ويقال: إن الهيبة تأخذ بمجامع قلوبهم فيذهلون عن الجواب، ثم إن الله يثبتهم ويحدث لهم ذكراً فيشهدون بما أجابت به أممهم، ويقال: إنما قالوا ذلك تسليماً، كما فعل المسيح عليه السلام في قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ والأول أصح، لأن الرسل يتفاضلون والمسيح من أجلّهم لأنه كلمة الله وروحه، قاله أبو حامد[1].

وخرّج **ابن ماجه**[2] ثنا أبو كريب وأحمد بن سنان قالا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، ويجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك، فيقول له[3]: هل بلّغت قومك؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال:

---

(١) في كشف علوم الآخرة له ص(٩٠).

(٢) في سننه ٢/ ١٤٣٢ ح٤٢٨٤، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٥ ح٣٤٥٧.

(٣) في (ابن ماجه): فيقال له.

هل بلغكم؟ فيقولون: لا، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتدعى أمة محمد ﷺ فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقول: وما أعلمكم[1] بذلك فيقولون: أخبرنا نبينا ﷺ بذلك، أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وذكر **البخاري**[2] أيضاً بمعناه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

باب

ما جاء في عقوبة مانع الزكاة وفضيحة الغادر والغال في الموقف وقت الحساب

مسلم[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: «ولا صاحب إبل لا يؤدي منها

(١) في (ابن ماجه): ما علمكم.

(٢) في صحيحه ٤/ ١٦٣٢ ح٤٢١٧.

(٣) في صحيحه ٢/ ٦٨٠ ح٩٨٧.

حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت، لا يَفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: «ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء[1] ولا جلحاء[2] ولا عضباء[3] تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار». وذكر الحديث. أخرجه **البخاري**[4] بمعناه.

وروى **مالك**[5] موقوفاً **والنسائي**[6] **والبخاري**[7] مرفوعاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثّل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان[8] يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيه ـ»، ثم قال: «أنا مالك أنا كنزك»، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٠].

وذكر **مسلم**[9] من حديث جابر رضي الله عنه قال: «ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبعه فاتحاً فاه،

---

(١) هي الملتوية القرن. النهاية في غريب الأثر ٣/ ٢٧٥.
(٢) «الجلحاء» التي لا قرن لها. النهاية في غريب الأثر ١/ ٢٨٤.
(٣) العَضْباء: هي مكسورة القرن. النهاية في غريب الأثر ٣/ ٢٥١.
(٤) في صحيحه ٢/ ٥٠٨ ح١٣٣٧.
(٥) في الموطأ ١/ ٢٥٦ ح٥٩٨.
(٦) في المجتبى ٥/ ٢٨ ح٢٤٥٤.
(٧) في صحيحه ٢/ ٥٠٨ ح١٣٣٨.
(٨) هما نكتتان سوداوان فوق عينيه. الصحاح ١/ ١٤٢.
(٩) في صحيحه ٢/ ٦٨٤ ح٩٨٨.

فإذا أتاه فر منه، فيناديه: خذ كنزك الذي خبأته فإنه عنه غني، فإذا رأى أن لا بد منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل...»، وذكر الحديث.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول وعظّم أمره، ثم قال: «لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته تخفق فيقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت[1]، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك»[2]، أخرجه **البخاري**[3] أيضاً.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان»[4].

---

(١) الذهب والفضة. النهاية في غريب الأثر ٣/ ٥١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٦١ ح١٨٣١.

(٣) في صحيحه ٣/ ١١١٨ ح٢٩٠٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٣٥٩ ح١٧٣٥ واللفظ له؛ وأخرجه البخاري أيضاً في صحيحه ٥/ ٢٢٨٥ ح٥٨٢٣.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة»[١].

باب

ما جاء في حوض النبي ﷺ في الموقف وسعته وكثرة أوانيه

روى **البخاري**[٢] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم رجل، فقال لهم: هلم، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم».

قلت: فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط؛ لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه، فمن جاز عليه سلم من النار.

مسلم[٣] عن أبي ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله ﷺ ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ، آخر ما عليه يشخب، فيه ميزابان من الجنة، من شرب منها لم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٣٦١؛ وأخرج مسلم أيضاً الرواية التي بعدها في نفس الجزء والصفحة.

(٢) في صحيحه ٥/ ٢٤٠٧ ح٦٢١٥. (٣) في صحيحه ٤/ ١٧٩٨ ح٢٣٠٠.

يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل».

وعن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إني لَبِعُقْرِ حوضي[١] أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفَضَّ[٢] عليهم»، فسئل عن عرضه فقال: «من مقامي إلى عمان»، وسئل عن شرابه فقال: «أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل، يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما: من ذهب، والآخر: من وَرِق»[٣].

مسلم[٤] عن أنس ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «نزلت علي آنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾»، ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم»، فأقول: «يا رب إنه من أمتي»، فيقال: «ما تدري ما أحدثت بعدك».

وفي رواية أخرى: «ما أحدث بعدك»[٥].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه شربة لم يظمأ

---

(١) قال الزمخشري في الفائق ٣/ ١٣: أعْقار الحوض مآخيره، والواحد عُقْر، والمعنى: أذودهم لأجل أن يَرِدَ أهل اليمن.
(٢) الارفضاض: التكسر والتفرق. انظر: الفائق ٣/ ١٣.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٩٩ ح٢٣٠١.
(٤) في صحيحه ١/ ٣٠٠ ح٤٠٠.
(٥) ذكرها مسلم بعد الرواية السابقة.

بعده أبداً»[١]، أخرجه **البخاري**[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمامكم حوضاً كما بين جربا وأذرح، فيه أباريق كنجوم السماء من ورد[٣] فشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً»[٤]، قال عبيد الله: فسألته، فقال: «قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث»، أخرجه **البخاري**[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه»، قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون عليّ غُرًّا محجّلين من أثر الوضوء»[٦].

ابن ماجه[٧] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لي حوضاً ما بين الكعبة وبيت المقدس، أبيض مثل اللبن، آنيته عدد النجوم وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له ٤/ ١٧٩٣ ح٢٢٩٢.
(٢) في صحيحه ٥/ ٢٤٠٥ ح٦٢٠٨.
(٣) في (مسلم): من ورده.
(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٧٩٨ ح٢٢٩٩، الرواية التي بعدها ذكرها مسلم قبل هذه.
(٥) هذا الحديث لم أجده في البخاري بهذا اللفظ، وكذا الزيادة في الرواية التي عن عبيد الله.
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٢١٧ ح٢٤٧.
(٧) في سننه ٢/ ١٤٣٨ ح٤٣٠١؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٣٠٩ ح٣١٦٨١، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٨ ح٣٤٧٠.

بَابٌ

فقراء المهاجرين أول الناس وروداً الحوض على النبي ﷺ

ابن ماجه[١] عن الصُنابح[٢] والأحمسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا وإني فرطكم على الحوض، وإني مكاثر بكم الأمم فلا تقتلن بعدي».

وخرّج[٣] عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «إن حوضي ما بين عدن إلى أيلة، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، أكاويبه كعدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وأول من يرد على حوضي فقراء المهاجرين، الدُّنس ثياباً، الشُّعث رؤوساً الذين لا ينكحون المنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد»، قال: فبكى عمر[٤] حتى اخضلّت لحيته، فقال: «لكني نكحت المنعمات[٥] وفتحت لي أبواب السدد، لا جرم أن لا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ ولا أدهن رأسي حتى يشعث»، خرّجه **الترمذي**[٦] عن أبي سلام الحبشي[٧] قال: بعث إليّ عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد، قال:

---

(١) في سننه ٢/ ١٣٠٠ ح٣٩٤٤؛ وابن حبان في صحيحه ١٣/ ٣٢٤ ح٥٩٨٥، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٥٠ ح٣١٨٧.

(٢) قال ابن حجر: الصُّنابح بضم أوله ثم النون، ابن الأعسر الأحمسي صحابي سكن الكوفة، ومن قال فيه الصنابحي، فقد وهم. التقريب ١/ ٢٧٨ رقم ٢٩٥٣.

(٣) أي: ابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٣٨ ح٤٣٠٣. قال الألباني: صحيح المرفوع منه. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٩ ح٣٤٧٢.

(٤) وعمر هنا هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كما في رواية الترمذي.

(٥) يعني رحمه الله: فاطمة بنت عبد الملك.

(٦) في جامعه ٤/ ٦٢٩ ح٢٤٤٤؛ والحاكم في مستدركه ٤/ ٢٠٤ ح٣٧٤، قال الألباني: صحيح المرفوع منه. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٩٦ ح١٩٨٩.

(٧) ممطور أبو سلام الحبشي الأسود، حدث عن حذيفة وعلي وأبي ذر ﷺ، =

فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين لقد شق مركبي البريد، فقال: يا أبا سلام ما أردت أن أشق عليك، ولكن بلغني عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن النبي ﷺ في الحوض فأحببت أن تشافهني به، فقال أبو سلام: حدثني ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد...»، فذكره بمعناه أيضاً. وقال: هذا حديث غريب.

باب

ذكر من يطرد عن الحوض

البخاري[١] عن النبي ﷺ قال: «ليردن عليّ ناس من أصحابِ[٢] الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحدّث أن رسول الله ﷺ قال: «يرد علي الحوض رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»[٣].

مسلم[٤] عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم، وسيؤخذ ناس دوني فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم».

= توفي سنة نيف ومائة. انظر: السير ٤/ ٣٥٥.

(١) في صحيحه ٥/ ٢٤٠٦ ح٦٢١١؛ ومسلم أيضاً في صحيحه ٤/ ١٨٠٠ ح٢٣٠٤.

(٢) في (البخاري): أصيحابي.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٤٠٧ ح٦٢١٣.

(٤) في صحيحه ٤/ ١٧٩٤ ح٢٢٩٣؛ والبخاري في صحيحه ٦/ ٢٤٣٢ ح٦٢٢٠.

وفي حديث أنس فيختلج العبد منهم فأقول: «يا رب أنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، وقد تقدم[١].

وكذلك حديث البخاري: «إذا زمرة حتى إذا عرفتهم»، تقدم أيضاً.

وفي **الموطأ**[٢] وغيره[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قالوا: كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك يا رسول الله...؟ الحديث، وفيه قال: «فإنهم يأتون غرّاً محجلين من أثر الوضوء».

فَصْلٌ

قال علماؤنا[٤] رحمة الله عليهم: وكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدّلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المُسْتَخِفُّونَ بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والبدع والأهواء.

وروى **الترمذي**[٥] عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء تكون[٦]

---

(١) ص(٢١٢). (٢) ١/ ٢٨ ـ ٢٩ ح٥٨.

(٣) في صحيح مسلم ١/ ٢١٨ ح٢٤٩. (٤) لم أقف على القائل.

(٥) في جامعه ٢/ ٩٣ ح٦١٤؛ وابن حبان في صحيحه ٥/ ٩ ح١٧٢٣، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ١/ ١٨٩ ح٥٠١.

(٦) في (الترمذي): يكونون.

بعدي، فمن غَشِي أبوابهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولا يرد عليّ الحوض، ومن غشي أبوابهم ولم يصدقهم في كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد عليَّ الحوض، يا كعب بن عجرة: الصلاة برهان، والصبر جُنَّة حصينة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، يا كعب بن عجرة: إنه لا يربو لحم نبت من سُحت إلا كانت النار أولى به»، قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن غريب)، وخرّجه[١] أيضاً في كتاب الفتن وصححه.

باب

ما جاء إن لكل نبي حوضاً

الترمذي[٢] عن سمرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة»، قال أبو علي: (هذا حديث حسن غريب، رواه قتادة عن الحسن عن سمرة، وقد رواه الأشعث بن عبد الملك عن الحسن[٣] ﵁ عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه عن سمرة)[٤].

باب

ما جاء في الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ في الجنة

البخاري[٥] عن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال: «بينا أسير

---

(١) أي: الترمذي في جامعه ٤/ ٥٢٥ ح٢٢٥٩.
(٢) في جامعه ٤/ ٦٢٨ ح٢٤٤٣، صحّحه الألباني. انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٢٩٥ ح١٩٨٨.
(٣) في (الترمذي): عن الحسن مرسلاً.
(٤) في (الترمذي): ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح.
(٥) في صحيحه ٥/ ٢٤٠٦ ح٦٢١٠.

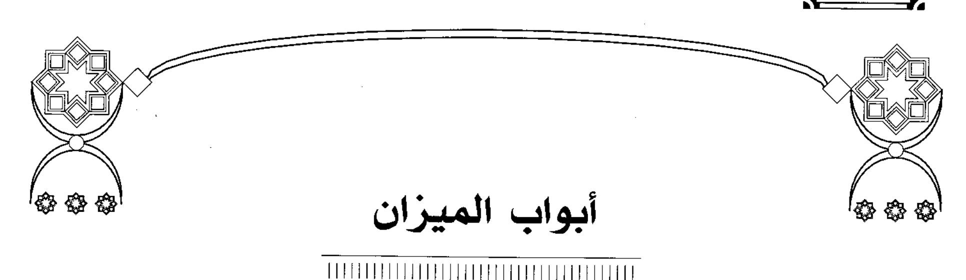
في الجنة إذا أنا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه ـ أو طينه ـ مسك أذفر»، ـ شك هدبة ـ خرّجه أبو عيسى **الترمذي**[١] بمعناه، وزاد: «ثم رفعت لي سدرة المنتهى فرأيت عندها نوراً عظيماً». قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن صحيح).

الترمذي[٢] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج»، قال: هذا حديث حسن صحيح.

❀ ❀ ❀

(١) في جامعه ٥/ ٤٤٩ ح٣٣٦٠، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٣٥ ح٢٦٧٧.

(٢) في جامعه ٥/ ٤٤٩ ح٣٣٦١، صحّحه الألباني. انظر: صحيح جامع الترمذي ٣/ ١٣٥ ح٢٦٧٧.



أبواب الميزان

باب

ما جاء في الميزان وأنه حق

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٦ ـ ٩].

وقال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ الآية.

وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٩] الآيتين في الأعراف والمؤمنين، وهذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكفار، لأن عامة المعنيين بقوله: ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ في هذه الآيات هم الكفار، وقال في سورة المؤمنين: ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥] وفي الأعراف: ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]، وقال: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾، وهذا الوعيد بإطلاقه للكفار، وإذا جمع بينه وبين قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ثبت أن الكفار يسألون عما خالفوا فيه الحق من أصل الدين وفروعه إذا لم يسألوا عما خالفوا فيه أصل دينهم من ضروب

تعاطيهم ولم يحاسبوا به ولم يعتد بها في الوزن أيضاً، فإذا كانت موزونة دل على أنهم يحاسبون بها وقت الحساب، وفي القرآن ما يدل على أنهم مخاطبون بها مسؤولون عنها محاسبون بها مجزيون على الإخلال بها، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦ ـ ٧] فتوعدهم على منعهم الزكاة وأخبر عن المجرمين أنه يقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢﴾ الآية [المدثر: ٤٢]، فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان بالبعث وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأنهم مسؤولون عنها محاسبون بها مجزيون على الإخلال بها.

وفي **البخاري**[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال[(٢)]: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

قال العلماء: معنى هذا الحديث أنه لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار.

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئاً[(٣)].

وقيل: يحتمل أن يريد المجاز والاستعارة، كأنه قال: فلا قدر لهم عندنا يومئذ، والله أعلم.

وفيه من الفقه ذم السِّمن لمن تكلفه؛ لما في ذلك من تكلف المطاعم والاشتغال بها عن المكارم، بل يدل على تحريم كثرة الأكل الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن.

---

(١) في صحيحه ٤/١٧٥٩ ح٤٤٥٢. (٢) في (البخاري): قال إنه.

(٣) روى نحوه ابن الأعرابي في كتابه الزهد وصفة الزاهدين ص(٦٩)، مرفوعاً من حديث أنس رضي الله عنه.

بَابٌ مِنهُ

وبيان كيفية الميزان ووزن الأعمال فيه

الترمذي(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فَيُنْشَرُ عليه تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فقال(٢): لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة وأنه لا ظلم عليك اليوم، فَيُخْرَجُ له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله شيء(٣)». قال: حديث حسن غريب.

وأخرجه **ابن ماجه**(٤) في سننه، وقال بدل قوله في أول الحديث: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة»: «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق...» وذكر الحديث.

فَصْلٌ

قال المؤلف: الميزان حق، ولا يكون في حق كل أحد؛ بدليل

---

(١) في جامعه ٥/ ٢٤ ح٢٦٣٩؛ وابن حبان في صحيحه ١/ ٤٦١ ح٢٢٥، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ح٢١٢٧.

(٢) في (الترمذي): فيقول.

(٣) في (الترمذي): مع اسم الله شيء.

(٤) في سننه ٢/ ١٤٣٧ ح٤٣٠٠؛ والحاكم في مستدركه ١/ ٧١٠ ح١٩٣٧، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٨ ح٣٤٦٩.

قوله عليه السلام: «فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه...» الحديث. وقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ الآية [الرحمٰن: ٤١]. وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين، وقد يكون للكافرين على ما ذكرنا.

فَصْلٌ

وأصل ميزان موزان، قلب الواو بالكسرة ما قبلها.

فالموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة، وبها يخف كما دل عليها الحديث والكتاب العزيز، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١١]، وهذا نص.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: توزن صحائف الأعمال[١].

وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام، فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الآخر دليلاً على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار[٢].

---

(١) ذكره الثعالبي ٢/ ٣٥٢؛ وأبو السعود ٣/ ٢١٢ في التفسير من غير نسبته لابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٠٣: الذي يوضع في الميزان يوم القيامة: **قيل**: الأعمال وإن كان أعراضاً إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساماً، قال البغوي: يروى نحو هذا عن ابن عباس كما جاء في الصحيح من أن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وإنه يأتي على صاحبه في صورة شاب شاحب اللون، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك، وفي حديث البراء في قصة سؤال القبر: فيأتي المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق، **وقيل**: يوزن كتاب الأعمال كما جاء في حديث البطاقة في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر، ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها لا إلٰه إلا الله، فيقول: =

وفي الصحيحين[١]: «فيعطى صحيفة حسناته».

وقوله: «فيخرج له بطاقة».

وذلك يدل على الميزان الحقيقي، وأن الموزون صحف الأعمال كما بيّنّا وبالله توفيقنا. ولقد أحسن من قال[٢]:

تذكر يوم تأتي الله فردا ... وقد نصبت موازين القضاء
وهتكت الستور عن المعاصي ... وجاء الذنب مكشوف الغطاء

بَابٌ مِنهُ

الترمذي[٣] عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ

= يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول الله تعالى: إنك لا تظلم فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان، قال رسول الله ﷺ: «فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»، رواه الترمذي بنحوٍ من هذا وصحّحه، **وقيل**: يوزن صاحب العمل كما في الحديث: «يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة، ثم قرأ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾»، وفي مناقب عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «أتعجبون من دقة ساقيه؟! والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أُحد». **وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار** بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها والله أعلم.اهـ. باختصار.

وقال ابن أبي العز بعد أن ذكر الأدلة: فثبت وزن الأعمال، والعامل، وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات، فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبر الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان.اهـ. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٦١٣.

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري ٤/ ١٧٢٥ ح٤٤٠٨؛ ومسلم ٤/ ٢١٢٠ ح٢٧٦٨.

(٢) لم أقف على القائل.

(٣) في جامعه ٥/ ٣٢٠ ح٣١٦٥، قال الألباني: صحيح الإسناد. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ٧٧ ح٢٥٣١.

فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم؟ قال: «بحسب[١] ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل»، قال: فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ الآية»، فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجدني ولهؤلاء خيراً من مفارقتهم[٢]، أشهدك أنهم أحرار كلهم. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمٰن بن غزوان. وقد روى أحمد بن حنبل[٣] عن عبد الرحمٰن بن غزوان هذا الحديث.

بَابُ

إذا كان يوم القيامة تتبع كل أمة ما كانت تعبد فإذا بقي في هذه الأمة منافقوها امتحنوا وضرب الصراط

الترمذي[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد، فيمثل لصاحب الصليب

---

(١) في (الترمذي): يحسب.

(٢) في (الترمذي): ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم.

(٣) في مسنده ٦/ ٢٨٠ ح٢٦٤٤٤، وليس في سنده عبد الرحمٰن بن غزوان. قال الهيثمي: رواه الترمذي وأحمد وفي إسنادهما الصحابي الذي لم يسم راوٍ، وبقية رجالهما رجال الصحيح. مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٢.

(٤) في جامعه ٤/ ٦٩٢ ح٢٥٥٧؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٣٦٨ ح٨٨٠٣، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧ ح٢٠٧٢.

صليبه، ولصاحب التصاوير تصاويره، ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون..»، وذكر الحديث بطوله.

وخرّج **مسلم**(١) عنه أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارُّون في القمر ليلة البدر؟»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟»، قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجازى حتى يُنَجّا...»، وذكر الحديث.

فَصْلٌ

قوله: «لا تضارون»: يروى بضم التاء وفتحها وتشديد الراء وتخفيفها، وضم التاء وتشديد الراء أكثر، والمعنى: أن أهل الجنة إذا

---

(١) في صحيحه ١/ ١٦٤ ـ ١٦٥ ح١٨٢؛ والبخاري في صحيحه ١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ح٧٧٣.

امتنّ الله تعالى عليهم برؤيته ﷻ تجلى لهم ظاهراً بحيث لا يحجب بعضهم بعضاً، ولا يضره ولا يزاحمه ولا يجادله كما يفعل عند رؤية الهلال بل كالحال عند رؤية الشمس والقمر ليلة تمامه.

وقد روي: «تضامون» من المضامة، وهي الازدحام أيضاً: أي لا تزدحمون عند رؤيته تعالى كما تزدحمون عند رؤية الأهلة، وروي تضامون بتخفيف الميم من الضيم الذي هو الذل، أي: لا يذل بعضكم بعضاً بالمزاحمة والمنافسة والمنازعة.

وقوله: «فإنكم ترونه كذلك»، هذا تشبيه للرؤية وبحالة الرائي لا المرئي، لأن الله سبحانه لا يحاط به وليس كمثله شيء، ولا يشبهه شيء.

وقوله: «فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون»، هذا موضع الامتحان لتمييز المحق من المبطل، (وذلك أنه لما بقي المنافقون والمراؤون متلبسين بالمؤمنين والمخلصين زاعمين أنهم منهم وأنهم عملوا مثل أعمالهم وعرفوا الله مثل معرفتهم امتحنهم الله بأن أتاهم بصورة، قال للجميع: أنا ربكم، فأجاب المؤمنون بإنكار ذلك، والتعوذ منه لما سبق لهم من معرفتهم بالله ﷎ في ديار الدنيا، وأنه منزه عن صفات هذه الصورة، إذ سماتها سمات المحدثات، ولهذا قال في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب)[1].

قال بعض علماؤنا[2]: (وهذا لم يكن له رسوخ العلماء، ولعلهم

---

(١) ما بين أقواس التنصيص هو نص كلام أبي العباس القرطبي في كتابه المفهم ١/٤١٦ ـ ٤١٧.

(٢) هو: أبو العباس أحمد بن عمر في كتاب المفهم في شرح اختصار كتاب مسلم، ١/٤١٧.

الذين اعتقدوا الحق وجزموا عليه من غير تبصرة، ولذلك كان اعتقادهم قابلاً للانقلاب»، والله أعلم.

قلت: ويحتمل أن يكون المنافقون والمراءون، وهو أشبه والله أعلم؛ لأن في الامتحان الثاني يتحقق ذلك، لأن في حديث أبي سعيد رضي الله عنه بعد قوله: «حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة» الحديث.

وقوله: «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون»، أي: يتجلى لهم في صفته التي هو عليها من الجلال والكمال والتعالي والجمال بعد أن رفع الموانع عن أبصارهم.

والدعوى: الدعاء. قال سبحانه: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس: ١٠]، أي: دعاويهم.

والكلاليب: جمع كلوب، والسعدان: نبت كثير الشوك، شوكه كالخطاطيف والمحاجن، ترعاه الإبل فيطيب لبنها، تقول العرب: مرعى ولا كالسعدان.

والموبق: المهلك، أوبقه ذنبه: أهلكه، وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ [الشورى: ٣٤]، ومنه الحديث: «اجتنبوا السبع الموبقات»[1].

والمجازى: الذي جوزي بعمله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ١٠١٧ ح٢٦١٥؛ ومسلم في صحيحه ١/ ٩٢ ح٨٩.

بَابٌ

كيفية الجواز على الصراط وصفته

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾

توهم نفسك يا أخي إذا صرت على الصراط ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مدلهمة، قد لظى سعيرها وعلا لهيبها، وأنت تمشي أحياناً وترجف أخرى.

قال[1]:

أبت نفسي تتوب فما احتيالي ... إذا برز العباد لذي الجلال
وقاموا من قبورهم سكارى ... بأوزار كأمثال الجبال
وقد نصب الصراط لكي يجوزوا ... فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن ... تلقاه العرائس بالغوال
يقول له المهيمن يا وليِّي ... غفرت لك الذنوب فلا تبالي

وقال آخر[2]:

إذا مد الصراط على جحيم ... تصول على العصاة وتستطيل
فقوم في الجحيم لهم ثبور ... وقوم في الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف الغطا ... وطال الويل واتصل العويل

ذكر **مسلم**[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان بجنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولهم كالبرق الخاطف، قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تر إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم

---

(١) لم أقف على القائل.
(٢) لم أقف على القائل.
(٣) في صحيحه ١/١٨٦ ـ ١٨٧ ح١٩٥.

ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: رب سلم، سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه، فمخدوش ناج، ومكردس(١) في النار، والذي نفس محمد بيده: إن قعر جهنم لسبعين خريفاً».

وذكر **مسلم**(٢) أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: «ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة ويقولون: الله سلّم، اللهم سلّم سلّم»، قيل: يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم ومخدوش مرسل، ومكردس في نار جهنم..»، الحديث سيأتي(٣) تمامه إن شاء الله تعالى.

وفي رواية قال أبو سعيد: «بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحدّ من السيف»(٤).

وخرّج **ابن ماجه**(٥) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت

---

(١) المكردس: هو الذي جمعت يداه ورجلاه وألقي إلى موضع. النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٦٢.

(٢) في صحيحه ١/ ١٦٧ ـ ١٦٩ ح١٨٣.

(٣) الذي يبدو أن هذه الإحالة غير صحيحة لعدم عثوري على تمام الحديث بعدها.

(٤) رواها مسلم في صحيحه ١/ ١٧٠ ضمن الرواية التي تحمل الرقم ١٨٣.

(٥) في سننه ٢/ ١٤٣٠ ح٤٢٨٠؛ والحاكم في مستدركه ٤/ ٦٢٨ ح٨٧٣٨؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٥٨ ح٣٤١٩٢، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٤ ح٣٤٥٣.

رسول الله ﷺ يقول: «يوضع الصراط بين ظهراني جهنم على حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومخدوج[(١)] به ثم ناج، ومحتبس به ومنكوس فيها».

أبو داود[(٢)] عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من حمى مؤمناً من منافق ـ أراه قال: ـ بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً بشيء يريد شينه حبسه الله ﷻ على جسر جهنم حتى يخرج مما قال».

فتفكّر الآن فيما يحل بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أنك تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض فضلاً على حدة الصراط، وكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته واضطررت إلى أن ترفع القدم الثاني والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر كيف ينكسون فتستفل إلى جهة النار وجوههم، وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعه، ومرتقى ما أصعبه، ومجازاً ما أضيقه.

فَصْلٌ

أحاديث هذا الباب تبيّن لك معنى الورود المذكور في القرآن في قوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

---

(١) هو الناقص. لسان العرب ٢/ ٢٤٨.

(٢) في سننه ٤/ ٢٧٠ ح٤٨٨٣؛ وأحمد في مسنده ٣/ ٤٤١ ح١٥٦٨٧؛ والطبراني في الكبير ٢٠/ ١٩٤ ح٤٣٣، حسّنه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود ٣/ ١٩٨ ح٤٨٨٣.

روي عن ابن عباس[١] وابن مسعود[٢] وكعب الأحبار[٣] أنهم قالوا: الورود: الممر على الصراط. ورواه السدي عن ابن مسعود[٤] رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وقيل: الورود: الدخول، روي عن ابن عباس[٥] وابن مسعود[٦] أيضاً وخالد بن معدان[٧] وابن جريج[٨] وغيرهم. وحديث أبي سعيد المذكور نص في ذلك[٩]، فيدخلها العصاة بجرائمهم، والأولياء بشفاعتهم.

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢]»[١٠].

وقالت فرقة: الورود: النظر إليها في القبر فينجي منها الفائز، ويصلاها من قُدر عليه دخولها، ثم يخرج منها بالشفاعة أو بغيرها من رحمة الله، واحتجوا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إن أحدكم إذا مات عرض

---

(١) المشهور عن ابن عباس أنه قال: الورود بمعنى الدخول. انظر: تفسير الطبري ١٦/ ١١٠.
(٢) ذكر قوله السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٨١.
(٣) لم أقف على من ذكر قول كعب، وهذا المعنى ورد عن قتادة. انظر: تفسير الطبري ١٦/ ١١٠.
(٤) لم أقف على من ذكر هذه الرواية.
(٥) رواه الطبري في تفسيره ١٢/ ١١٠. (٦) رواه الطبري أيضاً ١٦/ ١١٠.
(٧) ذكر قوله ابن عطية في تفسيره ١١/ ٤٨.
(٨) ذكر الطبري قول ابن جريج في تفسيره ١٦/ ١٠٩.
(٩) تقدم ص(٢٢٦).
(١٠) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٨٠.

عليه مقعده بالغداة والعشي. . .» الحديث[١].

وقيل[٢]: المراد بالورود: الإشراف على جهنم والاطلاع عليها والقرب منها، وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب، ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا إليه، ويصار بهم إلى الجنة، ونذر الظالمين أي: يؤمر بهم إلى النار، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، أي: أشرف عليه لا أنه دخله.

وروت حفصة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية»، قالت: فقلت: يا رسول الله وأين قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «وقد قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾»، أخرجه **مسلم**[٣] من حديث أم مبشر[٤] رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة. . . الحديث.

وقيل: الخطاب للكفار في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾[٥].

والصحيح: أن الورود الدخول[٦]؛ لحديث أبي سعيد كما ذكرنا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٤٦٤ ح١٣١٣؛ ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٩ ح٢٨٦٦.

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره ١١/ ٤٩. (٣) في صحيحه ٤/ ١٩٤٢ ح٢٤٩٦.

(٤) أم مبشر الأنصارية، امرأة زيد بن حارثة، يقال: اسمها حميمة بنت صيفي بن صخر، صحابية مشهورة. انظر: تقريب التهذيب ص(٧٥٨) رقم ٨٧٦٤.

(٥) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١١١ من قول عكرمة.

(٦) قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوي فيها الكفار ورودهما هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فناج مسلم ومكردس فيها. تفسير الطبري ١٦/ ١١٢.

في مسند الدارمي[١] أبي محمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم أولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كَحُضْرِ الفَرَسِ[٢]، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل في مشيه».

وقال ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسَّه النار إلا تحلة القسم»، خرّجه الأئمة[٣].

وقد أشفق كثير من العلماء من تحقق الورود، والجهل بالصدر، وكان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه يقول: ليت أمي لم تلدني فتقول له امرأته: يا أبا ميسرة، إن الله أحسن إليك وهداك للإسلام، قال: أجل، ولكن الله قد بيّن لنا: أنّا واردوا النار، ولم يبين لنا أنّا صادرون[٤].

وعن الحسن قال: قال رجل لأخيه أي أخي: هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك إذاً؟ قال: فما رؤي ضاحكاً حتى مات[٥].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه المسألة لنافع الأزرق الخارجي: أما أنا وأنت فلا بد أن نردها، فأما أنا فينجِّيني الله منها، وأما أنت فما أظنه ينجيك[٦].

---

(١) ٢/ ٤٢٤ ح٢٨١٠؛ والترمذي في جامعه ٥/ ٣١٧ ح٣١٥٩، صحّحه الألباني. انظر: صحيح جامع الترمذي ٣/ ٧٥ ح٢٥٢٦.

(٢) أي: كَعْدوِ ـ جري ـ الفرس. النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٩٨.

(٣) مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٢٨ ح٢٣٠٤؛ والترمذي في جامعه ٣/ ٣٧٤ ح١٠٦٠؛ والنسائي في المجتبى ٤/ ٢٥ ح١٨٧٥.

(٤) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١١٠.

(٥) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١١٢.

(٦) ذكرها الطبري في تفسيره ١٦/ ١٠٨؛ وهناد بن السري في الزهد له ١/ ١٦٤ ح٢٢٩.

وذكر **ابن المبارك**[١] قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: بكى ابن رواحة فبكت امرأته، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: بكيت حين رأيتك تبكي، فقال عبد الله: إني قد علمت أني وارد النار فما أدري أناج منها أم لا؟ وفي معناه قيل:

وقد أتانا ورود النار صاحبه   حقاً يقيناً ولم يأتنا الصدر

باب

ثلاثة مواطن لا يخطئها النبي ﷺ لعظم الأمر فيها وشدته

الترمذي[٢] عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة قال: أنا فاعل إن شاء الله تعالى، قال: فأين أطلبك؟ قال: «أول ما تطلبني على الصراط»، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «فاطلبني عند الميزان»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن». قال: هذا حديث حسن، وقد تقدم[٣] من حديث عائشة أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أما ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً، عند الميزان، وعند تطاير الصحف، وعند الصراط».

باب

ذكر الصراط الثاني وهو القنطرة التي بين الجنة والنار

اعلم رحمك الله أن في الآخرة صراطين، أحدهما: مجاز لأهل

---

(١) في الزهد له ص(١٠٤) ح٣٠٩؛ والطبري في تفسيره ١٦/ ١١٠.

(٢) في جامعه ٤/ ٦٢١ ح٢٤٣٣؛ وأحمد في مسنده ٣/ ١٧٨ ح١٢٨٤٨؛ والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٧/ ٢٤٦ ح٢٦٩١، صحّحه الألباني. انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٢٩٣ ح١٩٨١.

(٣) ص(٢٣١).

المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو يلتقطه عنق النار، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم، حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله؛ لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه.

روى **البخاري**(١) عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة بمنزله كان في الدنيا».

فَصْلٌ

قلت: معنى: يخلص المؤمنون من النار: أي يخلصون من الصراط المضروب على النار، ودل هذا على أن المؤمنين في الآخرة مختلفو الحال.

قال مقاتل(٢): إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه: سلام عليكم، بمعنى التحية: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

---

(١) في صحيحه ٥/ ٢٣٩٤ ح٦١٧٠.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٨٩ عن قتادة.

بَابٌ

من دخل النار من الموحّدين مات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة

مسلم[(١)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ـ أو قال: بخطاياهم ـ فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن لهم في الشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحِبة تكون في حميل السيل»، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان يرعى[(٢)] بالبادية.

فَصْلٌ

هذه الموتة للعصاة موتة حقيقة؛ لأنه أكدها بالمصدر وذلك تكريماً لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحي الذي هو من أهلها ومخلد فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

وقوله: ضبائر، ضبائر: معناه: جماعات جماعات، الواحدة: ضِبارة بكسر الضاد، وهي الجماعة من الناس.

وبثوا: فرقوا.

والحِبة: ـ بكسر الحاء ـ بذر البقول[(٣)].

---

(١) في صحيحه ١/ ١٧٢ ح١٨٥.
(٢) (يرعى): ليست في (مسلم).

(٣) في غريب الحديث ١/ ٣٢٦: الحِبة بكسر الحاء: بذور البقول والرياحين، وقيل: نبت صغير ينبت في الحشيش، فأما الحَبة بفتح الحاء فهي: الحنطة والشعير ونحوهما.

وحميل السيل: ما احتمله من غثاء وطين. وسيأتي[1] بيانه إن شاء الله تعالى.

بَابٌ مِنهُ
في الشفعاء وذكر الجهنميين

ذكر **مسلم**[2] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه بعد قوله: «في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء[3] الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً، قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا[4]، فيقول عز وجل: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً، وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]، فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين».

---

(١) ص(٢٣٥).
(٢) في صحيحه ١/ ١٦٩ ح١٨٣.
(٣) في (مسلم): استقصاء.
(٤) في (مسلم): ممن أمرتنا به.

في البخاري[١]: «بقيت شفاعتي»، بدل قوله: «ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر على أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحِبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر[٢]، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض»، فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: «فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدَّموه»، ثم يقول: «ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: يا ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً». وخرّجه **ابن ماجه**[٣] بلفظه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «إذا خلص الله المؤمنين من النار وأمنوا فما مجادلة أحدكم لصاحبه من الحق يكون له في الدنيا أشد مجادلة من المؤمنين في إخوانهم الذين أدخلوا النار، قال: يقولون: ربنا كانوا إخواننا. . .»، فذكره بمعناه.

فَصْلٌ

هذا الحديث بيّن في أن الإيمان يزيد وينقص حسب ما بيّناه في آخر سورة آل عمران من كتاب جامع أحكام القرآن[٤]، فإن قوله:

---

(١) في صحيحه ٦/٢٧٠٧ ح٧٠٠١. (٢) في (مسلم): أصيفر، وأخيضر.
(٣) في سننه ١/٢٣ ح٦٠، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/١٦ ح٥١.
(٤) ٤/٢٨٠.

أخرجوا من في قلبه مثقال دينار، نصف دينار، ذرة، يدل على ذلك، وقوله: «من خير» يريد من إيمان، وكذلك ما جاء ذكره من حديث قتادة عن أنس: وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ما يزن شعيرة، ما يزن ذرة، أي من الإيمان، بدليل الرواية الأخرى التي رواها معبد بن هلال العنزي عن أنس، وفيها: «فأقول: يا رب أمتي، أمتي، فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل...»، الحديث بطوله، خرّجه **مسلم**[1]، فقوله: «من إيمان»، أي من أعمال الإيمان التي هي أعمال الجوارح، فيكون فيه دلالة على أن الأعمال الصالحة من شرائع الإيمان.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم.

وقد قيل: إن المراد في هذا الحديث: أعمال القلوب، كأنه يقول: أخرجوا من عمل عملاً بنية من قلبه، كقوله: «الأعمال بالنيات».

ويجوز أن يراد به رحمةً على مسلم، رأفةً على يتيم، خوفاً من الله، رجاءً له، توكلاً عليه، ثقة به، مما هي أفعال القلوب دون الجوارح. وسماها إيماناً؛ لأنها في محل الإيمان، والدليل على أنه أراد بالإيمان ما قلنا، ولم يرد مجرد الإيمان وهو التوحيد له ونفي الشركاء والإخلاص بقول: لا إله إلا الله، ما في الحديث نفسه من قوله: أخرجوا، أخرجوا، ثم هو سبحانه بعد ذلك يقبض قبضة فيخرج قوماً لم يعملوا خيراً قط، يريد إلا التوحيد المجرد عن الأعمال.

البخاري[2] عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من

---

(١) في صحيحه ١/ ١٨٢ ح١٩٣.

(٢) في صحيحه ٥/ ٢٣٩٩ ح٦١٩١.

النار بعدما مسَّتهم[١] منها سفع[٢]، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين».

الترمذي[٣] عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «ليخرجن قوم من النار بشفاعتي يسمون الجهنميين»، قال: حديث حسن صحيح.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، خرّجه **الترمذي**[٤] أيضاً، وصححه أبو محمد عبد الحق[٥].

وخرّجه **أبو داود** الطيالسي[٦]، **وابن ماجه**[٧] من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، زاد الطيالسي قال: فقال لي جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة؟ قال أبو داود[٨]: حدثناه محمد بن ثابت عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر.

وخرّج **ابن ماجه**[٩]: حدثنا إسماعيل بن أسد قال: حدثنا أبو

---

(١) في (البخاري): بعدما مسهم.

(٢) سفع من النار: أي: علامة تغيّر ألوانهم، وأثر من النار. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٧٤.

(٣) في جامعه ٤/ ٧١٥ ح٢٦٠٠؛ وابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٤٣ ح٤٣١٥، صحّحه الألباني. انظر ٢/ ٣٢٣ ح٢٠٩٦.

(٤) في جامعه ٤/ ٦٢٥ ح٢٤٣٥، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، صحّحه الألباني. انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ح١٩٨٣.

(٥) انظر: الأحكام الشرعية الكبرى له ١/ ١٧٦.

(٦) في مسنده ص(٢٣٣) ح١٦٦٩.

(٧) في سننه ٢/ ١٤٤١ ح٤٣١٠.

(٨) أي: الطيالسي في مسنده ص(٢٣٣).

(٩) في سننه ٢/ ١٤٤١ ح٤٣١١، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٣١ ح٣٤٨٠.

بدر[١] عن زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبي هند عن ربعي بن حراش عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيّرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين المصفين لا، ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين».

وخرّج **ابن ماجه**[٢] قال: ثنا هشام بن عمار: ثنا صدقة بن خالد حدثنا أبو جابر قال: سمعت سليم بن عامر يقول: سمعت عوف بن مالك الأشجعي يقول: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما خيّرني ربي الليلة؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «إنه خيّرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة»، قلنا: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها، قال: «هي لكل مسلم».

باب

يعرف المشفوع فيهم بأثر السجود وبياض الوجوه

قد تقدم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن المؤمنين يقولون: «ربنا إخواننا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم...»، وذكر الحديث.

وذكر **مسلم**[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه بعد قوله: «ومنهم المجازى حتى ينجا، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين

---

(١) هو: شجاع بن الوليد السكوني، أبو بدر، روى عن زياد بن خيثمة وإسماعيل بن عياش. انظر: تهذيب الكمال ١٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

(٢) في سننه ٢/ ١٤٤٤ ح٤٣١٧؛ والحاكم في مستدركه ١/ ١٣٥ ح٢٢١، صحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٣٣ ح٣٤٨٥.

(٣) في صحيحه ١/ ١٦٥ ح١٨٢؛ والبخاري في صحيحه ٥/ ٢٤٠٣ ح٦٢٠٤.

العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول: لا إلٰه إلا الله، فيعرفونهم في النار، يعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه كما تنبت الحِبة في حميل السيل...»، وذكر الحديث.

وخرّج[١] عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات[٢] وجوههم حتى يدخلوا الجنة».

باب

ما يرجى من رحمة الله تعالى ومغفرته وعفوه يوم القيامة

قال الصنابحي: دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت، فقال: مهلاً، لِمَ تبكي؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً، وسوف أحدثكموه اليوم، وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله حرّم الله عليه النار» خرّجه **مسلم**[٣].

وخرّج **مسلم**[٤] عن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله

---

(١) أي: مسلم في صحيحه ١/١٧٨ ح١٩١.

(٢) الدارات جمع دارة، وهو ما يحيط بالوجه من جوانبه، أراد أنها لا تأكلها النار، لأنها محل السجود. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/١٣٩.

(٣) في صحيحه ١/٥٧ ح٢٩.

(٤) في صحيحه ٤/٢١٠٩ ح٢٧٥٣.

خلق يوم خلق السمٰوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السمٰوات والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة واحدة، فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض، وإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة»، أخرجه **ابن ماجه**(١) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وفي بعض طرق أبي هريرة رضي الله عنه: «فإذا كان يوم القيامة رد هذه الرحمة على تلك التسعة والتسعين فأكملها مائة رحمة، فرحم بها عباده يوم القيامة»(٢).

وروي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لله أرحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها»(٣)، رواه **مسلم**(٤) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

باب
حُفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

مسلم(٥) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات»، خرّجه **البخاري**(٦) أيضاً، وقال الترمذي(٧): حديث حسن غريب.

---

(١) في سننه ٢/ ١٤٣٥ ح٤٢٩٣، صحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٢٧ ح٣٤٦٦.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٥٢٦ ح١٠٨٢٢، حديث صحيح. انظر: حاشية مسند أحمد ١٦/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤ ح١٠٨١٠.

(٣) ذكره أبو نعيم في الحلية ٨/ ٩٠.

(٤) في صحيحه ٤/ ٢١٠٩ ح٢٧٥٤.

(٥) في صحيحه ٤/ ٢١٧٤ ح٢٨٢٢.

(٦) في صحيحه ٥/ ٢٣٧٩ ح٦١٢٢.

(٧) في جامعه ٤/ ٦٩٣ ح٢٥٥٩.

الترمذي[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل عليه السلام إلى الجنة، فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعدّ الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه وقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: ارجع إليها فانظر ما أعددت لأهلها فيها، قال: فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره، فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد، قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها، فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

فَصْلٌ

المكاره: كل ما يشق على النفس فعله، ويصعب عليها عمله كالطهارة في السّبْرات[٢] وغيرها من أعمال الطاعات، والصبر على المصائب والمصيبات وجميع المكروهات.

والشهوات: كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إليه ويوافقها.

وأصل الحفاف: الدائر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصل إليه إلا بعد أن يُتَخطى، فمثل النبي ﷺ المكاره والشهوات بذلك، فالجنة

---

(١) في جامعه ٤/ ٦٩٣ ح٢٥٦٠؛ والنسائي في المجتبى ٧/ ٣ ح٣٧٦٣؛ وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٢ ح٨٣٧٩. قال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨ ح٢٠٧٥.

(٢) جمع سبْرة، وهي شدة البرد. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٣٣.

لا تُنَال إلا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها، والنار لا يُنَجا منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين: ومعنى قوله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»، أي: جعلت على حفافها وهي جوانبها، وتوهم الناس أنها ضرب فيها المثل فجعلها في جوانبها من خارج، ولو كان ذلك ما كان مثلاً صحيحاً وإنما هي من داخل، وهذه صورتها:

جهنم		
النساء	المال	الجاه

الجنة				
الصبر	الألم	الفقر	المكاره	الغزو

وعن هذا عبّر ابن مسعود بقوله: الجنة حفت بالمكاره، والنار حفت بالشهوات، فمن اطلع الحجاب فقد واقع ما وراءه وكل من تصورها من خارج فقد ضل عن معنى هذا الحديث عن حقيقة الحال.

فإن قيل: فقد قال: حجبت النار بالشهوات.

قلنا: المعنى واحد؛ لأن الأعمى عن التقوى الذي قد أخذت سمعه وبصره الشهوات يراها ولا يرى النار التي هي فيها وإن كانت باستيلاء الجهالة ورين الغفلة على قلبه كالطائر يرى الحبة من داخل الفخ وهي محجوبة به ولا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة على قلبه، وتعلق باله بها، وجهله بما جعلت فيه وحجبت.

بَابٌ

احتجاج الجنة والنار وصفة أهلهما

البخاري[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله لهذه: أنتِ عذابي، أعذب بك من أشاء، وقال لهذه: أنتِ رحمتي، أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»، خرّجه **مسلم**[٢] **والترمذي**[٣] وقال: حديث حسن صحيح.

بَابٌ مِنهُ

في صفة أهل الجنة، وأهل النار، وفي شرار الناس من هم؟

مسلم[٤] عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال. ـ قال: ـ وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك»، وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش.

وعن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله

---

(١) في صحيحه ٤/ ١٨٣٦ ح٤٥٦٩.
(٢) في صحيحه ٤/ ٢١٨٦ ح٢٨٤٦.
(٣) في جامعه ٤/ ٦٩٤ ح٢٥٦١.
(٤) في صحيحه ٤/ ٢١٩٧ ح٢٨٦٥.

لأبرّه، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ جوَّاظ مستكبر»[(١)].

وفي رواية[(٢)]: «زنيم متكبر»، خرّجه **ابن ماجه**[(٣)] أيضاً.

أبو داود[(٤)] عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري». قال[(٥)]: والجواظ: الفظ الغليظ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع، وأهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع»[(٦)].

مسلم[(٧)] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر بجنازة فأثني عليها خير، فقال النبي ﷺ: «وجبت، وجبت، وجبت»، ومر بجنازة فأثني عليها شر»، فقال النبي ﷺ: «وجبت، وجبت، وجبت»، فقال عمر رضي الله عنه: فداك أبي وأمي، مُرَّ بجنازة فأثني عليها خير فقلت: وجبت، وجبت، وجبت، ومُرَّ بجنازة فأثني عليها شر فقلت: وجبت، وجبت، وجبت، فقال رسول الله ﷺ: «من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٨٧٠ ح٤٦٣٤؛ ومسلم ٤/ ٢١٩٠ ح٢٨٥٣.

(٢) أي: لمسلم ٤/ ٢١٩٠ ح٢٨٥٣.

(٣) في سننه ٢/ ١٣٧٨ ح٤١١٦؛ وفي سنن ابن ماجه: عتل جواظ مستكبر، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٩٥ ح٣٣٢٣.

(٤) في سننه ٤/ ٣٥٣ ح٤٨٠١.

(٥) أي: أبو داود في سننه.

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/ ١٤١٢ ح٤٢٢٤؛ والطبراني في الكبير ١٢/ ١٧٠ ح١٢٧٨٧؛ وفي مصباح الزجاجة ٤/ ٢٤٣: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٧) في صحيحه ٢/ ٦٥٥ ح٩٤٩.

فَصْلٌ

قوله: «ذو سلطان مقسط» وما بعده مرفوع على أنها صفات لـ «ذو» وهو بمعنى صاحب، و«المقسط»: العادل، و«المتصدق»: المعطي للصدقات، و«الموفق»: المسدد لفعل الخيرات، «رقيق القلب»: لينه عند التذكر والموعظة، ويصح أن يكون بمعنى الشفيق.

وقوله: «وضعيف متضعف» يعني: ضعيفاً في أمور الدنيا قوياً في أمر دينه، كما قال ﷺ: «المؤمن القوي أحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير»، الحديث خرّجه **مسلم**(١).

فأما من كان ضعيفاً في أمور دينه لا يعبأ بها فمذموم، وذلك من صفات أهل النار، كما قال: «وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له»، أي لا عقل له، ومن لا عقل له ينكف به عن المفاسد ولا ينزجر عنها، فحسبك به ضعفاً وخسارة في الدين.

وقد قيل في الزبر: أنه المال، وليس بشيء؛ لأن النبي ﷺ فسّر ذلك بقوله: «الذين هم فيكم تبعاً لا يبتغون أهلاً ولا مالاً».

ويخفي بمعنى: يظهر، وهو من الأضداد.

وقوله: «وذكر البخل والكذب»، هكذا الرواية المشهورة بالواو الجامعة، و«الكذب»، فقد رواه ابن أبي جعفر عن الطبري بـ «أو» التي للشك.

قال القاضي عياض: ولعله الصواب، وبه تصح القسمة لأنه ذكر أن أصحاب النار خمسة: الضعيف الذي وصف، والخائن الذي وصف والرجل المخادع الذي وصف، قال: وذكر البخل والكذب ثم قال:

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢٠٥٢ ح٢٦٦٤.

الشنظير الفاحش، فرأى هذا القائل: أن الرابع هو صاحب أحد الوصفين، وقد يحتمل أن يكون الرابع من جمعهما على رواية واو العطف، كما جمعها في الشنظير الفاحش.

وكذلك قوله: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلمٍ، وعفيف متعفف ذو عيال».

قال القاضي عياض[(١)]: كذا قيدناه بخفض «مسلمٍ» عطفاً على ما قبله، وفي رواية: «ومسلمٌ عفيفٌ» بالرفع، وحذفَ الواو، وقال شيخنا[(٢)]: انتهى كلام القاضي رحمه الله.

و«العفيف»: الكثير العفة، وهي الانكفاف عن الفواحش وعن ما لا يليق.

و«المتعفف»: المتكلف للعفة.

و«الشنظير»: السيء الخُلُق، ويقال: شنظيرة أيضاً، قاله الجوهري[(٣)]، وأنشده:

شنظيرة زوجنيه أهلي من حمقه يحسب رأسي ورجلي
كأنه لم ير أنثى قبلي

وربما قالوا: شنذيرة، بالذال المعجمة لقربها من الظاء لغة أو لثغة.

و«الفحاش»: الكثير الفحش، وقيل: الشنظير: هو الفاحش. قال صاحب العين[(٤)]: يقال: شنظر بالقوم: شتم أعراضهم. والشنظير:

---

(١) ذكره في كتابه إكمال المعلم بفوائد مسلم ص(٥٢٨).
(٢) أي: أبو العباس في المفهم ٧/ ١٦٨.
(٣) في الصحاح ٢/ ٦٩٨.
(٤) انظر: قوله ضمن استدراكات، الجزء الرابع من كتاب العين ص(٤٦٠)، وقد =

الفحاش من الرجال الغلق، وكذلك من الإبل.

و«الجوَّاظ»: الجَموع المَنوع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾ [المعارج: ١٨]. وقيل: الجواظ: الكثير اللحم المختال. وقيل: الجافي القلب.

و«العُتُل»: الجافي الشديد الخصومة، وقيل: هو الأكول الشروب الظلوم.

قال الشيخ رضي الله عنه: ويقال: إنه الفظ الغليظ الذي لا ينقاد للخير، والجعظري: الفظ الغليظ القصير.

و«الزنيم»: المعروف بالشر، وقيل: اللئيم، وأما الزنيم المذكور في القرآن فرجل معين له زنمة كزنمة التيس، وقيل: هو الوليد[1]، وكان له زنمة تحت أذنه، وقيل: هو الملصق بالقوم، وقيل: هو الأخنس بن شريق[2].

فَصْل

وقوله: «من أثنيتم عليه شراً وجبت له النار»، يعارضه قوله عليه السلام: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»، أخرجه **البخاري**[3].

= وضعت استدراكات هذا الجزء مفردة في آخر المجلد الثامن.

(١) ابن المغيرة. انظر: تفسير الماوردي ٦/ ٦٥.

(٢) أصله من ثقيف، وعداده في بني زهرة، نقل الطبري في تفسيره ٢٩/ ٢٣ قول من قال: إنها نزلت فيه.

(٣) في صحيحه ١/ ٤٧٠ ح١٣٢٩.

والثناء بالشر: سب، فقيل: ذلك خاص بالمنافقين الذين شهدت الصحابة فيهم بما ظهر لهم، ولذلك قال ﷺ: «وجبت له النار، والمسلم لا تجب له النار»، واختار هذا القول عياض[(١)].

وقيل: ذلك جائز فيمن كان يظهر الشر ويعلن فيه، فيكون ذلك من باب: لا غيبة لفاسق.

وقيل: إن النهي إنما هو فيما بعد الدفن، وأما قبله: فممنوع، لقوله ﷺ: «لا تسبوا الأموات». والنهي عن سب الأموات متأخر، فيكون ناسخاً، والله أعلم.

وقوله: «أنتم شهداء الله في الأرض»، معناه عند الفقهاء: إذا أثنى عليه أهل الفضل والصدق والعدالة، لأن الفسقة قد يثنون على الفاسق فلا يدخل في الحديث. وكذلك لو كان القائل فيه عدواً له وإن كان فاضلاً؛ لأن شهادته في حياته له كانت غير مقبولة، وكذلك الحكم في الآخرة على ما تقدم، والله أعلم.

وقد قيل: إن تكرار أنتم شهداء الله في الأرض ثلاثاً، إشارة إلى القرون الثلاثة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[(٢)].

قلت: والأول أصح إن شاء الله تعالى؛ لأن الله سبحانه مدح هذه الأمة بالفضل والعدالة إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدلاً خياراً، ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني في الآخرة كما تقدم، ولا يشهد إلا العدول.

---

(١) انظر: كتابه إكمال المعلم ٧/٥٢٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢/٩٣٨ ح٢٥٠٨؛ ومسلم ٤/١٩٦٣ ح٢٥٣٣ مع اختلاف يسير في اللفظ.

وقد خرّج **البخاري**[١] عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: مر على النبي ﷺ بجنازة، فأثنوا عليها خيراً، فقال: «وجبت»، ثم مر بأخرى فأثنوا عليها شراً، أو قال غير ذلك، فقال: «وجبت»، فقيل: يا رسول الله قلت لهذا: «وجبت»، ولهذا: «وجبت»، قال: «شهادة القوم، والمؤمنون شهداء الله في الأرض».

وخرّجه **ابن ماجه**[٢] بهذا الإسناد وقال: «شهادة القوم، والمؤمنون شهداء الله في الأرض».

وفي بعض طرق البخاري[٣] أيضاً عن عمر رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «من شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة»، فقلنا: وثلاثاً؟ قال: «وثلاثة»، فقلنا: واثنان؟ قال: «واثنان»، ثم لم نسأله عن الواحد.

قال أبو محمد عبد الحق[٤]: (وهذا الحديث مخصوص، والله أعلم، والذي قبله يعطي العموم، وأن من كثرت شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بالخير والثناء الصالح كانت له الجنة، والله أعلم).

قال أبو محمد[٥]: وغير مستنكر إذا أحبّ الله عبداً أن يلقي على ألسنة المسلمين الثناء عليه وفي قلوبهم المحبة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦] وقال عليه السلام: «إن الله إذا أحبّ عبداً دعا جبريل عليه السلام فقال: إن الله يحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادي في السماء: إن الله

---

(١) في صحيحه ٢/ ٩٣٤ ح٢٤٩٩.
(٢) في سننه ١/ ٤٧٨ ح١٤٩١؛ والبيهقي في الكبرى ١٠/ ١٢٣ ح٢٠١٧٦، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ح١٢١١.
(٣) في صحيحه ١/ ٤٦٠ ح١٣٠٢.
(٤) في العاقبة له ص(١٥٧).
(٥) أبو محمد عبد الحق في العاقبة ص(١٥٧ ـ ١٥٨).

يحب فلاناً فأحبوه، قال: فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض». وذكر في البغضاء مثل ذلك. وهذا حديث صحيح. خرّجه **البخاري**[١] و**مسلم**[٢].

باب منه
في صفة أهل الجنة وأهل النار

مسلم[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

وخرّج **مسلم**[٤] أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير».

فصل

للعلماء في تأويل هذا الحديث وجهان:

أحدهما: أنها مثلها في الخوف والهيبة والطير أكثر الحيوانات خوفاً حتى قالوا: أحذر من غراب، وقد غلب الخوف على كثير من السلف حتى انصدعت قلوبهم فماتوا.

الثاني: أنها مثلها في الضعف والرقة، كما جاء في الحديث الآخر في أهل اليمن: «هم أرق قلوباً وأضعف أفئدة».

---

(١) في صحيحه ٣/ ١١٧٥ ح٣٠٣٧.
(٢) في صحيحه ٤/ ٢٠٣٠ ح٢٦٣٧.
(٣) في صحيحه ٣/ ١٦٨٠ ح٢١٢٨.
(٤) في صحيحه ٤/ ٢١٨٣ ح٢٨٤٠.

بَابٌ

ما جاء في أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار

مسلم[١] عن أسامة بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجد محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء».

ومن حديث ابن عباس ﷺ في حديث كسوف الشمس: «ورأيت النار فلم أرَ منظراً كاليوم قط، ورأيت أكثر أهلها النساء»، قالوا: بِمَ يا رسول الله؟ قال: «بكفرهن»، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط»[٢].

وعن عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أقلّ ساكني الجنة: النساء»[٣].

فَصْلٌ

قال علماؤنا: إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرها إلى الأخرى فيضعفن عن عمل الآخرة، والتأهب لها لميلهن إلى الدنيا والتزيُّن بها ولها، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التي تصرف الرجال عن الأخرى؛ لما لهن فيهن من الهوى، فأكثرهن

---

(١) في صحيحه ٤/٢٠٩٦ ح٢٧٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١/٣٥٧ ح١٠٠٤.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٦/٤٩٦ ح٧٤٥٧.

مُعْرِضات عن الآخرة بأنفسهن، صارفات عنها لغيرهن، سريعات الانخداع لداعهن من المعرضين عن الدين، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الآخرة وأعمالها من المتقين.

قال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[(١)]. وقال: «ما رأيت ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحازم منكن يا معشر النساء»[(٢)]، وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتقدم: «مائلات مميلات». قال الحافظ ابن دحية: فتحفظوا عباد الله منهن، وتجنّبوا عنهن، ولا تثقوا بودهن، ولا وثيق عهدهن، ففي نقصان عقلهن ودينهن ما يغني عن الإطناب فيهن.

بَابٌ

لا يدخل الجنة صاحب مكس ولا قاطع الرحم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦]، نزلت في المكاسين والعشارين في قول بعض العلماء.

وقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية [محمد: ٢٢ ـ ٢٣].

مسلم[(٣)] عن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع»، قال ابن أبي عمر قال سفيان: قاطع رحم، ورواه **البخاري**[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/١٩٥٩ ح٤٨٠٨؛ ومسلم ٤/٢٠٩٧ ح٢٧٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١/١١٦ ح٢٩٨؛ ومسلم في صحيحه ١/٨٦ ح٧٩.

(٣) في صحيحه ٤/١٩٨١ ح٢٥٥٦.

(٤) في صحيحه ٥/٢٢٣١ ح٥٦٣٨.

أبو داود[١] عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة صاحب مكس».

فصل

قال علماؤنا: صاحب المكس: هو الذي يعشِّر أموال الناس ويأخذ من التجار والمختلفين ما لا يجب عليهم إذا مروا به مكساً باسم العشر أو الزكاة، وليس هو الساعي الذي يأخذ الصدقات والحق الواجب للفقراء، وقد قدمنا أن التبديل إذا كان في الأعمال ليس في العقائد صاحبه في المشيئة إن عذب فإنه يخرج بالشفاعة على ما تقدم، وهكذا القول في أصحاب الكبائر المتوعد عليها بالنار واللعنة يخرجون بالشفاعة إذا ارتكبوها على غير وجه الاستحلال.

باب

ما جاء في أول من تسعر بهم جهنم

مسلم[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلَّمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به

(١) في سننه ٣/ ١٣٢ ح٢٩٣٧؛ والدارمي في سننه ١/ ٤٨٢ ح١٦٦٦.
(٢) في صحيحه ٣/ ١٥١٣ ح١٩٠٥.

فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن أنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»، خرّجه أبو عيسى الترمذي[١] بمعناه، وقال في آخره: ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي، فقال: «يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة».

باب

فيمن يدخل الجنة بغير حساب

مسلم[٢] عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون».

الترمذي[٣] عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي»، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. أخرجه **ابن ماجه**[٤] أيضاً.

---

(١) في جامعه ٤/ ٥٩١ ح٢٣٨٢.

(٢) في صحيحه ١/ ١٩٨ ح٢١٨؛ والبخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ٥/ ٢٣٧٥ ح٦١٠٧.

(٣) في جامعه ٤/ ٦٢٦ ح٤٢٣٧، صحّحه الألباني. انظر: صحيح الترمذي له ٢/ ٢٩٥ ح١٩٨٤.

(٤) في سننه ٢/ ١٤٣٣ ح٤٢٨٦؛ وأحمد في مسنده ٥/ ٢٦٨ ح٢٢٣٥٧.

فَصْلٌ

لا تظن أن من استرقى واكتوى لا يدخل الجنة بغير حساب، فإن النبي ﷺ رقى نفسه وأمر بالرقى، وكذلك كوى أصحابه ونفسه فيما ذكره الطبري، فيُحمل النهي على رقى مخصوص، بدليل قول رسول الله ﷺ لآل عمرو بن حازم: «أعرضوا عليّ رقاكم لا بأس الرقى ما لم يكن فيه شرك»(١)، وكذلك الكي الذي لا يوجد عنه غنى، فمن فعله في محله وعلى شرطه لم يكن ذلك مكروهاً في حقه ولا منقصاً له من فضله. ويجوز أن يكون من السبعين ألفاً.

بَابُ

أمة محمد ﷺ شطر أهل الجنة وأكثر

مسلم(٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ فقال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون، قال: فذلك حين يشيب الصغير ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾، قال: فاشتد عليهم»، قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ قال: «أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل، قال: ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة، فحمدنا وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فحمدنا وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٧٢٧ ح٢٢٠٠.

(٢) في صحيحه ١/٢٠١ ح٢٢٢.

تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار»، خرّجه **البخاري**[(١)].

وخرّجه **ابن ماجه**[(٢)] **والترمذي**[(٣)] عن بريدة بن خصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

فَصْلٌ

قول الصحابة رضوان الله عليهم: أيّنا ذلك الرجل؟ يريدون من هو الواحد الذي لا يدخل النار توهماً منهم أن القضية واردة فيهم، فقال ﷺ: «إن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم رجلاً»، وأطلق لفظ البشارة وبيَّن أن الألف كلها في النار لكن من غير هذه الأمة المحمدية، ومن هذه الأمة واحد في النار على ما يقتضيه ظاهر هذا اللفظ.

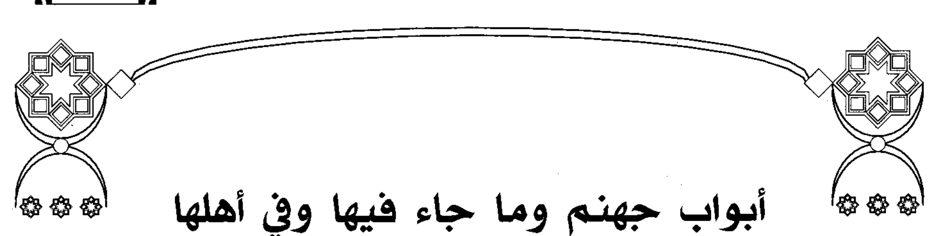
❀ ❀ ❀

---

(١) في صحيحه ٣/ ١٢٢١ ح٣١٧٠.

(٢) في سننه ٢/ ١٤٣٤ ح٤٢٨٩، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٦ ح٣٤٦٢.

(٣) في جامعه ٤/ ٦٨٣ ح٢٥٤٦.



أبواب جهنم وما جاء فيها وفي أهلها

ذكر الله ﷻ النار في كتابه ووصفها وأخبر بها، فقال عز من قائل: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [المعارج: ١٥ ـ ١٦]، الشوى: جمع شواة وهي جلدة الرأس.

وقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر: ٢٧ ـ ٢٩] مغيِّرة، يقال: لاحته الشمس ولوَّحته: إذا غيرته.

وقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ١٠ ـ ١١].

وقال: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ أي ليرمين فيها، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾ [الهمزة: ٥ ـ ٧].

وقال: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ [التكوير: ١٢]، أي: أوقدت وأضرمت.

وقال: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

فأوعد بها الكافرين وخوّف الطغاة المتمردين، والعصاة من الموحدين، لينزجروا عما نهاهم، فقال وقوله الحق: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ الآية [النساء: ١٠].

وقال: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ [الزمر: ١٦]، والآي في هذا المعنى كثير.

باب

ما جاء فيمن سأل الله الجنة واستجار به من النار

الترمذي[(١)] عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار قالت النار: اللهم أجره من النار».

باب

تقرر من الكتاب والسنّة أن الأعمال الصالحة والإخلاص فيها مع الإيمان موصلة إلى الجنان ومباعدة من النيران، وذلك يكثر إيراده والقطع به مع الموافاة على ذلك يغني عن ذكر ذلك، والله الموفق.

ويكفيك من ذلك ما ثبت في الصحيحين[(٢)] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً». الخريف: السنة.

خرّجه **النسائي**[(٣)] عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «من

---

(١) في جامعه ٤/ ٦٩٩ ح٢٥٧٢؛ والنسائي في المجتبى ٨/ ٢٧٩ ح٥٥٢١؛ وابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٥٣ ح٤٣٤٠، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٩ ح٢٠٧٩.

(٢) في البخاري ٣/ ١٠٤٤ ح٢٦٨٥؛ ومسلم ٢/ ٨٠٨ ح١١٥٣.

(٣) في المجتبى ٤/ ١٧٢ ح٢٢٤٤؛ وابن ماجه في سننه ١/ ٥٤٨ ح١٧١٨، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٢٨٧ ح١٣٩٥.

صام يوماً في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفاً» وخرّجه أبو عيسى الترمذي[١] عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين المشرق والمغرب»، ويروى: «كما بين السماء والأرض»[٢]، هذا حديث غريب من حديث أبي أمامة.

باب

ما جاء في عظم جهنم وأزمَّتها وكثرة ملائكتها وفي عظم خلقهم

مسلم[٣] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

فصل

هذا يبين لك ما قلناه: إن جهنم اسم علم لجميع النار، ومعنى يؤتى بها: يجاء بها من المحل الذي خلقها الله تعالى فيه فتدار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط.

والزمام: ما يزم به الشيء، أي: يشد ويربط، وهذه الأزمَّة التي تساق بها جهنم يمنع من خروجها على أهل المحشر فلا يخرج منها إلا الأعناق التي أمرت بأخذ من شاء الله أخذه.

---

(١) في جامعه ٤/١٦٧ ح١٦٢٤؛ والطبراني في الكبير ٨/ ٢٣٥ ح٧٩٢١؛ وفي معجمه الأوسط ٤/٤٦ ح٣٥٧٤. قال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وإسناده حسن. مجمع الزوائد ٣/ ١٩٤.

(٢) رواها الطبراني في الأوسط ٥/ ١١٢ ح٤٨٢٦.

(٣) في صحيحه ٤/ ٢١٨٤ ح٢٨٤٢.

وملائكتها كما وصفهم الله تعالى: ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

وقال ابن عباس: ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم[١].

وأما قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر: ٣٠]، فالمراد: رؤسائهم.

وأما جملتهم: فالعبارة عنها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]

باب

ما جاء في سعة جهنم وعظم سرادقها بيان قوله تعالى:
﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان: ١٣].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

ابن المبارك[٢]: أخبرنا عنبسة بن سعيد عن حبيب بن أبي عمرة عن مجاهد قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أتدري ما سعة جهنم؟ قال: قلت: لا، قال: أجل والله ما تدري أن بين شحمتي أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً تجري فيها أودية القيح والدم، قلت له: أنهار؟ قال: لا، بل أودية، ثم قال: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا، قال: أجل والله ما تدري، حدثتني عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾ [الزمر: ٦٧]،

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره عن كعب الأحبار ١٦/١٠٩.

(٢) في الزهد (الزوائد) ص(٨٥) ح٢٩٨؛ وأحمد في المسند ٦/١١٦ ح٢٤٩٠٠.

قلت: فأين الناس يومئذ؟ قال: «على جسر جهنم». خرّجه **الترمذي**[١] وصححه.

باب

ما جاء في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها

مالك[٢] عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «نار ابن آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، فقالوا: يا رسول الله وإن كانت لكافية، قال: «فإنها فضلت بتسعة وستين جزءاً»، أخرجه **مسلم**[٣]، وزاد: «كلها مثل حرّها».

مسلم[٤] عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط، هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط».

أخرجه **ابن ماجه**[٥] أيضاً من حديث محمد بن إسحاق عن حميد الطويل عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم

---

(١) في جامعه ٥/ ٣٧٢ ح٣٢٤١. قال الألباني: صحيح الإسناد. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٠١ ح٢٥٨٩.

(٢) في الموطأ ٢/ ٩٩٤ ح١٨٠٤.

(٣) في صحيحه ٤/ ٢١٨٤ ح٢٨٤٣.

(٤) في صحيحه ٤/ ٢١٦٢ ح٢٨٠٧.

(٥) في سننه ٢/ ١٤٤٥ ح٤٣٢١؛ وابن المبارك في الزهد ١/ ٢٢٠ ح٦٢٢، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٣٤ ح٣٤٨٨.

القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار فيقال: اغمسوه في النار غمسة، فيغمس فيها، ثم يخرج، فيقول: أي فلان هل أصابك نعيم قط؟ فيقول: لا، ما أصابني نعيم قط، ويؤتى بأشد المؤمنين ضرّاً وبلاءً فيقال: اغمسوه غمسة في الجنة فيغمس فيها غمسة فيقال: أي فلان هل أصابك ضرّ قط أو بلاء؟ فيقول: لا، ما أصابني ضر قط ولا بلاء».

بَابٌ مِنهُ

وما جاء في شكوى النار وكلامها وبُعد قعرها وأهوالها وفي قدر الحجر الذي يرمى به فيها

ـ أجارنا الله منها ومن أهوالها ـ

روى الأئمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضاً، فجعل لها نفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها، وشدة ما تجدون من الحر من سَمومها»، أخرجه **البخاري**[١] **ومسلم**[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة، فقال النبي ﷺ: «أتدرون ما هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»، خرّجه **مسلم**[٣].

الوجبة: الهدة، وهي صوت وَقْع الشيء الثقيل.

الترمذي[٤] عن الحسن قال: قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا

---

(١) في صحيحه ٣/ ١١٩٠ ح٣٠٨٧. (٢) في صحيحه ١/ ٤٣١ ح٦١٧.

(٣) في صحيحه ٤/ ٢١٨٤ ح٢٨٤٤.

(٤) في جامعه ٤/ ٧٠٢ ح٢٥٧٥، صحّحه الألباني. صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٢٠ ح٢٠٨٤.

- يعني منبر البصرة - عن النبي ﷺ قال: «إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عاماً وما تقضي إلى قرارها»، قال: وكان عمر يقول: أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وإن مقامها حديد.

مسلم[١] عن خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميراً على البصرة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن الدنيا فقد آذنت بِصَرْمٍ وَوَلَّتْ حذَّاءَ[٢]، ولم يبق منها إلا صُبابة كصبابة الإناء يتصابُّها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه قد ذكر لنا أن الحجر ليلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً، والله لتملأن، أفعجبتم. . .» الحديث.

باب

ما جاء أن في جهنم سجوناً، وفي وعيد من شرب الخمر وغيره

أخبرنا محمد بن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»، أخرجه **الترمذي**[٣] وقال: حديث حسن.

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢٢٧٨ ح٢٩٦٧.

(٢) المعنى أنها ذهب خفيفة سريعة. انظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٥٦.

(٣) في جامعه ٤/ ٦٥٥ ح٢٤٩٢، وقال بعده: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أحمد في مسنده ٢/ ١٧٩ ح٦٦٧٧؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٥/ ٣٢٩ ح٢٦٥٨٢، وحسّنه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٠٤ ح٢٠٢٥.

قلت: وطينة الخبال: عرق أهل النار أو عصارتهم، شراب أيضاً لمن شرب المسكر، جاء ذلك في صحيح البخاري[١] عن جابر رضي الله عنه: أن رجلاً قدم من جيشان، وجيشان من اليمن، فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له: المزر، فقال ﷺ: «أوَ مسكر هو؟»، قال: نعم، قال: «إن على الله تعالى عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال»، قال: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار» أو «عصارة أهل النار».

باب

تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره وتوزيع العذاب على العاصي المؤمن

مسلم[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع».

الترمذي[٣] عنه عن النبي ﷺ قال: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة». قال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث الأعمش.

وفي رواية[٤]: «وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار مسيرة

---

(١) لم أجده في صحيح البخاري، وهو في صحيح مسلم ٣/ ١٥٨٧ ح٢٠٠٢.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢١٨٩ ح٢٨٥١.

(٣) في جامعه ٤/ ٧٠٣ ح٢٥٧٧. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٣٢١.

(٤) أخرجها الترمذي في جامعه ٤/ ٧٠٣ ح٢٥٧٨. قال الألباني: حديث حسن. صحيح الترمذي له ٢/ ٣٢١.

ثلاث مثل الربذة»، أخرجه عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وقال: مثل الربذة: يعني به كما بين مكة والمدينة، والبيضاء: جبل.

مسلم(١) عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته»، وفي رواية(٢): «حقويه» مكان حجزته..

بَابٌ مِنهُ

ابن ماجه(٣) عن الحارث بن أقيش رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر، وإن من أمتي من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها».

بَابٌ
ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي

مسلم(٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون».

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢١٨٥ ح٢٨٤٥.
(٢) في صحيح مسلم بنفس التخريج السابق.
(٣) في سننه ٢/ ١٤٤٦ ح٤٣٢٣؛ وأحمد في مسنده ٥/ ٣١٢ ح٢٢١٧؛ والطبراني في الكبير ٣/ ٢٢٦ ح٣٣٦٣، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٣٤ ح٣٤٩٠.
(٤) في صحيحه ٣/ ١٦٧٠ ح٢١٠٩؛ والبخاري في صحيحه ٥/ ٢٢٢٠ ح٥٦٠٦.

قلت: وقد تقدم[١] حديث البخاري الطويل عن سمرة بن جندب وحديث ابن عباس وأبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنه في باب ما يكون منه عذاب القبر، وحديث أبي هريرة في الذين تسعّر بهم النار وغير ذلك مما تقدم في معنى هذا الباب فتأمل ذلك.

بَابٌ مِنهُ

وفي عذاب من عذّب الناس في الدنيا

أبو داود الطيالسي[٢] قال: أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي نجيح عن خالد بن حكيم عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس في الدنيا».

خرّجه **البخاري** في التاريخ[٣] فقال: ثنا علي، ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي نجيح عن خالد بن حكيم بن حزام أن أبا عبيدة تناول رجلاً من أهل الأرض فكلمه خالد بن الوليد فقالوا: أغضبت الأمير، قال: لم أرد غضبه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس في الدنيا»، خرّجه **مسلم**[٤] بمعناه من حديث هشام بن حكيم بن حزام أنه مر على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا في الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا».

---

(١) ص(١١٩).

(٢) في مسنده ص(١٥٨) ح١١٥٧.

(٣) في التاريخ الكبير ٣/ ١٤٣.

(٤) في صحيحه ٤/ ٢٠١٨ ح٢٦١٣.

باب

في عذاب من أمر بالمعروف ولم يأته ونهى عن المنكر وأتاه

البخاري[١] عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله»، خرّجه **مسلم**[٢] بمعناه عن أسامة[٣] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان: ما لك؟ ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه».

فصل

قال إبراهيم النخعي[٤]: إني لأكره القصص لثلاث آيات، قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود ٨٨].

قلت: وألفاظ هذه الآيات تدل مع ما ذكرناه من الأحاديث على أن عقوبة من كان عالماً بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه، وإنما ذلك؛ لأنه كالمستهين

---

(١) في صحيحه ٦/ ٢٦٠٠ ح٦٦٨٥. (٢) في صحيحه ٤/ ٢٢٩٠ ح٢٩٨٩.

(٣) أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٤) ذكر قوله ابن كثير في تفسيره ١/ ٨٧.

بحرُمات الله ومستخِفٌّ لأحكامه، وهو ممن لم ينتفع بعلمه.

وقوله: تندلق: أي تخرج، والاندلاق: الخروج بسرعة، يقال: اندلق السيف خرج من غمده، ورويْنا: فتنفلق، بدل: فتندلق.

والأقتاب: الأمعاء، واحدها: قتب بكسر القاف، وقال الأصمعي: واحدها قتبة، ويقال لها أيضاً: الأقصاب واحدها قصب، قاله أبو عبيد[١]. وقال ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار وهو أول من سيّب السوائب»[٢].

باب

ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم

قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩]، وقال: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٤]، وقال: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ أي: نوماً ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ: ٢٤ ـ ٢٦]، وقال: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال عز من قائل: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾، وقال: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾، [الحاقة: ٣٥ ـ ٣٦]، قال الهروي[٣]: معناه: صديد أهل النار وما ينغسل ويسيل من أيديهم.

قلت: وهو الغَسَّاق أيضاً، ذكره ابن المبارك[٤]: أخبرنا سفيان

---

(١) في غريب الحديث ٢/ ٣١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ١٢٩٧ ح٣٣٣٣؛ ومسلم ٤/ ٢١٩٢ ح٢٨٥٦.

(٣) في الغريبين له ٤/ ١٣٧٤.

(٤) في الزهد (الزوائد) ص(٨٥) ح٢٩٧.

عن منصور عن إبراهيم وأبي رزين في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ [ص: ٥٧] قالا: ما يسيل من صديدهم.

وقيل: الغساق: القيح الغليظ المنتن.

وذكر ابن وهب عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: الغساق: القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق في المغرب أنتنت أهل المشرق، ولو أنها تهراق في المشرق أنتنت أهل المغرب[١].

وقيل: الغساق: الذي لا يستطاع من شدة برده وهو الزمهرير[٢].

وقال كعب: الغساق: عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة فتستنقع، ويؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام، فيجر لحمه في كعبيه كما يجر الرجل ثوبه[٣].

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ: ٢٦]، أي: وافق أعمالهم الخبيثة.

واختلف في الضريع: فقيل: هو نبت ينبت في الربيع، فإذا كان في الصيف يبس، فاسمه إذا كان عليه ورقه: شبرق، وإذا تساقط ورقه فهو الضريع، فالإبل تأكله خضراً فإذا يبس لم تذقه. وقيل: هو الشوكة. وقيل: حجارة. وقيل: الزقوم[٤]. وقيل: واد في جهنم. والله أعلم.

وقال المفسرون: إن شجرة الزقوم في الباب السادس، وأنها تحيا بلهيب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء، فلا بد لأهل النار من أن ينحدر إليها من كان فوقها فيأكلونها منها.

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٧٧.
(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ١٤.
(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٧٧.
(٤) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري ٣٠/ ١٦١ ـ ١٦٢.

وقال أبو عمران الجوني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾، قال: بلغنا أن ابن آدم لا ينتهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها[١].

والمهل: ما كان ذائباً من الفضة والنحاس[٢].

قيل: المهل: عكر الزيت الشديد السواد[٣].

قوله تعالى: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٥ ـ ٤٦] يعني: الماء الشديد الحر.

باب
ما جاء في بكاء أهل النار ومن أدناهم عذاباً فيها

مسلم[٤] عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه».

وفي التنزيل: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨٢].

وفي **الترمذي**[٥] من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»، فمن كثر بكاؤه خوفاً

---

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية ٢/ ٣١٤.
(٢) الطبري في تفسيره ١٥/ ٢٤٠.
(٣) الطبري في تفسيره عن مجاهد ١٥/ ٢٤٠.
(٤) في صحيحه ١/ ١٩٦ ح٢١٣.
(٥) في جامعه ٤/ ٥٥٦ ح٢٣١٣؛ ومالك في الموطأ ١/ ١٨٦ ح٤٤٤؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٨٦ ح٣٤٣٩٣، حسّنه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٦٨ ح١٨٨٢.

من الله تعالى وخشية منه ضحك كثيراً في الآخرة، قال الله تعالى مخبراً عن أهل الجنة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦]، ووصف أهل النار فقال: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المطففين: ٣١] وقال: ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

باب

لكل مسلم فداء من النار من الكفار

حدثنا جبارة بن المغلس، ثنا كثير بن سُلَيْم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذه الأمة مرحومة؛ عذابها بأيديها، فإذا كان يوم القيامة دفع الله[1] إلى كل رجل من المسلمين رجلاً من المشركين، فقال: هذا فداؤك من النار»[2].

مسلم[3] عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فكاكك من النار».

وفي رواية أخرى[4]: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً، فاستحلفه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بالله الذي لا إلٰه إلا هو ثلاث مرات: أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فحلف له».

* * *

(١) (لفظ الجلالة): ليس في (ابن ماجه).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٣٤ ح٤٢٩٢، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٧ ح٣٤٦٤.

(٣) في صحيحه ٤/ ٢١١٩ ح٢٧٦٧.

(٤) أخرجها مسلم في صحيحه ٤/ ٢١١٩ ح٢٧٦٧.

باب

في قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]

مسلم[(١)] عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة».

في رواية أخرى: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله سبحانه عليها رجله فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً»[(٢)].

باب

ذكر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة

مسلم[(٣)] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله تعالى: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله تعالى: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليها أنها ملأى، فيرجع، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله تعالى: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي أو تضحك بي وأنت الملِك؟»، قال:

---

(١) في صحيحه ٤/٢١٨٨ ح٢٨٤٨.

(٢) لمسلم في صحيحه ٤/٢١٨٧ ح٢٨٤٦.

(٣) في صحيحه ١/١٧٢ ح١٨٦؛ والبخاري في صحيحه ٥/٢٤٠٢ ح٦٢٠٢.

لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، قال: فكان يقول: «ذلك أدنى أهل الجنة منزلة».

وعنه[١] أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة؛ فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فتُرفع له شجرة فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله تعالى: يا ابن آدم لعلّي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا، يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، لعلّي إن أدنيتك منها تسألني غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها ترفع له شجرة عند باب الجنة أحسن من الأوليين، فيقول مثله، قال: فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن ما يَصْريني منك[٢]، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها، فيقول: أي رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين»، فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألون مِمّ أضحك؟ قالوا: مِمّ تضحك؟ فقال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مِمّ تضحك يا رسول الله؟ قال: «من ضحك رب العالمين، فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر».

---

(١) أي: ابن مسعود رضي الله عنه، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٧٤ ح١٨٧.

(٢) أي: ما يقطع مسألتك، ويمنعك من سؤالي. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٧.

باب

ما جاء في ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

جاء في الخبر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أنه قال: إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار، فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار يجعل الكفار في منازلهم في النار»، خرّجه **ابن ماجه**[(١)] بمعناه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار وورث أهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: ١٠]» إسناد صحيح.

قلت: وهذا بيِّن في أن لكل إنسان منزلاً في النار ومنزلاً في الجنة، وقد قال هنا: «ما منكم»، فخاطب أصحابه الكرام المنزّهون عن الذنوب العظام الموجبة للنيران رضي الله عنهم.

باب

ما جاء في خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط

البخاري[(٢)] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح، ثم ينادي منادياً: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، وأهل النار حزناً إلى حزنهم».

---

(١) في سننه ٢/ ١٤٥٣ ح٤٣٤١؛ والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٣٤٢، صحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٣٨ ح٩٦٩.

(٢) في صحيحه ٥/ ٢٣٩٧ ح٦١٨٢.

مسلم[١] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، فيقولون: نعم هذا الموت، قال: ثم يقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، فيقولون: نعم هذا الموت، فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت فيها»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وأشار بيده إلى الدنيا.

وذكر **ابن ماجه**[٢] في حديث فيه طول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء[٣] بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة، فيطّلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقال: يا أهل النار، فيطّلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم به، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين كلاهما: خلود فيما تجدون لا موت فيها أبداً»، خرّجه **الترمذي**[٤] بمعناه عن أبي هريرة مطولاً أيضاً، وفيه: «إذا أدخل الله أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النار النار، أُتي بالموت ملبباً فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢١٨٨ ح٢٨٤٩.

(٢) في سننه ٢/ ١٤٤٧ ح٤٣٢٧، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٣٥ ح٣٤٩٣.

(٣) في (سنن ابن ماجه): يؤتى.

(٤) في جامعه ٤/ ٦٩١ ح٢٥٥٧، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧ ح٢٠٧٢.

النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهل النار: تعرفون هذا؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء: عرفناه هو الموت الذي وكّل بنا، فيضجع فيذبح ذبحاً على السور، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت»، قال: هذا حديث حسن صحيح.

فَصْلٌ

قلت: هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل الدارين فيها لا إلى غاية ولا أمد معين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة، كما قال في كتابه الكريم وأوضح فيه من عذاب الكافرين: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: ٣٦ ـ ٣٧]، وقال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ﴾، وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢]، فمن قال: إنهم يخرجون منها وأن النار تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها وأنها تفنى وتهلك فهو خارج عن مقتضى العقول ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ وما أجمع عليه أهل السنّة والأئمة العدول، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

❁ ❁ ❁



أبواب الجنة

وما جاء فيها وفي صفتها ونعيمها

وصف الله تعالى الجنة في كتابه وصفاً يقوم مقام العيان، في غير ما سورة من القرآن وأكثر ذلك في سورة الواقعة، والرحمٰن، وهل أتاك حديث الغاشية، وسورة الإنسان، وبيّن ذلك أيضاً نبيّنا ﷺ بأوضح بيان، فنذكر من ذلك ما بلغنا في الأخبار الصحاح والحسان، وعن السلف الصالح أهل الفضل والإحسان ﷺ وحشرنا معهم آمين.

بَابٌ مِنهُ

وهل تَفْضُلُ جنّةٌ جنّةً

قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، ثم وصفهما فقال بعد ذلك: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٦٢]. وعن ابن عباس في تأويل قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، أي: بعد أداء الفرائض جنتان، قيل: على حده، فلكل خائف جنتان، وقيل: جنتان لجميع الخائفين، والأول أظهر.

وقيل: خاف قيام ربه عليه، أي: إشرافه واطلاعه عليه، بيانه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقال مجاهد[١] والنخعي[٢]: هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه.

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٢٧/ ١٤٥. (٢) ذكره الطبري في تفسيره ٢٧/ ١٤٦.

وقيل: إن إحدى الجنتين أسافل القصور والأخرى أعاليها.

وقال مقاتل: هما جنة عدن وجنة النعيم[١].

وقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾، قال ابن عباس: أي: وله من دون الجنتين الأوليين جنتان أخرتان، قاله، ابن عباس، «ومن دونها» أي: في الدرج[٢].

والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون في الأوليين النخل والشجر، وفي الأخريين الزرع والنبات وما انبسط، الماوردي[٣]: ويحتمل أن يكون ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ لأتباعه لقصور منزلتهم عن منزلة إحداهما للحور العين، والأخرى للولدان المخلدين ليتميز فيهما الذكور من الإناث[٤].

قال ابن زيد: الأوليان من ذهب للمقربين، والأخريان من ورق لأصحاب اليمين[٥].

قلت: إلى هذا ذهب الحليمي أبو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب منهاج الدين له[٦] واحتج لما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾، قال: تانك للمقربين، وهاتان لأصحاب اليمين، وعن أبي موسى الأشعري نحو ذلك.

ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما فقال في الأوليين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرحمٰن: ٥٠]، وفي الأخريين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٦٦]، أي: فوّارتان بالماء، ولكنهما ليستا

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٤١. (٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤/ ٢٨٠.
(٣) في النكت والعيون له ٥/ ٤٤٠. (٤) في تفسيره ٥/ ٤٤٠ ـ ٤٤١.
(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٥/ ٤٤١. (٦) ١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥.

كالجاريتين؛ لأن النضخ دون الجري، وقال في الأوليين: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٥٢] فعمّ ولم يخص، في الأخريين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمٰن: ٦٨] ولم يقل من كل فاكهة، وقال في الأوليين: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٦٧] والعبقري: الوشي، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي، والرفرف: كسر الخباء[1]، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من فضل الخباء، وقال في الأوليين في صفة الحور العين: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمٰن: ٥٨]، وفي الأخريين: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٠] وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان، وقال في الأوليين: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٨]، وفي الآخريين: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [الرحمٰن: ٦٤] أي: خضراوان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان، ووصف الأوليين بكثرة الأغصان، والأخريين بالخضرة وحدها، وفي هذا كله تحقيق المعنى الذي عضدنا بقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾، ولعل ما لم يذكره من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر.

فإن قيل: كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأوليين؟

قيل: الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه إلا أن الخائفين لهم مراتب، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى، والجنتان الأخريان لمن قصرت حاله في الخوف من الله تعالى.

قلت: فهذا قول، والقول الثاني: أن الجنتين في قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أعلى وأفضل من الأوليين، ذهب إلى هذا الضحَّاك، وأن

---

(١) هكذا أيضاً في تفسير القرطبي ١٧/ ١٩١.

الجنتين الأوليين من ذهب وفضة، والأخريين من ياقوت وزمرد، وقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي: من أمامهما ومن قبلهما.

وقال مقاتل: الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم، والأخريان: جنة الفردوس وجنة المأوى[(١)].

قال المؤلف رحمه الله: ويدل على هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس...» الحديث[(٢)].

روي عن ابن عباس: نضاختان: أي فوّارتان بالماء[(٣)]، والنضخ بالخاء أكثر من النضح بالحاء، وعنه أيضاً أن المعنى: نضاختان بالخير والبركة، وقاله الحسن[(٤)] ومجاهد[(٥)].

وعن ابن عباس وابن مسعود أيضاً: ينضح على أولياء الله بالمسك والعنبر[(٦)] والكافور في دروب أهل الجنة، كما ينضح رش طش المطر.

وقال سعيد بن جبير: بأنواع الفواكه والماء[(٧)].

وقوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ قال بعض العلماء: ليس الرمان والنخل من الفاكهة؛ لأن الشيء لا يعطف على نفسه، وهذا ظاهر الكلام.

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٥/ ٤٤١.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه ١٠/ ٤٧٢ ح٤٦١١؛ والطبراني في الكبير ١٨/ ٢٥٤ ح٦٣٥. قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ١٠/ ١٧١.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٢٧/ ١٥٦؛ والماوردي ٥/ ٤٤١.

(٤) ذكره الماوردي ٥/ ٤٤١.

(٥) ذكره ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤١ ح٣٤٠٥٤.

(٦) ذكره الماوردي ٥/ ٤٤١ عن أنس رضي الله عنه.

(٧) ذكره الماوردي ٥/ ٤٤١.

وقال الجمهور[1]: هما من الفاكهة، وإنما أعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما على الفاكهة كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وقيل: إنما كررها؛ لأن النخيل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا، لأن النخل عامة قوتهم، والرمان كالثمرات، وكان يكثر غرسها عندهم لحاجتهم إليه، وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التي يعجبون بها فإنما ذكر الفاكهة، ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما والاها من أرض اليمن، فأخرجهما في الذكر من الفواكه وأفرد الفواكه على حدتها.

وقوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ يعني: النساء، الواحدة: خيرة.

قال الترمذي: فالواحدة خيرة ما اختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره، فاختيار الله لا يشبه اختيار الآدميين، ثم قال: ﴿حِسَانٌ﴾ فوصفهن بالحسن فإذا وصف خالق الشيء شيئاً بالحسن فانظر ما هنالك، فمن ذا الذي يقدر أن يصف حسنهن، وفي الأوليين ذكر بأنهن ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ و﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾، فانظر كم بين الخيرة وهي مختارة الله وبين قاصرات الطرف، ثم قال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ وقال في الأوليين: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ فقصر طرفهن على الأزواج ولم يذكر أنهن مقصورات، فدل على أن المقصورات أعلى وأفضل، وقد بلغنا في الرواية أن سحابة قطرت من العرش، فخلقهن من قطرات الرحمة، ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلاً وليس لها باب، حتى إذا حلّ ولي الله

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ١٥٧/٢٧.

بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها، فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين، والله أعلم.

ثم قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾ اختلف في الرفرف ما هو، فقيل: كسر الخباء وجوانب الزرع، وما تدلى منها، الواحدة رفرفة، وقيل: الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاح[1] يميناً وشمالاً ورفعاً وخفضاً، يتلذذ به مع أنيسته، فاشتقاقه على هذا من رفّ يرف إذا ارتفع، ومنه رفرفة الطائر لتحريك جناحيه في الهواء وربما سمي الظَّلِيم[2] رفرافاً بذلك؛ لأنه يرفرف بجناحيه ثم يعدو، ويرفرف الطائر أيضاً إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه.

وقال هناد[3]: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾، فالرفرف هو مستقر الولي على شيء إذا استوى عليه الولي رفرف به، أي: طار به هكذا وهكذا حيث ما يريد كالمرجاح.

وروي لنا في حديث المعراج أن رسول الله ﷺ لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى ستر العرش، فذكر أنه طار بي يحتضنّي ويرفعني حتى وقف بي على ربي، ثم لما حان الانصراف، تناوله فطار به خفضاً ورفعاً يهوي به حتى إذا أتى إلى جبريل صلوات الله عليهما وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتمجيد، فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى، له خواص الأمور في محل الدنو والقربة، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك

---

(١) المرجاح من الترجح، وهو التذبذب بين شيئين. انظر: لسان العرب ٢/ ٤٤٦.

(٢) الظليم: الذكر من النعام. الصحاح للجوهري ٥/ ١٩٧٨.

(٣) ذكر هناد في زهده ١/ ٨١ معنى الرفرف، وليس فيه ما أورده المصنف.

في أرضه، فهذا الرفرف الذي سخّره الله لأهل الجنتين الدانيتين هو متكأهما وفرشهما يرفرف بالولي على جانبات تلك الأزهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيّرات الحسان.

ثم قال: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾، والعبقري: ثياب منقوشة منبسطة، فإذا قال خالق النقوش بأنها حسان فما ظنك بتلك العباقر، والعبقر قرية بناحية اليمن فيما بلغنا ينسج بها بسط منقوشة، فذكر الله ما خلق في تلك الجنتين من البسط المنقوشة الجنان والرفرف الخضر، وإنما ذكر لهم من الجنان ما يعرفون أسماءها هنا، فبان تفاوت هاتين الجنتين.

بَابٌ

صفة الجنة ونعيمها وما أعدّ الله تعالى لأهلها فيها

مسلم[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بله ما أطلعكم عليه، ثم قرأ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»، بله معناه: غير، وقيل: اسم من أسماء الأفعال بمعنى: دَع.

الترمذي[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله مِمّ خلق الخلق؟ قال: «من الماء»، قلت: الجنة ما بناؤها؟ قال: «لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران، من دخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢١٧٥ ح٢٨٢٤.

(٢) في جامعه ٤/ ٦٧٢ ح٢٥٢٦؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/ ٣٩٦ ح٧٣٨٧. قال الألباني: صحيح دون قوله: «ممّ خلق الخلق». انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٣١٠ ـ ٣١١ ح٢٠٥٠.

تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم...»، وذكر الحديث وقال[١]: (ليس إسناده بذلك القوي وليس هو عندي بمتصل، وقد روي هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ).

مسلم[٢] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لابن صياد: «ما تربة الجنة؟»، قال: درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم، قال: «صدقت».

وعنه[٣] أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة فقال: «درمكة بيضاء مسك خالص».

باب

ما جاء في أنهار الجنة وجبالها وما في الدنيا منها

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ﴾ [محمد: ١٥].

الترمذي[٤] عن حكيم بن معاوية عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وحكيم بن معاوية والد بهز بن حكيم.

مسلم[٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة».

---

(١) أي: الترمذي. (٢) في صحيحه ٤/ ٢٢٤٣ ح٢٩٢٨.

(٣) أي: عن أبي سعيد الخدري، والحديث في مسلم بالرقم السابق نفسه.

(٤) في جامعه ٤/ ٦٩٩ ح٢٥٧١؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/ ٤٢٤ ح٧٤٠٩، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٩ ح٢٠٧٨.

(٥) في صحيحه ٤/ ٢١٨٣ ح٢٨٣٩.

وذكر **البخاري**[١] من طريق شريك عن أنس ﷺ في حديث الإسراء: «فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطّردان، فقال: ما هذان يا جبريل؟ قال: النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا النهر الذي خبأ لك ربك».

باب
من أين تفجر أنهار الجنة

البخاري[٢] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس، قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس فإنه في أوسط الجنة وأعلا الجنة، وفوقه عرش الرحمٰن، ومنه تفجر أنهار الجنة»، خرّجه **ابن ماجه**[٣] أيضاً وغيره[٤].

وقال أبو حاتم البُسْتي[٥]: (معنى قوله: أوسط الجنة: يريد أن الفردوس في وسط الجنان في العرض، وهو أعلى الجنة يريد في

(١) في صحيحه ٦/ ٢٧٣١ ح٧٠٧٩. (٢) في صحيحه ٣/ ١٠٢٨ ح٢٦٣٧.
(٣) في سننه ٢/ ١٤٤٨ ح٤٣٣١.
(٤) ابن حبان في صحيحه ١٠/ ٤٧٢ ح٤٦١١؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٣٣٩ ح٨٤٥٥.
(٥) محمد بن حِبّان بن أحمد، أبو حاتم البستي، الإمام الحافظ، صاحب الكتب المشهورة منها: المسند الصحيح، والتاريخ، والضعفاء، وغير ذلك، توفي سنة ٣٥٤هـ، ١٦/ ٩٢.

الارتفاع)[١].

وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها[٢].



باب
ما جاء في أشجار الجنة وثمارها وما يشبه ثمر الجنة في الدنيا

الترمذي[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرأوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة: ٣٠]، وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، واقرأوا إن شئتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وخرّج **البخاري**[٤] من حديث قتادة: حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة. قال النبي ﷺ... الحديث حديث الإسراء، وفيه:

---

(١) قاله في صحيحه ١٠/ ٤٧٢.

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ٢٦، وقد رفعه الترمذي في جامعه من رواية قتادة عن أنس بن مالك ٥/ ٣٢٧ ح٣١٧٤.

(٣) في جامعه ٥/ ٤٠٠ ح٣٢٩٢، حسّنه الألباني. انظر: صحيح الترمذي ٣/ ١١٣ ح٢٦٢٥.

(٤) في صحيحه ٣/ ١٤١١ ح٣٦٧٤.

«ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان»، وذكر الحديث.

وخرّج **مسلم**[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في صلاة الكسوف قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت في مقامك شيئاً ثم رأيناك تكعكعت، قال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذت لأكلتم منه ما بقيت الدنيا».

تكعكعت معناه: تأخرت، فيقال منه: كع يكع كعوعاً: تأخر.

باب
ليس في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب

الترمذي[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب»، قال: حديث حسن غريب.

باب
الزرع في الجنة

البخاري[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية، أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: أوَ ليست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحبّ أن أزرع، فأسرع وبَذَرَ، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده

---

(١) في صحيحه ٢/ ٦٢٦ ح٩٠٧.
(٢) في جامعه ٤/ ٦٧١ ح٢٥٢٥، صحّحه الألباني. انظر: صحيح جامع الترمذي ٢/ ٣١٠ ح٢٠٤٩.
(٣) في صحيحه ٦/ ٢٧٣٣ ح٧٠٨١.

وتكويره، أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء، فقال الأعرابي: يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ».



ما جاء في أبواب الجنة وكم هي؟ ولمن هي؟ وفي تسميتها وسعتها

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، قال جماعة من أهل العلم: هذه واو الثمانية[1]، فللجنة ثمانية أبواب، واستدلوا بقوله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»، رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خرّجه **مسلم**[2].

وجاء تعيين هذه الأبواب لبعض العمال، كما في حديث الموطأ[3] وصحيح **البخاري**[4] **ومسلم**[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما على أحد يدعى من هذه

(١) أي: الواو التي في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾.
(٢) في صحيحه ١/ ٢٠٩ ح٢٣٤.
(٣) ٢/ ٤٦٩ ح١٠٠٤.
(٤) ٢/ ٦٧١ ح٧١٩٨.
(٥) ٢/ ٧١١ ح١٠٢٧.

الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

قال القاضي عياض[١]: وذكر مسلم في هذا الحديث من أبواب الجنة أربعة، وزاد غيره: بقية الثمانية، فذكر باب التوبة، وباب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين، والباب الأيمن الذي يدخل منه من لا حساب عليه.

ومما يدل على أنها أكثر من ثمانية حديث عمر بن الخطاب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، صادقاً من نفسه ـ أو قلبه، شك، أيهما قال ـ: فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة، يدخل من أيها شاء»، وخرّجه **الترمذي**[٢] وغيره[٣].

قال أبو عمر ابن عبد البر في كتاب التمهيد[٤]: هكذا قال: فتح له من أبواب الجنة.

وذكره أبو داود[٥] والنسائي[٦] وابن سَنْجِر[٧]: «فتحت له أبواب الجنة الثمانية»، وليس فيها ذكر «من»، فعلى هذا أبواب الجنة ثمانية، كما قالوا.

---

(١) في إكمال المعلم له ٣/ ٥٥٧.
(٢) في جامعه ١/ ٧٨ ح٥٥، صحّحه الألباني. صحيح الترمذي ١/ ١٨ ح٤٨.
(٣) ابن ماجه في سننه ١/ ١٤٥ ح٤١٩؛ والدارمي في سننه ١/ ١٩٦ ح٧١٦.
(٤) ٧/ ١٨٩.
(٥) في سننه ١/ ٤٣ ح١٦٩.
(٦) في المجتبى من السنن ١/ ٩٢ ح١٤٨، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن النسائي ١/ ٣٣ ح١٤٤.
(٧) قال الذهبي: محمد بن سنجر الجرجاني، صاحب المسند، توفي سنة ٢٥٨هـ. سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٨٦.

وقد خرّج **مسلم**[١] عن خالد بن عمير قال: خطبنا عتبة بن غزوان، وكان أميراً على البصرة، فحمد الله، وأثنى عليه...، وذكر الحديث، وفيه: ولقد ذكر لنا «أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام...»، الحديث.

وخرّج[٢] عن أنس رضي الله عنه في حديث الشفاعة: «والذي نفس محمد بيده إنما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصْرى».

وخرّج[٣] عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلنّ الجنة من أمتي سبعون ألفاً ـ أو سبعمائة ألف، لا يدري أبو حازم[٤] أيهما قال ـ متماسكون آخذاً بعضهم بعضاً، لا يدخل أوّلهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»، فهذه الأحاديث مع صحتها تدل على أنها أكثر من ثمانية؛ إذ هي غير ما تقدم، فيحصل منها والحمد لله على هذا ستة عشر باباً، والله أعلم.

باب

روى **البخاري**[٥] **ومسلم**[٦] عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون، فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق، فلم يدخل منه

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢٢٧٨ ح٢٩٦٧.
(٢) أي: مسلم في صحيحه ١/ ١٨٥ ح١٩٤.
(٣) أي: مسلم في صحيحه ١/ ١٩٨ ح٢١٩.
(٤) هو سلمة بن دينار، الأعرج المخزومي مولاهم، تابعي مدني. انظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٣٣ رقم ١١٩.
(٥) في صحيحه ٢/ ٦٧١ ح١٧٩٧. (٦) في صحيحه ٢/ ٨٠٨ ح١١٥٢.

أحد»[(١)].

قلت: وكذا والله أعلم سائر الأبواب المختصة بالأعمال.

وفي صحيح **مسلم**[(٢)]: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال: أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة».

باب

ما جاء في درج الجنة وما يحصلها للمؤمن

الترمذي[(٣)] عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجنة مائة درجة، كل درجة منها ما بين السماء والأرض، وإن أعلاها الفردوس، وأوسطها الفردوس، وإن العرش على الفردوس، منها تفجر أنهار الجنة، إذا سألتم الله فسلوه الفردوس»، قال الترمذي: عطاء لم يدرك معاذ بن جبل.

ابن ماجه[(٤)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه».

وخرّجه **أبو داود**[(٥)] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال

---

(١) في (البخاري): أحد غيرهم. (٢) في صحيحه ٢/ ٧١٣ ح١٠٢٨.

(٣) في جامعه ٤/ ٦٧٥ ح٢٥٣٠، صحّحه الألباني. صحيح الترمذي ٢/ ٣١٢ ح٢٠٥٥.

(٤) في سننه ٢/ ١٢٤٢ ح٣٧٨٠، صحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣١٤ ح٣٠٤٧.

(٥) في سننه ٢/ ٧٣ ح١٤٦٤؛ وابن حبان في صحيحه ٣/ ٤٣ ح٧٦٦. قال =

رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل، كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

باب

ما جاء في غرف الجنة ولمن هي

قال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾ الآية [الزمر: ٢٠]، وقال: ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥].

مسلم(١) عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين».

الترمذي(٢) عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها»، فقام إليه أعرابي، فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام».

فصل

اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف

= الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح أبي داود ١/ ٢٧٥ ح١٣٠٠.

(١) في صحيحه ٤/ ٢١٧٧ ح٢٨٣١.

(٢) في جامعه ٤/ ٦٧٣ ح٢٥٢٧؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٣٠ ح٣٣٩٧٢، حسّنه الألباني. انظر: صحيح الترمذي ٢/ ١٩٠ ح١٦١٦.

أصحابها في الأعمال، فبعضها أعلى من بعض، وأرفع.

وقوله: الغابر من المشرق أو المغرب: يروى: بالياء اسم فاعل من غار، وقد روى غير مسلم[١]: الغارب بتقديم الراء، والمعنى واحد. وروي: الغابر[٢]: بالباء، بواحدة، ومعناه الذاهب، أو الباقي، فإن غبر من الأضداد، يقال: غبر، إذا ذهب وغبر إذا بقي، ويعني به: أن الكوكب حالة طلوعه وغروبه، بعيد عن الأبصار، فيظهر صغيراً لبعده، وقد بيّنه بقوله: من المشرق أو المغرب. (وقد روي: العاير، بالعين المهملة والراء: البعيد)[٣]، ومعانيها كلها متقاربة، والحمد لله.

وقوله: «والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»، ولم يذكر عملاً ولا شيئاً سوى الإيمان والتصديق للمرسلين؛ ذلك ليعلم أنه غني عن الإيمان البالغ، وتصديق المرسلين من غير سؤال آية أو تلجلج، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذي للعامة، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين في أعالي الدرجات وأرفع الغرفات، وهذا محال، وقد قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥]. والصبر: بذل النفس والثبات له وقوفاً بين يديه بالقلوب عبودة، وهذه صفة المقربين، وقال في آية أخرى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾ [سبأ: ٣٧]، فذكر شأن الغرفة وأنها لا تنال بالأموال والأولاد وإنما تنال بالإيمان والعمل

---

(١) في صحيح البخاري ٥/ ٢٣٩٩ ح٦١٨٨؛ والترمذي في جامعه ٤/ ٦٩٠ ح٢٥٥٦.

(٢) رواها البخاري في صحيحه ٣/ ١١٨٨ ح٣٠٨٣؛ ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٧ ح٢٨٣٠.

(٣) هذا نص كلام النووي. انظر: شرح مسلم له ١٧/ ١٦٩.

الصالح، ثم بيّن لهم جزاء الضعف، وأن محلهم الغرفات، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة، وتعلق قلب به مطمئناً في كل ما نابه وبجميع أموره وأحكامه، وإذا عمل عملاً صالحاً فلا يخالط بضده، وهو الفاسد، فلا يكون العمل الصالح الذي لا يشوبه فاسد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا، فلهذا كانت منزلته دونه.

باب

ما جاء في قصور أهل الجنة ودورها وبيوتها وبمَ ينال ذلك المؤمن

الترمذي(١) عن بريدة بن خصيب رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال: «يا بلال، بِمَ سبقتني إلى الجنة؟ فما دخلت الجنة إلا وسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لرجل عربي، فقلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، فقلت: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، فقلت: أنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب رضي الله عنه»، فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث إلا توضأت عنده، ورأيت أن لله عليّ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: «بهما»، قال: حديث حسن صحيح.

وخرّج **الطبراني**(٢) أبو القاسم سليمان بن أحمد مختصراً من

---

(١) في جامعه ٥/ ٦٢٠ ح٣٦٨٩؛ وأحمد في مسنده ٥/ ٣٥٤ ح٢٣٠٤٦، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ٢٠٥ ح٢٩١٢.

(٢) في المعجم الأوسط ٩/ ١١٥ ح٩٢٨٥؛ والحديث أصله في الصحيحين: البخاري ٣/ ١١٨٥ ح٣٠٧٠؛ ومسلم ٤/ ١٨٦٢ ح٢٣٩٤.

حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب ﷺ».

وخرّج **أبو داود الطيالسي**[١] قال: ثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان قال: دفنتُ ابني سناناً وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر، فقال: حدثني الضحاك بن عبد الرحمن عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبض الله ﷻ ابن العبد قال للملائكة: ماذا قال عبدي؟ قالوا: حمدك، واسترجع، قال: ابنوا له بيتاً في الجنة، وسمّوه بيت الحمد».

باب

ما جاء في خيام الجنة وأسواقها وتعارف أهل الجنة

مسلم[٢] عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن».

في رواية[٣]: قال: «الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين».

وخرّج **مسلم**[٤] أيضاً عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثوا في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى

---

(١) في مسنده ص(٦٩) ح٥٠٨؛ والترمذي في جامعه ٣/ ٣٤١ ح١٠٢١؛ وأحمد في مسنده ٤/ ٤١٥ ح١٩٧٤٠، حسّنه الألباني.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢١٨٢ ح٢٨٣٨.

(٣) لمسلم ذكرت بنفس رقم الرواية السابقة.

(٤) في صحيحه ٤/٢١٧٨ ح٢٨٣٣.

أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً».

بَابٌ

أول الناس يسبق إلى الجنة الفقراء

الترمذي[١] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام»، خرّجه من حديث الأعمش سليمان عن عطية العوفي عن أبي سعيد، وقال فيه: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام: نصف يوم»[٢]، قال: هذا حديث حسن صحيح.

وفي طريق أخرى: «يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمسمائة عام»[٣]، وقال: حديث حسن صحيح.

الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً»، قال: هذا حديث حسن صحيح. وخرّجه[٤] من حديث أنس أيضاً، وقال فيه: حديث غريب.

---

(١) في جامعه ٤/ ٥٧٧ ح٢٣٥١؛ وابن ماجه في سننه ٢/ ١٣٨١ ح٤١٢٣، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٧٥ ح١٩١٦.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/ ٥٧٨ ح٢٣٥٣. قال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٧٥ ح١٩١٨.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/ ٥٧٨ ح٢٣٥٤. قال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٤) أي: الترمذي في جامعه ٤/ ٥٧٨ ح٢٣٥٥؛ والدارمي في سننه ٢/ ٤٣٧ =

وفي صحيح **مسلم**[١] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً».

فَصْلٌ

اختلاف هذه الأحاديث يدل على أن الفقراء مختلفو الأحوال، وكذلك الأغنياء، وقد تقدم[٢] من حديث أبي بكر بن أبي شيبة: «أول ثلاثة يدخلون الجنة»، ولا تعارض، والحمد لله، فإن الحديثين مختلفا المعنى، وقد اختلف في أي الفقراء هم السابقون، وفي مقدار المدة التي بها يسبقون، ويرتفع الخلاف عن الموضع الأول بأن يرد مطلق حديث أبي هريرة إلى مقيد روايته الأخرى، وكذلك حديث جابر يرد أيضاً إلى حديث عبد الله بن عمرو، ويكون المعنى فقراء المسلمين المهاجرين، إذ المدة فيهما أربعين[٣] خريفاً، ويبقى حديث أبي سعيد الخدري في المدة بخمسمائة عام، ووجه الجمع بينهما: أن يقال: إن سُبّاق الفقراء من المهاجرين يسبقون سُبّاق الأغنياء منهم بأربعين خريفاً، وغير سُبّاق الأغنياء بخمسمائة عام.

وقد قيل: إن حديث أبي هريرة وجابر يعم جميع فقراء قرون المسلمين، فيدخل الجنة سباق فقراء كل قرن قبل غير السبّاق من أغنيائهم بخمسمائة عام على حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقبل السبّاق بأربعين خريفاً على حديث جابر، والله أعلم.

= ح٢٨٤٤. قال الألباني: صحيح بلفظ: «فقراء المهاجرين». انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٧٥ ح١٩١٩.

(١) ٤/ ٢٢٨٥ ح٢٩٧٩. (٢) ص(٢٩٧).

(٣) هكذا في جميع النسخ، وتخرّج على تقدير نزع الخافض هكذا: إذ المدة فيهما مقدرة بأربعين خريفاً.

باب

الترمذي(١) عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله فينا، فقال: «أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، أما لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالطاعة، وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرّته حسنته، وساءته سيئته فذلكم المؤمن. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

باب

ما جاء في صفة أهل الجنة ومراتبهم وسنّهم وطولهم وشبابهم وعرقهم وثيابهم وأمشاطهم ومجامرهم وأزواجهم، وليس في الجنة عزب

مسلم(٢) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة»، وفي رواية: «من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة»(٣)، وفي رواية: «ثم هم بعد هذا منازل لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب»(٤)، وفي رواية: «الفضة، ورشحهم

---

(١) في جامعه ٤/ ٢٦٥ ح٢١٦٥؛ والحاكم في مستدركه ١/ ١٩٨ ح٣٨٩، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٣٢ ح١٧٥٨.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢١٧٨ ح٢٨٣٤.

(٣) رواها مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٩ ح٢٨٣٤.

(٤) رواها مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٩ ح٢٨٣٤.

المسك، ومجامرهم الألوَّة، وأزواجهم الحور العين»[١].

وفي رواية: «لكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً»[٢].

قال أبو علي: الألوة: هو العود.

وفي رواية: «على صورة أبيهم ستون ذراعاً، في السماء»[٣].

(وقال أبو كريب: على خلق رجل.

فقال أبو هريرة ﵁ حين تذاكروا الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فقال: لكل رجل منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقيها من وراء اللحم، وما في الجنة عزب[٤])[٥].

البخاري[٦] عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها».

الترمذي[٧] عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم»، قال: حديث غريب.

---

(١) رواها مسلم ٤/ ٢١٨٠ ح٢٨٣٤.
(٢) أخرجها مسلم وهي بنفس رقم الرواية السابقة.
(٣) رواها مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٩ ح٢٨٣٤.
(٤) في (مسلم): أعزب.
(٥) مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٩.
(٦) في صحيحه ٣/ ١٠٢٩ ح٢٦٤٣.
(٧) في جامعه ٤/ ٦٧٩ ح٢٥٣٩، حسّنه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٣ ح٢٠٦٢.

وخرّج[١] عنه[٢] أيضاً عن عبد الرحمٰن بن غنم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاثين ـ أو ثلاث وثلاثين ـ سنة». قال: حديث غريب. (وروي عن قتادة مرسلاً)[٣].

الترمذي[٤] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السمٰوات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم»، قال: حديث غريب.

باب

ما جاء أن في الجنة أكلاً وشرباً ونكاحاً حقيقة ولا قذر فيها ولا نقص

مسلم[٥] عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون»، فقالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشاء أو رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد»، وفي رواية: «والتكبير كما يلهمون النفس»[٦].

الترمذي[٧] عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يعطى المؤمن في

---

(١) أي: الترمذي في جامعه ٤/ ٦٨٢، ح٢٥٤٥، حسّنه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٤ ح٢٠٦٤.

(٢) أي: عن شهر بن حوشب.

(٣) هذا نص كلام الترمذي جامعه.

(٤) في جامعه ٤/ ٦٧٨ ح٢٥٣٨؛ وأحمد في مسنده ١/ ١٦٩ ح١٤٤٩؛ والطبراني في الأوسط ٨/ ٢٦٣ ح٨٨٨٠، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٣ ح٢٠٦١.

(٥) في صحيحه ٤/ ٢١٨٠ ح٢٨٣٥.

(٦) في مسلم ٤/ ٢١٨١ ح٢٨٣٥.

(٧) في جامعه ٤/ ٦٧٧ ح٢٥٣٦؛ والطبراني في الأوسط ٣/ ٧٢ ح٢٥١٧، حسّنه =

الجنة قوة كذا وكذا في الجماع»، قيل: يا رسول الله، أو يطيق ذلك؟ قال: «يعطى قوة مائة». وفي الباب عن زيد بن أرقم، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح[(١)].

وذكر **الدارمي** في مسنده[(٢)] عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة»، فقال رجل من اليهود: إن الذي يأكل ويشرب تكون منه الحاجة، قال: «ثم يفيض من جلده عرق فإذا بطنه قد ضمر».

باب

المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنّه في ساعة واحدة

الترمذي[(٣)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنّه في ساعة كما يشتهي»، قال: حديث حسن غريب.

أخرجه **ابن ماجه**[(٤)] وقال: «في ساعة واحدة».

= الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٣١٣ ح٢٠٥٩.

(١) في (الترمذي): صحيح غريب.

(٢) في سننه ٢/٤٣١ ح٢٨٢٥؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/٤٤٣ ح٧٤٢٤؛ وأحمد في مسنده ٤/٣٦٧ ح١٩٢٨٨.

(٣) في جامعه ٤/٦٩٥ ح٢٥٦٣، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٣١٨ ح٢٠٧٧.

(٤) في سننه ٢/١٤٥٢ ح٤٣٣٨، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/٤٣٧ ح٣٥٠٠.

قال الترمذي[١]: «وقد اختلف أهل العلم في هذا، فقال بعضهم: في الجنة جماع، ولا يكون ولد، هكذا يروى عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي رضي الله عنهم.

وقال محمد: قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي ﷺ: «إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهي، ولكن لا يشتهي».

وقد روي عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد»[٢].

باب

ما جاء أن كل ما في الجنة لا يبلى ولا يفنى ولا يبيد

مسلم[٣] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»[٤].

* * *

(١) في جامعه ٤/ ٦٩٥.
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/ ٦٩٥ ح٢٥٦٣.
(٣) في صحيحه ٤/ ٢١٨٢ ح٢٨٣٧.
(٤) أخرجها مسلم أيضاً في صحيحه ٤/ ٢١٨١ ح٢٨٣٦.

باب

ما جاء أن المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا في الدنيا

أخرجه **الترمذي**[١] أيضاً عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، خرّجه **ابن ماجه**[٢] أيضاً.

باب

ما جاء في طير الجنة وإبلها

الترمذي[٣] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ قال: «ذاك نهر أعطانيه الله، ـ يعني في الجنة ـ أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجُزُرَ»[٤]، فقال عمر رضي الله عنه: إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «أكلها أنعم منها»[٥] قال: هذا حديث حسن.

وخرّج **مسلم**[٦] عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل

---

(١) في جامعه ٣/ ٤٧٦ ح١١٧٤، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ١/ ٣٤٣ ح٩٣٧.

(٢) في سننه ١/ ٦٤٩ ح٢٠١٤؛ وأحمد في مسنده ٥/ ٢٤٢ ح٢٢١٥٤.

(٣) في جامعه ٤/ ٦٨٠ ح٢٥٤٢؛ وأحمد في مسنده ٣/ ٢٣٦ ح١٣٥٠٠. قال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٤ ح٢٠٦٣.

(٤) الجزر: البعير ذكراً كان أو أنثى. النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٦٦.

(٥) في (الترمذي وأحمد): أكلتها أنعم منها.

(٦) في صحيحه ٣/ ١٥٠٥ ح١٨٩٢.

بناقة مخطومة[١]، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطومة».

باب

ما جاء أن للجنة ربضاً وريحاً وكلاماً

البيهقي[٢] عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله تعالى جنة عدن وغرس أشجارها بيده، قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون»، خرّجه **البزار**[٣] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال: فطوبى لك منزل الملوك»، وهذا يروى موقوفاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما خلق الله الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة وغرسها، قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فدخلها الملائكة، فقالت: طوبى لك منزل الملوك.

النسائي[٤] عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) في النهاية في غريب الحديث ٢/ ٥٠: خِطَام البعير أن يُؤخذ حَبْل من ليف، أو شَعر، فيَجْعَل في أَحَد طَرَفيه حَلْقة، ثم يُشَدّ فيه الطرف الآخر حتى يَصِير كالحلْقة، ثم يُقَاد البَعير، ثم يُثَنَّى على مَخْطِمه، وأما الذي يُجْعل في الأنف دَقِيقاً فهو الزِّمام.

(٢) رواه الطبراني في الكبير ١١/ ١٨٤ ح١١٤٣٩؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٤ ح٣٤٠٨٧.

(٣) لم أجده في مسند البزار، ورواه الطبراني في الأوسط ٤/ ٩٩ ح٣٧٠١. قال الهيثمي: رواه البزار مرفوعاً وموقوفاً، والطبراني في الأوسط، ورجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف. مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٧.

(٤) في المجتبى من السنن له ٦/ ٢١ ح٣١٣٣؛ والبزار في مسنده ٩/ ٢٠٨ ح٣٧٥٤؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٧٢ ح١١٧٥، صحّحه الألباني. =

يقول: «أنا زعيم، والزعيم الحميل، لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله تعالى ببيت في ربض[١] الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً، يموت حيث يشاء أن يموت».

وخرّج **أبو داود**[٢] **والترمذي**[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً»، لفظ الترمذي، وقال: وفي الباب عن أبي بكرة، قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

وخرّجه **البخاري**[٤] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً».

بَابٌ

ما جاء إن في الجنة قيعاناً وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله

الترمذي[٥] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

= انظر: صحيح سنن النسائي ٢/ ٦٥٦ ـ ٦٥٧ ح٢٩٣٦.
(١) الربض: الأسفل. انظر: فتح الباري ١٣/ ١٨١.
(٢) في سننه ٣/ ٨٣ ح٢٧٦٠.
(٣) في جامعه ٤/ ٢٠ ح١٤٠٣، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٥٧ ـ ٥٨ ح١١٣٢.
(٤) في صحيحه ٣/ ١١٥٥ ح٢٩٩٥.
(٥) في جامعه ٥/ ٥١٠ ح٣٤٦٢، حسّنه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٦٠ ح٢٧٥٥.

«لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أُسْرِيَ بي، فقال: يا محمد اقرأ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر». وفي الباب عن أبي أيوب، وهذا حديث حسن غريب.

ابن ماجه[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ به وهو يغرس غرساً، فقال: «يا أبا هريرة ما التي تغرس؟» قال: غرساً، قال: «ألا أدلك على غراس خير من هذا؟ سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر، تغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة».

الترمذي[٢] عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

باب

ما جاء لأدنى أهل الجنة منزلة وأعلاهم

مسلم[٣] عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سأل موسى عليه السلام ربه فقال: يا رب ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يأتي بعدما يدخل أهل الجنة الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا، فيقول: رضيت ربي، فيقول: لك

---

(١) في سننه ٥/ ١٢٥١ ح٣٨٠٧، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٢٠ ح٣٠٦٩.

(٢) في جامعه ٥/ ٥١١ ح٣٤٦٤، صحّحه الألباني. انظر: صحيح الترمذي ٣/ ١٦٠ ح٢٧٥٧.

(٣) في صحيحه ١/ ١٧٦ ح١٨٩.

ذلك ومثله معه، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربي، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهيت نفسك، وقرت[١] عينك، فيقول: رضيت ربي، قال: ربّ فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]».

البخاري[٢] عن عبد الله هو ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً من النار رجل يخرج حبواً، فيقول له ربه: ادخل الجنة، فيقول: رب الجنة ملأى، فيقول له ذلك ثلاث مرات، كل ذلك يعيد عليه: الجنة ملأى، فيقول: إن لك مثل الدنيا عشر مرات».

باب

رضوان الله تعالى لأهل الجنة أفضل من الجنة

البخاري[٣] عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب أي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»، خرّجه **مسلم**[٤] بمعناه في حديث فيه طول.

---

(١) في (مسلم): ولذت.

(٢) في صحيحه ٦/ ٢٧٢٨ ح٧٠٧٣.

(٣) في صحيحه ٦/ ٧٣٢ ح٧٠٨٠.

(٤) في صحيحه ٤/ ٢١٧٦ ح٢٨٢٩.

بَابٌ

رؤية أهل الجنة لله تعالى أحب إليهم مما هو فيه وأقرّ لأعينهم

مسلم[(١)] عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل».

وفي رواية[(٢)]: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

بَابٌ مِنهُ

في الرؤية

مسلم[(٣)] عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

وعن جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا»، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، أخرجه البخاري[(٤)]، ومسلم[(٥)]، وأبو داود[(٦)]، والترمذي[(٧)]، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

---

(١) في صحيحه ١/ ١٦٣ ح١٨١.
(٢) في صحيح مسلم برقم الرواية السابقة.
(٣) في صحيحه ١/ ١٦٣ ح١٨٠.
(٤) في صحيحه ٤/ ١٨٣٦ ح٤٥٧٠.
(٥) في صحيحه ١/ ٤٣٩ ح٦٣٣.
(٦) في سننه ٤/ ٢٣٣ ح٤٧٢٩.
(٧) في جامعه ٤/ ٦٨٧ ح٦٥٥١.

وخرّج **أبو داود**[١] عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أكلّنا يرى الله مخلياً به يوم القيامة؟ قال: «نعم»، قلت: وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخلياً به؟ قلت: بلى، قال: «فالله أعظم»، قال: «إنما هو خلق من خلق الله ـ يعني القمر ـ فالله أجل وأعظم».

باب

نُبَذٌ من أقوال العلماء في تفسير كلمات وآيات من القرآن وردت في ذكر الجنة وأهلها

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال ابن عباس[٢] رضي الله عنهما: إن أول ما يدخل أهل الجنة، الجنة، تعرض عليهم عينان، فيشربون من إحدى العينين، فيذهب الله تعالى ما في قلوبهم من غلٍّ، ثم يدخلون العين الأخرى، فيغتسلون منها، فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم.

وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، قال: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فيشربون من إحداهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم، ولا تشتعث أشعارهم أبداً، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى، ثم تستقبلهم خزنة الجنة فتقول لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣][٣].

---

(١) في سننه ٤/ ٢٣٤ ح٤٧٣١، حسّنه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود له ٣/ ٨٩٦ ح٣٩٥٧.

(٢) ذكر قوله ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢٠٠.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره عن علي رضي الله عنه ٨/ ١٨٤٨.

وذكره **ابن المبارك**[١] قال: أخبرنا معمر عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه أنه تلا هذه الآية: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، وجدوا عند باب الجنة شجرة يخرج من ساقها عينان، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها، فاغتسلوا منها، فلم تشعث رؤوسهم أبداً[٢]، ولم تغير جلودهم بعدها أبداً، كأنما دهنوا بالدهن، ثم عمدوا إلى الأخرى فشربوا منها فطهرت أجوافهم، وغسلت كل قذر فيها وتتلقاهم الملائكة خزنة الجنة على كل باب من أبواب الجنة، فتقول لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، ثم يتلقاهم الولدان يطوفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم، يجيء من الغيبة يقولون: أبشر أعدّ الله لك كذا وكذا[٣]، ثم يذهب الغلام منهم إلى الزوجة من أزواجه[٤] فيقولون: قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى في الدنيا، فتقول له: أنت رأيته؟ فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة الباب ثم يرجع فينظر إلى تأسيس بنيانه من جندل اللؤلؤ أخضر وأصفر وأحمر من كل لون، ثم يجلس فينظر، فإذا زرابي مبثوبة وأكواب موضوعة، ثم يرفع رأسه إلى سقف[٥] بنيانه، فلولا أن الله تعالى قدره له لألم أن يذهب بصره، إنما هو مثل البرق، ثم يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٣].

وقيل: إن الجنان أربع لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ

---

(١) في الزهد له ص(٥٠٩ ـ ٥١٠).
(٢) في (الزهد): فلم تشعث أشعارهم أبداً.
(٣) (أبشر أعدّ الله لك كذا وكذا): ليست في (الزهد).
(٤) في (الزهد): من أزواجه من الحور العين.
(٥) في (الزهد): ثم يرفع طرفه إلى سقفه.

جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، وقال بعد ذلك: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٦٢]، ولم يذكر سوى هذه الأربع جنة خامسة، فإن قيل: فقد قال: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٥]، قيل: جنة المأوى اسم لجميع الجنان يدل عليه أنه قال: ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٩]. والجنة اسم الجنس، فمرة يقال: جنة، ومرة يقال: جنات، وكذلك جنة عدن وجنات عدن؛ لأن العدن الإقامة، وكلها دار للإقامة كما أن كلها دار المؤمنين، وكذلك دار الخلد ودار السلام؛ لأن جميعها الخلود والسلامة من كل خوف وحزن، وكذلك جنات النعيم وجنة نعيم؛ لأن كلها مشحونة بأصناف النعيم، ذكره الحليمي في كتاب منهاج الدين، له[١]، وقال[٢]: إن ما منعنا أن نجعل لكل واحدة من العدن والمأوى والنعيم جنة سوى الأخرى؛ لأن الله تعالى إن كان سمى شيئاً من هذه الأشياء جنة في موضع فقد سمى الجنات كلها بذلك الاسم في موضع آخر، فعلمنا أن هذه الأسماء ليست لتمييز جنة من جنة؛ ولكنها للجنان أجمع لا سيما وقد أتى الله بذكر العدد فلم يثبت إلا أربعاً، وقد أثبت لهذه الجنات أبواباً فقال: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن أبواب الجنة ثمانية» فيحتمل أن يكون ذلك؛ لأن لكل جنة من الجنان الأربع بابين، ووصف أهل الجنة وصنفهم صنفين أحدهما السابقون المقربون، والآخرون أصحاب اليمين، فعلمنا أن السابقين أهل الجنة العليين في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، وأهل اليمين أهل الجنة الدنيين في قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ وبهذا جاءت الروايات، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ إلى

(١) ١/ ٤٧٤.
(٢) الحليمي أيضاً في المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥.

قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ قال: فتانك للمقربين، وهاتان لأصحاب اليمين، وعن أبي موسى الأشعري نحو ذلك، قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١].

وأساور جمع أسورة، وأسورة: واحدها سوار، وفيه لغات ثلاث: ضم السين، وكسرها، وأساور.

قال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة إذ هم ملوك، قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١]، وقال: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ﴾ [الإنسان: ٢١] الإستبرق: الديباج الصفيق الكثيف، والسندس: الخفيف الرقيق. وخص الأخضر؛ لأنه الموافق للبصر؛ لأن البياض يبدد النظر ويؤلم، والسواد يورم، والخضرة لون بين البياض السواد، وذلك يجمع الشعاع والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: الأرائك جمع أريكة: وهي السرر في الحجال، وقال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الرجل من أهل الجنة ليعانق الحوراء سبعين سنة لا يملها ولا تمله، كلما أتاها وجدها بكراً، وكلما رجعت إليه عادت إليه شهوته فيجامعها بقوة سبعين رجلاً، لا يكون بينهما مَنِيّ، يأتي من غير مَنِيّ منه ولا منها[1].

وقال المسيب بن شريك رضي الله عنه قال النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٦]، قال: «هن عجائز الدنيا أنشأهن الله خلقاً جديداً، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن

(١) أورده المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٢٨٩؛ وابن كثير في تفسيره ٢/ ١٥٠.

أبكاراً»، فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك قالت: واوجعاه، فقال النبي ﷺ: «ليس هناك وجع»[١].

وقال: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤]، الحور: البيض في قول قتادة[٢] والعامة، العين: العظام العيون.

وقال قتادة[٣] في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ﴾ [يس: ٥٥] يعني في الآخرة في شغل يعني افتضاض العذارى فاكهون[٤]. قال الحسن: مسرورون[٥]. ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: ٥٦]، قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ [الصافات: ٤١] فيه قولان:

أحدهما: حين يشتهونه، قاله مقاتل[٦].

الثاني: بمقدار الغداة والعشي، قاله ابن السائب[٧].

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، قال العلماء[٨]: ليس في الجنة ليل ولا نهار وهو في نور أبداً، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب. ذكره أبو الفرج ابن الجوزي[٩].

---

(١) ذكر الطبري نحوه عدة روايات في تفسيره ٢٧/١٨٦.
(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٢٣/٥٧.
(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٢٦.
(٤) ذكره الطبري عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ٢٣/١٨.
(٥) ذكره ابن الجوزي عن الحسن في زاد المسير ٨/٥٦.
(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٥٦.
(٧) لم أقف على من ذكر قوله.
(٨) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/١٠٢.
(٩) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/٢٤٨.

قوله تعالى: ﴿فَوَٰكِهُ﴾: فواكه جمع فاكهة، قال الله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الطور: ٢٢]، وهي الثمار كلها رطبها ويابسها، قاله ابن عباس، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ [الإنسان: ١٤] يعني ظلال الشجر، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي: ذللت ثمارها يتناولها منها كيف شاءوا إن قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلت إليه، وإن اضطجع تدلت إليه حتى ينالها.

وذكره **ابن المبارك**(١) أخبرنا شريك عن أبي إسحاق عن البراء ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ قال: أهل الجنة يأكلون الثمار في الشجر كيف شاءوا جلوساً ومضطجعين، وكيف شاءوا، وواحد القطوف قِطف بكسر القاف.

قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١].

قال المفسرون: يطوف على أدناهم منزلة سبعون ألف خادم بسبعين ألف صحفة من ذهب يغدى عليها بها في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضاً يراح عليه بمثلها ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبع مائة ألف غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها ألوان من الطعام ليس في صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضاً، وأكواب، أي يطاف عليهم بأكواب كما قال: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الإنسان: ١٥].

قال قتادة: الكوب: المدور القصير العنق القصير العروة، والإبريق: المستطيل الطويل العنق الطويل العروة(٢).

---

(١) في الزهد (الزوائد) ص(٦٧) ح٢٣٠. (٢) انظر: تفسير الطبري ٢٧/ ١٧٤.

وقال ابن عزيز[١]: أكواب: أباريق لا عرى له ولا خراطيم، واحدها: كوب، وقاله الأخفش وقطرب.

وقال الجوهري في الصحاح[٢]: الكوب كوز لا عروة له ونحوه.

قال مجاهد[٣] والسدي[٤]: وهو مذهب أهل اللغة أنها التي لا آذان لها ولا عرى، ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا﴾ [الإنسان: ١٥ ـ ١٦] أي: اجتمع فيها صفاء القوارير مع بياض الفضة وذلك أن لكل قوم من تراب أرضهم قوارير، وأن تراب الجنة فضة فهو قوارير من فضة قاله ابن عباس[٥]، وقال: هي في صفة الفضة، وفي ذلك دليل على أن أرض الجنة من فضة؛ إذ المعهود في الدنيا اتخاذ الآنية من الأرض، يرى باطنها من ظاهرها، وظاهرها من باطنها كالقوارير يرى الشراب من وراء جدر القوارير، وهذا لا يكون في فضة الدنيا.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦] قال ابن عباس[٦] ومجاهد[٧]: أتوا بها على قدر رتبهم بغير زيادة ولا نقصان، والمعنى قدّرتها الملائكة التي تطوف عليهم، ويسقون فيها كأساً، أي: من كأس كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ [الإنسان: ٥] يعني الخمر، قال: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الصافات: ٤٥] أي: خمر، والمعين: الماء الجاري الظاهر ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أي: لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها صداع، ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧]، أي: لا تذهب

---

(١) له غريب القرآن، لم أقف عليه. (٢) ١/ ٢١٥.

(٣) ذكر قوله الطبري في تفسيره ٢٩/ ٢١٥.

(٤) ذكر قوله الطبري في تفسيره ٢٥/ ٩٦ ـ ٩٧.

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/ ١٧٠.

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤/ ٤٥٧.

(٧) ذكره الطبري في تفسيره ٢٩/ ٢١٧.

عقولهم بشربها، يقال: الخمر: غول للحلم، الحرب غول للنفوس، أي: تذهب بها.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿يُنزِفُونَ﴾ بكسر الزاي[1] من أنزف القوم إذا حان منهم النزف وهو السكر كما يقال: أحصد الزرع إذا حان حصاده، وأقطف الكرم إذا حان قطافه، وأركب المهر إذا حان ركوبه.

وقيل: المعنى لا ينزفون شرابهم، لأنه دأبهم، والكأس عند أهل اللغة: اسم شامل لكل إناء مع شرابه، فإن كان فارغاً فليس بكأس، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] قال الكلبي: كافوراً عيناً في الجنة يشرب بها أي منها[2].

وقيل: الباء زائدة والمعنى: يشربها ومنه ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] أي: تنبت الدهن.

وقال تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧] وكانت العرب تستطيب الزنجبيل، وتضرب به المثل، وبالخمر ممتزجين فخاطبهم الله بما كانوا يعرفون ويستحبون كأنه يقول: لكم في الآخرة مثل ما تستحبون في الدنيا إن آمنتم ﴿عَيۡنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان: ١٨]، السلسبيل: اسم العين، والسلسبيل في اللغة: صفة لما كان غاية في السلاسة.

وقال تعالى: ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخۡتُومٍ ۝٢٥﴾ [المطففين: ٢٥]، يعني: الشراب، وهو الخمر مختوم ختامه مسك.

وقيل: المعنى إذا شربوا هذا الرحيق ففني ما في الكأس وانقطع الختم ذلك بطعم المسك[3].

---

(١) ذكر قراءتهما صاحب إتحاف فضلاء البشر ص(٣٦٩).
(٢) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/ ١٦٥.
(٣) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/ ٢٣٠.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾: خلطه ليس بخاتم يختم، ألم تر إلى قول المرأة من نسائكم أن خلطه من الطيب كذا وكذا، إنما خلطه مسك ليس بخاتم يختم، ذكره **ابن المبارك**(١) وابن وهب واللفظ لابن وهب.

وذكر **ابن المبارك**(٢) عن أبي الدرداء رضي الله عنه ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل فيه يده ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها.

﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، أي: في الدنيا بالأعمال الصالحة.

قال: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ [المطففين: ٢٧]، أي: ومزاج ذلك الشراب من تسنيم.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٨]، قال قتادة: يشرب بها المقربون صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة(٣)، وتسنيم أشرف شراب في الجنة، وأصل التسنيم في اللغة: الارتفاع فهي عين ماء يجري من علو إلى أسفل.

ومنه: سنام البعير: لعلوه من بدنه، وكذلك تسنيم القبور، وقد تسنم العيون والمياه، وشرف عليهم تجري من أعلا العرش.

والأبرار هم الصادقون، والمقربون هم الصدِّيقون.

قال الحسن(٤): خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن.

---

(١) في الزهد (الزوائد) ص(٧٨) ح٢٧٧؛ والطبراني في الكبير ٩/٢١٩ ح٩٠٦٢.
(٢) في الزهد (الزوائد) ص(٧٨) ح٢٧٦.
(٣) حكاه الماوردي في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه ٦/٢٣١.
(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٤/٢٧.

وفي التنزيل: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الصافات: ٤٥ ـ ٤٦] أي لذيذة، يقال: شراب لذّ إذا كان طيباً.

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الصافات: ٤٨]، أي نساء قد قصر طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم.

قال ابن زيد: إن المرأة منهن لتقول لزوجها: وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك(١).

﴿عِينٌ﴾ عظام العيون الواحدة منهن عيناً ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٩] أي: مصون.

وقال الحسن(٢) وابن زيد(٣): شبههن ببيض النعام تكنها النعامة بريشها من الريح والغبار، فلونه أبيض في صفرة وهو أحسن ألوان النساء.

وقيل: المراد بالبيض: اللؤلؤ(٤) كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة: ٢٢ ـ ٢٣] أي في أصدافه.

وقال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٠] يعني النساء الواحدة خيرة وأصله خيِّرات فخفف: كهيّن وليّن.

ابن المبارك(٥) حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن عامر قال: لو أن خيرة من خيرات حسان اطلعت من السماء لأضاءت لها، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولنصيف تكساه خيرة خير من الدنيا وما فيها.

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٢٧/ ١٥٠. (٢) ذكره الماوردي في تفسيره ٥/ ٤٨.
(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٢٣/ ٥٧.
(٤) حكاه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٥٧ عن ابن عباس.
(٥) في الزهد (الزوائد) ص(٧٤) ح٢٦١.

النصيف: القناع، وقوله: حسان، أي حسان الخلق، وإذا قال الله تعالى: ﴿حِسَانٍ﴾ فمن يقدر أن يصف حسنهن، جواري بيض مقصورات أي محبوسات في الخيام: جمع خيمة.

وقال ابن عباس: الخيمة درّة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب، ذكره ابن المبارك[1]، أخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس.

وذكر عن أبي الدرداء قال: الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلها در[2].

وعن أبي الأحوص ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٢] قال: بلغنا في الرواية: أن سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطىء الأنهار سعتها أربعون ميلاً، وليس لها باب حتى إذا حلّ ولي الله تعالى بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها، فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين، والله أعلم.

والرفرف[3]: المحابس[4] قاله قتادة[5].

---

(١) في الزهد (الزوائد) ص(٧١ - ٧٢) ح٢٤٩؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤١ ح٣٤٠٥٨.

(٢) ذكره ابن المبارك في الزهد ١/ ٧٢ ح٢٥٠؛ وابن أبي عاصم في الزهد له ٢٧/ ١٦٤.

(٣) الرَّفْرَفُ: ثياب خضر يتخذ منها المحابس. مختار الصحاح ١/ ١٠٥.

(٤) المِحْبَسُ: المِقْرَمَةُ يعني السِّتْرَ، وقد حَبَسَ الفِراشَ بالمِحْبَس، وهي المِقْرَمَةُ التي تبسط على وجه الفِراشِ للنوم. لسان العرب ٦/ ٤٤.

(٥) ذكره الطبري في تفسيره ٢٧/ ١٦٤.

وقيل: فضول المحابس[(١)].

وقال أبو عبيد: الرفرف: الفرش[(٢)].

وعن يحيى بن أبي كثير[(٣)] في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾، قال: الروضة: اللذة والسماع. قوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٧٦] العبقري: الفرش، قاله ابن عباس رضي الله عنه، الواحدة عبقرة وهي النمارق أيضاً في قوله: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾ [الغاشية: ١٥] والزرابي البسط مبثوثة معناه: مبسوطة، وقيل: أي منسوجة بالدر والياقوت، قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الواقعة: ٢٧] يعني أهل الجنة من غير السابقين، وأصحاب الجنة كلهم أصحاب يمين ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الواقعة: ٢٨] الذي نزع شوكه، ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الواقعة: ٢٩] أي بعضه على بعض، وقال المفسرون: الطلح شجر الموز ها هنا، وهو عند العرب شجر حسن اللون لخضرته، وإنما خص بالذكر؛ لأن قريشاً كانوا يعجبون من وج[(٤)] وكثرة ظلاله من طلح وسدر فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله، قاله مجاهد وغيره.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، قال مجاهد: مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمني والولد ذكره **ابن المبارك**[(٥)]، أخبره أبو جريج عن مجاهد... فذكره.

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٢٧/ ١٦٤؛ والماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٤٣ عن ابن عباس.

(٢) ذكره في مجاز القرآن له ٢/ ٢٤٦.

(٣) أبو نصر الطائي، اختلف في اسم أبيه فقيل: صالح، وقيل: يسار، روى عن أبي أمامة الباهلي، روى عنه الأوزاعي، مات سنة ١٢٩هـ. السير ٦/ ٢٧.

(٤) وج: وادٍ مشهور بالطائف.

(٥) في الزهد (الزوائد) ص(٧١) ح٢٤٣.

﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، أي: باقون لا خروج لهم منها.

وقال مجاهد أيضاً في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] قال: (لا ينظر بعضهم في قفا بعض تواصلاً وتحاباً)[١].

وقيل: الأسرَّة تدور كيف شاءوا، فلا يرى أحد قفا أحد.

بَابٌ مِنهُ

وفي ثواب من قدّم ولداً

مسلم[٢] عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة رضي الله عنه: إنه مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، «صغارهم دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه، ـ أو قال: أبويه ـ فيأخذ بثوبه، ـ أو قال: بيده ـ كما آخذ أنا بصَنِفة[٣] ثوبك هذا، فلا يتناهى ـ أو قال: ولا ينتهي ـ حتى يدخله الله وأبويه[٤] الجنة».

وخرج أبو داود **الطيالسي**[٥] قال: حدثنا شعيب عن معاوية بن قرة عن أبيه أن النبي ﷺ كان يختلف إليه رجل من الأنصار معه ابن له، فقال له رسول الله ﷺ ذات يوم: «أتحبه يا فلان؟ فقال: نعم يا رسول الله، أحبك الله كما أحبه، ففقده النبي ﷺ فسأل عنه فقالوا:

---

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره ٢٧/١٧٣؛ وابن المبارك في الزهد ١/ ١٣٠ ح٤٣٤.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢٠٢٩ ح٢٦٣٥.

(٣) صَنِفة الإزار: طرفه مما يلي طرته. النهاية في غريب الحديث ٣/ ٥٦.

(٤) في (مسلم): وأباه.

(٥) في مسنده ص(١٤٥) ح١٠٧٥؛ والبزار في مسنده ٨/ ٢٤٢ ح٣٣٠٢؛ والطبراني في الكبير ١٩/ ٢٦ ح٥٤.

يا رسول الله مات ابنه، فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى - أو لا ترضى - أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا جاء يسعى حتى يفتحه لك؟ فقالوا: يا رسول الله أله وحده أم لكلنا؟ فقال رسول الله ﷺ: بل لكلكم»، ذكره أبو عمر في التمهيد[١] أيضاً، وقال: هذا حديث ثابت صحيح.

وخرج أبو داود **الطيالسي**[٢] أيضاً في مسنده قال: ثنا هشام عن قتادة عن راشد عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «والنفساء يجرها ولدها يوم القيامة بسرره إلى الجنة».

فَصْلٌ

هذا الباب يدل على أن صغار أولاد المؤمنين في الجنة، وهو قول أكثر أهل العلم.

قيل: وهو مقتضى ظاهر قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ كما تقدم، وقد ذكر بعض العلماء الخلاف فيهم، وهذا فيما عدا أولاد الأنبياء فإنه قد تقرر بالإجماع على أنهم في الجنة، حكاه أبو عبد الله المازري[٣].

ودعاميص: جمع دعموص، ويراد به: الآذن على الملوك

---

(١) ٦/ ٣٥١.

(٢) في مسنده ص(٧٩) ح٥٧٨؛ وأحمد في مسنده ٣/ ٤٨٩ ح١٦٠٤١؛ والطبراني في الأوسط ٩/ ١٢٥ ح٩٣١٤. قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ٥/ ٢٩٩.

(٣) محمد بن علي بن عمر التميمي، المازري، المالكي، مصنف كتاب المعلم بفوائد مسلم، حديث عنه القاضي عياض الذي ألّف كتاب إكمال المعلم بفوائد مسلم، توفي سنة ٥٣٦هـ. انظر: الديباج المذهب لابن فرحون المالكي ص(٢٧٩)؛ وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٠٤.

المصرف بين يديه، قال أمية بن أبي الصلت[1]:

دعموص أثواب الملوك وجانب للخرق فاتح

وفي صحيح **البخاري**[2] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجاباً من النار أو دخل الجنة».

قال المؤلف: قوله عليه الصلاة والسلام: «لم يبلغوا الحنث»، معناه عند أهل العلم: لم يبلغوا الحلم، ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث.

باب

ما جاء في نزل أهل الجنة وتحفتهم إذا دخلوها

روى **البخاري**[3] **ومسلم**[4] عن أبي سعيد الخدري ؓ عن النبي ﷺ قال: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة. قال: فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمٰن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى، قال: تكون الأرض خبزة واحدة ـ كما قال النبي ﷺ ـ قال: فنظر إلينا رسول الله ﷺ ثم ضحك حتى بدت نواجذه، قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: بلى، قال: إدامهم بالام ونون، قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً».

وخرّج **مسلم**[5]، عن ثوبان مولى رسول ﷺ قال: «كنت قاعداً

---

(١) في ديوانه ص(٣٤٨)، صنعة د. عبد الحفيظ السلطي، ط. الثانية.

(٢) في صحيحه ١/ ٤٦٤، ذكره البخاري في ترجمة باب ما قيل في أولاد المسلمين.

(٣) في صحيحه ٥/ ٢٣٨٩ ح٦١٥٥.

(٤) في صحيحه ٤/ ٢١٥١ ح٢٧٩٢.

(٥) في صحيحه ١/ ٢٥٢ ح٣١٥.

عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول: يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: أنفعك شيء إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: سل، فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: في الظلمة دون الجسر، قال: فمن أول الناس إجازة، قال: فقراء المهاجرين، فقال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد النون، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلاً، قال: صدقت...» وذكر الحديث.

فَصْلٌ

قلت: هذا الحديث انفرد به مسلم وهو أبين من الحديث الذي قبله؛ لأنه من قول النبي ﷺ جواباً لليهودي، والحديث الذي قبله آخره من قول اليهودي وهو يدخل في المسند لإقرار النبي ﷺ، ويكفؤها: يقلبها ويميلها، من قولك كفأت الإناء إذا كببته، أن أرض المحشر كقرصة النقي ليس فيها عَلَمٌ لأحد، والنزل: ما يعد للضيف من الطعام والشراب.

قال أهل اللغة: النزل: ما يهيأ للنزيل، والنزيل الضيف، قال الشاعر:

نزيل القوم أعظمهم حقوقاً وحق الله في حق النزيل

وحظ النزيل مجتمع، والتحفة ما يتحف به الإنسان من الفواكه والطرف محاسنة وملاطفة، وزيادة كبد النون قطعة منه كالإصبع، وبالام قد جاء مفسراً في متن الحديث أنه الثور، ولعل اللفظة عبرانية، والنون: الحوت وهو عربي، وفي الخبر عن النبي ﷺ قال: «سيد إدام الدنيا والآخرة اللحم»[١]، ذكره أبو عمر في التمهيد[٢].

❁ ❁ ❁

(١) رواه عبد الله بن مسلم بن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ١/ ٢٤٤.

(٢) لم أجده في التمهيد.



كتاب
الفتن والملاحم
وأشراط الساعة



أول أبواب الفتن

باب

الكف عمن قال: لا إله إلا الله

مسلم[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله».

باب

ما جاء أن المؤمن حرام دمه وماله وعرضه وفي تعظيم حرمته عند الله تعالى

ابن ماجه[٢] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا إن أحرم الأيام يومكم هذا، وإن أحرم الشهور شهركم هذا، وإن أحرم البلد بلدكم هذا، ألا وإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد»، أخرجه **مسلم** من حديث أبي بكرة[٣]

---

(١) في صحيحه ١/ ٥٢ ح٢١.

(٢) في سننه ٢/ ١٢٩٧ ح٣٩٣١؛ وأحمد في مسنده ٣/ ٨٠ ح١١٧٧٩؛ وفي مصباح الزجاجة ٤/ ٦٣ ـ ٦٤: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٣) في صحيح مسلم ٢/ ٨٨٦ ـ ٨٨٩ ح١٢١٦.

وجابر[١] بمعناه.

مسلم[٢] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه».

النسائي[٣] عن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا».

الترمذي[٤] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أشار على أخيه بحديدة لعنته الملائكة». قال: حديث حسن صحيح غريب.

بَابٌ
ما جاء في قتل المؤمن

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٦٩].

أبو داود[٥] عن أبي الدرداء ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) في صحيحه ٣/ ١٣٠٥ ح١٦٧٩. (٢) في صحيحه ٤/ ١٩٨٦ ح٢٥٦٤.

(٣) في المجتبى من السنن ٧/ ٨٣ ح٣٩٩٠. قال الألباني: حسن صحيح، صحيح النسائي ٣/ ٨٩٣ ح٣٧٢٥.

(٤) في جامعه ٤/ ٤٦٣ ح٢١٦٢؛ والحديث أصله في صحيح مسلم ٤/ ٢٠٢٠ ح٢٦١٦، صحّحه الألباني. انظر: صحيح جامع الترمذي ٢/ ٢٣١ ح١٧٥٥.

(٥) في سننه ٤/ ١٠٣ ح٤٢٧٠؛ والبزار في مسنده ٧/ ١٦٣ ح٢٧٣٠، صحّحه الألباني. انظر: صحيح أبي داود ٣/ ٨٠٤ ح٣٥٨٨.

يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو مؤمن قتل مؤمناً متعمداً».

وعنه(١) عن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال المؤمن مُعْنِقاً(٢) صالحاً ما لم يصب دماً حراماً، فإذا أصاب دماً حراماً بَلَحَ».

قال الهروي(٣): بَلَحَ: أي أعيا وانقطع به، يقال: بلح الفرس: إذا انقطع جريه، وبلحت الركية، إذا انقطع ماؤها.

باب

إقبال الفتن ونزولها كمواقع القطر والظلل ومن أين تجيء والتحذير منها وفضل العبادة عندها

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةً﴾، ففي هذا تنبيه بالغ على التحذير من الفتن.

مسلم(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا».

وعن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت: «خرج رسول الله ﷺ يوماً فزعاً محمراً وجهه يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرٍّ قد

---

(١) أي: عن أبي الدرداء، والحديث جزء من رواية أبي داود السابقة؛ والطبراني في الأوسط ٩/ ٩٥ ح٩٢٢٩.

(٢) قال الخطابي في غريب الحديث ١/ ٢٠٤: معنقاً مأخوذ من العنق وهو انبساط السير؛ وفي لسان العرب ١٠/ ٣٧٣: معنقاً: أي: مسرعاً في طاعته منبسطاً في عمله.

(٣) في الغريبين له ١/ ٢٠٩.

(٤) في صحيحه ١/ ١١٠ ح١١٨.

اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث»[(١)].

وعن أسامة[(٢)] رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال: هل ترون ما أرى؟ إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر»، أخرجه **البخاري**[(٣)].

مسلم[(٤)] عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: «استيقظ النبي ﷺ ليلة فزعاً يقول: سبحان الله ماذا فتح الليلة من الخزائن وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات يريد أزواجه لكي يصلين، رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة».

مسلم[(٥)] عن سالم بن عبد الله قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة؟ سمعت أبي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الفتنة تجيء من ها هنا ـ وأومأ بيده نحو المشرق ـ من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال له[(٦)]: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ١٢٢١ ح٣١٦٨؛ ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٨ ح٢٨٨٠ واللفظ متفق عليه.
(٢) أسامة بن زيد.
(٣) في صحيحه ٢/ ٨٧١ ح٢٣٣٥.
(٤) لم أجد الحديث في صحيح مسلم، وهو في صحيح البخاري ٥/ ٢٢٩٦ ح٥٨٦٤.
(٥) في صحيحه ٤/ ٢٢٢٩ ح٢٩٠٥.
(٦) في (مسلم): فقال له الله عز وجل.

وعن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: «العبادة في الهرج كهجرة إليّ»[١].

فَصْلٌ

قوله: «ويل للعرب من شر قد اقترب»، الويل: والمراد به هنا الحزن، قاله ابن عرفة[٢]، فأخبر عليه الصلاة والسلام بما يكون بعده من أمر العرب وما يستقبلهم من الويل والحرب، وقد وجد ذلك بما استؤثر عليهم به من الملك والدولة والأموال والإمارة، فصار ذلك في غيرهم من التُرك والعجم، وتشتتوا في البوادي بعد أن كان العز والملك والدنيا لهم ببركته ﷺ وما جاءهم به من الدين والإسلام، فلما لم يشكروا النعمة وكفروها بقتل بعضهم بعضاً وسلب بعضهم أموال بعض سلبها الله منهم ونقلها إلى غيرهم، كما قال: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

ولهذا لما قالت زينب في سياق الحديث: «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث».

فَصْلٌ

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: قولها «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث»، دليل على أن البلاء قد يرفع عن غير الصالحين إذا كثر الصالحون.

فأما إذا كثر المفسدون وقلّ الصالحون هلك المفسدون

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٦٨ ح٢٩٤٨.

(٢) علي بن محمد بن أحمد الجرجاني أبو الحسن، يعرف بابن عرفة، حدّث عن ابن عدي، بقي حتى حدود ٤٢٠هـ. السير ١٧/٤٢١.

والصالحون معهم إذا لم يأمروا بالمعروف ويكرهوا ما صنع المفسدون، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾، بل يعم شؤمها من تعاطاها ومن رضيها، هذا بفساده وهذا برضاه وإقراره.

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، و﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وهذا يوجب أن لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب، وقرىء «واتقوا فتنة لتصيبن[١] الذين ظلموا منكم خاصة»، وعلى هذه القراءة يكون المعنى: أنها تصيب الظالم خاصة، وهي قراءة علي وزيد بن ثابت وأُبيّ وابن مسعود.

فالجواب: أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على من رآه أن يغيره، [إما بيده فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه، ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبه قد أدّى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك. روى الأئمة[٢] عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضي بمنزلة العامل فانتظم في العقوبة.

---

(١) قرأ بها علي وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، والربيع بن أنس وأبو العالية. انظر: كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لأبي الفتح عثمان بن جني ١/ ٢/ ٧٧، دار سزكن للطباعة، ط. الثانية لسنة ١٤٠٦هـ.

(٢) الترمذي في جامعه ٤/ ٤٦٩ ح٢١٧٢؛ وأبو داود في سننه ١/ ٢٩٦ ح١١٤٠؛ والنسائي في المجتبى ٨/ ١١١ ح٥٠٠٨؛ وابن ماجه في سننه ١/ ٤٠٦ ح١٢٧٥.

دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

فإما إذا كره الصالحون ما صنع المفسدون وأخلصوا كراهيتهم لله تعالى وتبرءوا من ذلك حسب ما يلزمهم ويجب لله عليهم غير معتدين سلموا، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]، وقال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قد أخبرنا الله عز وجل عن هذين ولم يخبرنا عن الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ [الأعراف: ١٦٤].

وروى **أبو داود**(١) عن العرس بن عميرة الكندي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها، ـ وقال مرة: فأنكرها ـ كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها»، وهذا نص في الفرض.

وفي صحيح **الترمذي**(٢): «أن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب من عنده».

فالفتنة إذا عُمِلت هلك الكل، وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير، وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها، وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم كما في قصة السبت حين هجروا

---

(١) في سننه ٤/ ١٢٤ ح٤٣٤٥؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٨٤ ح٣٧٤٢٢، حسّنه الألباني. صحيح أبي داود ٣/ ٨٢٠ ح٣٦٥١.

(٢) ٤/ ١٢٤ ح٤٣٤٥؛ وأبو داود في سننه ٤/ ١٢٢ ح٤٣٣٨؛ وابن ماجه في سننه ٢/ ١٣٢٧ ح٤٠٠٥، صحّحه الألباني. انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٢٣٢ ح١٧٦١.

العاصين وقالوا: لا نساكنكم، وبهذا قال السلف ﷺ.

قال أبو الحسن القابسي: الذي يلزم الحق ويغضب لأمر الله تعالى على بيّنة من النجاة، قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله»(١).

قال أبو عمر: وروى أشهب بن عبد العزيز قال: قال مالك: لا ينبغي الإقامة في أرض يكون العمل فيها بغير الحق والسب للسلف.

قال أبو عمر: أما قول مالك هذا فمعناه: إذا وجد بلداً يعمل فيه بالحق في الأغلب.

وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: فلان بالمدينة وفلان بمكة وفلان باليمن وفلان بالعراق وفلان بالشام امتلأت الأرض والله جوراً وظلماً(٢).

قال أبو عمر(٣): فأين المهرب إلا إلى السكوت ولزوم البيوت والرضى بأقل قوت.

وكان سفيان الثوري يقول: هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين، هذا زمان ينتقل فيه الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن. ويحكى عنه أنه قال: والله ما أدري أي البلاد أسكن؟ فقيل له: خراسان، فقال: مذاهب مختلفة، وآراء فاسدة، فقيل له: الشام. قال: يشار إليك بالأصابع، أراد الشهرة، فقيل له: فالعراق، قال: بلد الجبابرة، فقيل له: فمكة، تذيب الكيس والبدن.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٥٢٣ ح١٩٢٠.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: التمهيد ١٧/ ٤٤٣.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي[1]: قال لي شيخي في العبادة: لا يذهب لك الزمان في مصاولة الأقران، ومواصلة الإخوان، ولم أر للخلاص شيئاً أقرب من طريقين: إما أن يغلق المرء على نفسه بابه، وإما أن يخرج إلى موضع لا يعرف فيه، فإن اضطر إلى مخالطة الناس فليكن معهم ببدنه وليفارقهم بقلبه ولسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، ولا يفارق السكوت. أنشدني محمد بن عبد الملك الصوفي قال: أنشدني أبو الفضل الجوهري: قال منصور بن الفقيه:

الخير أجمع في السكوت وفي ملازمة البيوت
فإذا استوى لك ذا وذا فاقنع له بأقل قوت

البيتان...

قال القاضي[2]: ولي في هذا المعنى شعر:

حاز السلامة مسلم يأوي إلى سكن وقوت
ماذا يؤمل بعدما يأوي إلى بيت وقيت

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولأبي سليمان الخطابي في هذا المعنى شعر:

أنست بوحدتي ولزمت بيتي فدام الأنس لي ونما السرور
وأدَّبني الزمان فلا أبالي هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما دمت حياً أسار الخيل أم ركب الأمير

«وكثرة الخبث»: ظهور الزنا، وأولاد الزنا.

---

(١) الذي يظهر أن أقوال ابن العربي هنا منقولة من كتابه سراج المريدين، وهو مخطوط ناقص وثقت منه بعض النصوص كما في المقدمة الدراسية من الأصل المحقق.
(٢) أي: ابن العربي.

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: فيكون إهلاك جميع الناس عند ظهور المنكر والإعلان بالمعاصي فيكون طهرة للمؤمنين ونقمة للفاسقين لقوله عليه الصلاة والسلام: «ثم بعثوا على نياتهم»[١]، وفي رواية: «أعمالهم»[٢].

فمن كانت نيته صالحة أثيب عليها ومن كانت نيته سيئة جوزي عليها، وفي التنزيل: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطارق: ٩]، فاعلمه.

بَابٌ

في رحى الإسلام ومتى تدور

أبو داود[٣] عن البراء بن ناجية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً، قال: قلت: أممّا بقي؟ قال: ممّا مضى».

فَصْلٌ

قال الهروي[٤] في تفسير هذا الحديث: قال الحربي: يروى: تزول، وكأن (تزول) أقرب؛ لأنها تزول عن ثبوتها واستقرارها وتدور يكون بما يحبون ويكرهون، فإن كان الصحيح سنة خمس فإن فيها قام أهل مصر وحصروا عثمان رضي الله عنه، وإن كانت الرواية سنة ست ففيها

---

(١) أخرجه البخاري ٢/ ٧٤٦ ح٢٠١٢؛ ومسلم ٤/ ٢٢١٠ ح٢٨٨٣ بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري ٦/ ٢٦٠٢ ح٦٦٩١؛ ومسلم ٤/ ٢٢٠٦ ح٢٨٧٩.

(٣) في سننه ٤/ ٩ ح٤٢٥٤؛ وأحمد في مسنده ١/ ٣٩٠ ح٣٧٠٧؛ والبزار في مسنده ٥/ ٣٢٣ ح١٩٤٢، صحّحه الألباني. انظر: صحيح أبي داود ٣/ ٨٠١ ح٣٥٧٨.

(٤) لم أهتد إلى موضع قوله من كتابه الغريبين.

خرج طلحة والزبير إلى الجمل، وإن كانت سنة سبع ففيها كانت صفين غفر الله لهم أجمعين.

وقال الخطابي(١): (يريد عليه الصلاة والسلام أن هذه المدة إذا انقضت حدث في الإسلام أمر عظيم يخاف على أهله ذلك الهلاك يقال للأمر إذا تغير واستحال: دارت رحاه، وهذا والله أعلم إشارة إلى انقضاء مدة الخلافة، وقوله: (يقم لهم دينهم): أي ملكهم وسلطانهم، وذلك من لدن بايع الحسن عليه السلام معاوية إلى انقضاء بني أمية من المشرق من نحو سبعين سنة وانتقاله إلى بني العباس، و(الدين): الملة والسلطان، ومنه قوله تعالى: ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦] أي في سلطانه).

وقوله: (تدور رحى الإسلام) دوران الرحى كناية عن الحرب والقتال، شبهها بالرحى الدوَّارة التي تطحن، ما يكون فيها من قبض الأرواح وهلاك الأنفس، والله أعلم.

بَابٌ
ما جاء أن عثمان رضي الله عنه لما قتل سل سيف الفتنة

هذه البلوى؛ الذي ثبت في الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ دخل حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: ائذن له وبشّره بالجنة، فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن، فسكت هنيهة، ثم قال: ائذن له وبشّره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا عثمان بن عفان»، لفظ **البخاري**(٢) ذكره في مناقب عثمان.

---

(١) ذكره الخطابي في غريب الحديث له ١/٥٤٩ ـ ٥٥١.

(٢) أخرجه في الصحيح ٣/١٣٥١ ح٣٤٩٢؛ ومسلم في صحيحه ٤/١٨٦٧ ح٢٤٠٣.

وقد قيل: إن الصحيح في مقتله ﷺ أنه لم يتعين له قاتل معين، بل أخلاط من الناس وهمج رعاع جاءوا من مصر، ومن غير قطر، وجاء الناس إلى عثمان فيهم عبد الله بن عمر متقلداً سيفه، وزيد بن ثابت، فقال له زيد بن ثابت: إن الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال: لا حاجة لي في ذلك كفُّوا، وكان معه في الدار الحسن والحسين، وابن عمر وعبد الله بن الزبير وأبو هريرة وعبد الله بن عامر بن ربيعة ومروان بن الحكم كلهم شاكٍ في السلاح، فعزم عليهم في وضع أسلحتهم وخروجهم ولزوم بيوتهم، فقال له ابن الزبير ومروان: نحن نعزم على أنفسنا أن لا نبرح، فضاق عثمان ﷺ من الحصار، ومنع الماء حتى أفطر على ماء البحر الملح[١].

قال الواقدي[٢]: حاصروه تسعة وأربعين يوماً[٣]، ففتح الباب فخرج الناس، وسلموا له راية في إسلام نفسه.

وقال سليط بن أبي سليط[٤]: نهانا الإمام عثمان عن قتالهم، ولو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها[٥].

ودخلوا عليه في أصلح الأقوال، وقتله من شاء الله من سفلة الرجال.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٦٧١.

(٢) محمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولاهم، أبو عبد الله، صاحب التصانيف والمغازي، مات سنة ٢٠٧هـ. السير ٩/ ٤٥٤.

(٣) ذكره الطبري في تاريخه ٢/ ٦٦٨.

(٤) قال البخاري: سليط بن سليط، سمع من عثمان بن عفان، روى عنه ابن سيرين، يعد في أهل الحجاز. التاريخ الكبير ٤/ ١٩٠ رقم ٢٤٤٤؛ ونقل ابن حبان في كتابه الثقات ٤/ ٣٤٢ رقم ٣٢٤٦ عبارة البخاري السابقة.

(٥) لم أقف على قوله.

وفي **الترمذي**(١) عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «يا عثمان لعل الله يقمصك قميصاً، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم»، قال: حديث حسن غريب.

وعن ابن عمر قال: ذكر النبي ﷺ فتنة، فقال: «تقتل فيها(٢) مظلوماً» لعثمان(٣)، فقال: حديث حسن غريب.

(واختلف في سنّه رضي الله عنه حين قتله من قتله من الفجار، أدخلهم الله بحبوحة النار.

فقيل: قتل وهو ابن ثمان وثمانين سنة.

وقيل: ابن تسعين سنة.

وقال قتادة: قتل عثمان وهو ابن ست وثمانين سنة، وقيل غير هذا)(٤).

وكانت خلافته إحدى عشرة سنة إلا أياماً اختلف فيها رضي الله عنه.

باب

لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرّ منه، وظهور الفتن

البخاري(٥) عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا

---

(١) في جامعه ٥/٦٢٨ ح٣٧٠٥؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/٣٤٦ ح٦٩١٥؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٦/٣٦٢ ح٣٢٠٤٥، صحّحه الألباني. انظر: صحيح الترمذي ٣/٢١٠ ح٢٩٢٣.

(٢) في (الترمذي): يقتل فيها هذا.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ٥/٦٣٠ ح٣٧٠٨، حسَّن إسناده الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/٢١٠ ح٢٩٢٥.

(٤) هذا نص كلام ابن عبد البر في الاستيعاب ٣/١٠٤٨ ذكره المصنف بشيء من التصرف.

(٥) في صحيحه ٦/٢٥٩١ ح٦٦٥٧.

إليه ما نلقى من الحَجَّاج فقال: «اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا وبعده شر منه حتى تلقوا ربكم»، سمعته من نبيكم ﷺ. وخرّجه **الترمذي**(١) وقال: حديث صحيح.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل القتل»، خرّجه **مسلم**(٢).

فَصْلٌ

قوله: «يتقارب الزمان» قيل: معناه قصر الأعمار وقلة البركة فيها، وقيل: هو دنو زمان الساعة، وقيل: هو قصر مدة الأيام، على ما روي: «أن الزمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كاحتراق السعفة»، أخرجه **الترمذي**(٣)، وقال: هذا حديث غريب، وقيل في تأويله غير هذا.

وقال حماد بن سلمة: سألت أبا سنان عن قوله: «يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر؟»، قال: ذاك من استلذاذ العيش(٤).

قال الخطابي(٥): يريد والله أعلم زمان خروج المهدي ووقوع

---

(١) في جامعه ٤/ ٤٩٢ ح٢٢٠٦.
(٢) في صحيحه ٤/ ٢٠٥٧ ح١٥٧؛ والبخاري ٥/ ٢٢٤٥ ح٥٦٩٠.
(٣) في جامعه ٤/ ٥٦٧ ح٢٣٣٢؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٢٥٦ ح٦٨٤٢؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٥٣٧ ح١٠٩٥٦؛ والطبراني في الأوسط ٨/ ٣٧٠ ـ ٣٧١ ح٨٩٠٤؛ وأبو يعلى في مسنده ١٢/ ٣٢ ح٦٦٨٠. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٣١: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، وصحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٧٢ ح١٩٠١.
(٤) أورد هذا القول الخطابي في غريب الحديث ١/ ٩٤.
(٥) في غريب الحديث له ١/ ٩٤.

الأمنة في الأرض بما يبسطه من العدل فيها على ما يأتي، فيُستلذ العيش عند ذلك، وتستقصر مدته، ولا يزال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت وامتدت، ويستطيلون أيام المكروه وإن قَصُرَتْ وقلّت، والعربُ تقول في مثل هذا: مرّ بنا يوم كعرقوب القطا قِصراً.

و«يلقى الشح»: بمعنى يتلقى ويتعلم ويتواصى به ويدعى إليه ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]، أي تقبلها وتعلمها، ويجوز «يلقى» بتخفيف اللام والقاف على معنى يترك لإفاضة المال وكثرته حتى يهم رب المال من يقبل صدقته فلا يجد من يقبلها، ولا يجوز أن يكون «يلقى»: بمعنى يوجد؛ لأن الشح ما زال موجوداً قبل تقارب الزمان، فاعلم.

باب

ما جاء في الفرار من الفتن وكسر السلاح فيها وحكم المكره عليها

مالك عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»(١).

مسلم(٢) عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتن، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ١/ ١٥ ح١٩.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢٢١٢ ح٢٨٨٧.

من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: يعمد إلى سيفه فيدق عليه[(١)] بحجر ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فيضربني[(٢)] رجلٌ بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني، قال: يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، من تشرَّف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذْ به»[(٣)].

بَابٌ مِنهُ

وفي الأمر بلزوم البيوت عند الفتن

ابن ماجه[(٤)] عن أبي بردة قال: دخلت على محمد بن مسلمة ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستكون فتنة وفرقة واختلافٌ فإذا كان ذلك[(٥)] فأت بسيفك أُحُداً فاضربه حتى ينقطع ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يدٌ خاطئة أو منية قاضية»، فقد وقعت، وفعلت ما قال النبي ﷺ.

---

(١) في (مسلم): على حده. (٢) في (مسلم): فضربني.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١١ ح٢٨٨٦ واللفظ له، والبخاري في صحيحه ٣/ ١٣١٨ ح٣٤٠٦.

(٤) في سننه ٢/ ١٣١٠ ح٣٩٦٢؛ وأحمد في مسنده ٤/ ٢٢٥ ح١٨٠٠٨؛ والطبراني في الأوسط ٢/ ٧٣ ح١٨٩. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٠١: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات، صحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٥٧ ح٣٢٠١.

(٥) في (ابن ماجه): فإذا كان كذلك.

أبو داود[١] عن أبي موسى ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجلُ فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: كونوا أحلاسَ بيوتكم».

فَصْلٌ

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: كان محمد بن مسلمة ﵁ ممن اجتنب ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال وأن النبي ﷺ أمره إذا كان ذلك أن يتخذ سيفاً من خشب ففعل وأقام بالرَّبذة، وممن اعتزل الفتنة: أبو بكرة، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأبو ذر، وحذيفة، وعمران بن حصين، وأبو موسى، وأهبان بن صيفي، وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، ومن التابعين: شريح، والنخعي، وغيرهما ﵃.

قلتُ: وكانت تلك الفتنة والقتال بينهم على اجتهاد منهم ﵃ فكان المصيب منهم له أجران والمخطىء له أجر، ولم يكن قتال على الدنيا، فكيف اليوم الذي تسفك فيه الدماء باتباع الهوى طلباً للملك والاستكثار من الدنيا؟ فواجب على الإنسان كف اليد واللسان عند ظهور الفتن ونزول البلايا والمحن، نسأل الله السلامة والفوز بدار الكرامة.

وقوله: «كونوا أحلاس بيوتكم» حض على ملازمة البيوت والقعود فيها حتى يسلم من الناس ويسلموا منه.

ودخل سلمة بن الأكوع على الحجاج وكان قد خرج إلى الرّبذة

---

(١) في سننه ٤/ ١٠١ ح٤٢٦٢، صحّحه الألباني. انظر: صحيح أبي داود ٣/ ٨٠٣ ح٣٥٨٤.

حين قتل عثمان رضي الله عنه وتزوج امرأة هناك وولدت له أولاداً فلم يزل بها حتى كان قبل أن يموت بليال فنزل المدينة، فقال له الحجاج: ارتددت على عقبيك؟ قال: لا ولكن رسول الله ﷺ أذن لنا[١] في البدو، وخرّجه **مسلم**[٢] وغيره[٣]، وقد تقدم[٤] قوله ﷺ: «يأتي على الناس زمان يكون خيرُ مال المسلم غنماً يتبع به شعفَ الجبال ومواقع القطر يفرّ بدينه من الفتن». وما زال الناس يعتزلون ويخالطون كل واحد على ما يعلم من نفسه ويأتي له من أمره.

باب

كيف التثبت في الفتنة والاعتزال عنها وفي ذهاب الصالحين

ابن ماجه[٥] عن عديسة بنت أهبان قالت: لما جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه هاهنا البصرة دخل على أبي فقال: يا أبا مسلم: ألا تعينني على هؤلاء القوم؟ قال: بلى، فدعى جارية فقال: يا جارية: أخرجي سيفي، قالت: فأخرجته فسل منه قدر شبر فإذا هو خشب فقال: إن خليلي وابن عمك ﷺ عهد إليّ إذا كانت فتنة بين المسلمين فاتخذ سيفاً من خشب، فإن شئت خرجت معك، قال: لا حاجة لي فيك ولا في سيفك.

وعن هذيل بن شرحبيل عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح

---

(١) في (مسلم): لي.
(٢) في صحيحه ٣/ ١٤٨٦ ح١٨٦٢.
(٣) البخاري في صحيحه ٦/ ٢٥٩٧ ح٦٦٧٦؛ والنسائي في المجتبى ٧/ ١٥١ ح٤١٨٦.
(٤) ص(٣٤٢).
(٥) في سننه ٢/ ١٣٠٩ ح٣٩٦٠. قال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٥٦ ح٣١٩٩.

الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسِّروا قسيّكم وقطِّعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة، فإن دخل على أحد منكم فليكن كخير ابنَي آدم». أخرجه **أبو داود**(١) أيضاً.

وخرّج(٢) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن دخل علي بيتي، وبسط يده ليقتلني؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «كن كخير ابني آدم»، وتلا هذه الآية: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى﴾ [المائدة: ٢٨].

ابن ماجه(٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي فيغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس قد مَرِجَت(٤) عهودهم وخفت أماناتهم واختلفوا، فكانوا هكذا وهكذا وشبك بين أصابعه، قالوا: كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك الزمان، قال: تأخذون بما تعرفون، وتدعون ما تنكرون، وتقبلون على خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم». أخرجه **أبو داود**(٥) أيضاً.

---

(١) في سننه ٤/ ١٠٠ ح٤٢٥٩؛ والحديث أصله في صحيح مسلم ١/ ١١٠ ح١١٨، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٠٢ ح٣٥٨١.

(٢) أي: أبو داود في سننه ٤/ ٩٩ ح٤٢٥٧؛ والترمذي في جامعه ٤/ ٤٨٦ ح٢١٩٤؛ وأحمد في مسنده ١/ ١٨٥ ح١٦٠٩، صحّحه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٣٩ ح١٧٨٥.

(٣) في سننه ٢/ ١٣٠٧ ح٣٩٥٧، صحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٥٤ ح٣١٩٦.

(٤) مرجت عهودهم: أي: اختلطت. انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣١٤.

(٥) في سننه ٤/ ١٢٣ ح٤٣٤٢.

فَصْلٌ

قوله: «يوشك» معناه: يقرب، وقوله: «فيغربل الناس فيها غربلة» عبارة عن موت الأخيار، وبقاء الأشرار كما يبقي الغربال من حثالة ما يغربله، والحثالة: ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذي قشر إذا بقي، وحثالة الدهن تفله وكأنه الرديء من كل شيء، ويقال: حثالة وحفالة بالفاء والثاء معاً.

وقد روى **ابن ماجه**[(١)] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لتنتقون كما ينتقى التمر من أغفاله[(٢)]، وليذهبن[(٣)] خياركم وليبقين شراركم، فموتوا إن استطعتم».

وخرّج **البخاري**[(٤)] عن مرداس الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة»، وفي رواية[(٥)]: «لا يعبأ الله بهم».

يقال: ما أباليه بالة: أي ما اكترث به، والبال: الاكتراث والاهتمام بالشيء.

والصالحون هم الذين أطاعوا الله وعملوا بما أمرهم به، وانتهوا عما نهاهم عنه.

---

(١) في سننه ٢/ ١٣٤٠ ح٤٠٣٨. قال الألباني: ضعيف بهذا التمام، وهو ثابت دون قوله: «فموتوا...». انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٧٥ ح٣٢٦٣.

(٢) أغفال الأرض: أي: المجهولة التي ليس فيها أثر تعرف به، والغفل: الذي لا يرجى خيره ولا شره. النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٧٥، قلت: فكان المعنى: ينتقى التمر الجيد من مكان التمر الذي لا يعبأ به الناس، والله أعلم.

(٣) في (ابن ماجه): فليذهبن.

(٤) في صحيحه ٥/ ٢٣٦٤ ح٦٠٧٠.

(٥) رواها البخاري في صحيحه ٤/ ١٥٢٧ ح٣٩٢٥.

باب

الأمر بتعلم كتاب الله واتباع ما فيه ولزوم جماعة المسلمين عند غلبة الفتن وظهورها، وصفة دعاة آخر الزمانوالأمر بالسمع والطاعة للخليفة وإن ضرب الظهر وأخذ المال

أبو داود(١) عن نصر بن عاصم الليثي قال: أتينا اليشكري في رهط من بني ليث فقال: من القوم؟ قال: بنو الليث أتيناك نسألك عن حديث حذيفة، فقال: أقبلنا مع أبي موسى قافلين، وغلت الدواب بالكوفة، قال: فسألت أبا موسى الأشعري أنا وصاحب لي فأذن لنا فقدمنا الكوفة فقلت لصاحبي: أنا داخل المسجد، فإذا قامت السوق خرجت إليك.

قال: فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤوسهم، يستمعون إلى حديث رجل قال: فقمت عليهم فجاء رجل فقام إلى جنبي قال: فقلت: من هذا؟ قال: أبصريّ أنت؟ قال: قلت: نعم، قال: قد عرفت، ولو كنت كوفياً لم تسأل عن هذا، فدنوت منه فسمعت حذيفة ﷺ يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، وعرفت أن الخير لن يسبقني، قال: فقلت: يا رسول الله بعد هذا الخير شر، قال: «يا حذيفة تعلّم كتاب الله ﷻ واتبع ما فيه»، ثلاث مرات، قال: قلت: يا رسول الله بعد هذا الخير شر؟ فقال: «يا حذيفة تعلّم كتاب الله واتبع ما فيه»، قال: قلت: يا رسول الله بعد هذا الشر خير، قال: «هدنة على دخن، وجماعة على أقذاء فيهم أو فيها»، قلت: يا رسول الله الهدنة على الدخن ما هي؟ قال: «لا ترجع قلوب أقوام على

---

(١) في سننه ٤/٩٦ ح٤٢٤٦، حسّنه الألباني. انظر: صحيح أبي داود ٣/٧٩٩ ح٣٥٧١.

الذي كانت عليه»، قال: قلت: يا رسول الله بعد هذا الخير شر، قال: «فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار، فإن مت يا حذيفة وأنت عاض على جِذْلٍ[١] خير لك من أن تتبع أحداً منهم».

وخرَّج **أبو داود**[٢] **والبخاري**[٣] **ومسلم**[٤] عن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله ﷺ إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنُّون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، فقلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

وفي رواية قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي[٥]، ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع»، لفظ **مسلم**[٦].

---

(١) الجذل بالكسر والفتح: أصل الشجر يقطع. انظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٥١.

(٢) في سننه ٤/ ٩٦ ح٤٢٤٣.

(٣) في صحيحه ٣/ ١٣١٩ ح٣٤١١.

(٤) في صحيحه ٣/ ١٤٧٥ ح١٨٤٧، واللفظ له.

(٥) في (مسلم): بهداي.

(٦) في صحيحه ٣/ ١٤٧٦.

فَصْلٌ

قوله: «على أقذاء»، الأقذاء جمع القذا، والقذا جمع قذاة: وهو ما يقع في العين من الأذى وفي الشراب والطعام من تراب أو نتن أو غير ذلك، والمراد به في الحديث الفساد الذي يكون في القلوب، أي أنهم يتقون بعضهم بعضاً ويظهرون الصلح والاتفاق، ولكن في باطنهم خلاف ذلك، والجذل: الأصل كما هو مبيّن في كتاب مسلم على أصل شجرة.

بَابٌ مِنهُ

إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار

مسلم[١] عن الأحنف بن قيس قال: خرجت وأنا أريد هذا الرجل، فلقيني أبو بكرة، فقال: أين تريد يا أحنف؟ قال: فقلت: أريد نصرة[٢] ابن عم رسول الله ﷺ - يعني علياً رضي الله عنه -، قال: فقال لي: يا أحنف ارجع، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قال: فقلت أو قيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه قد أراد قتل صاحبه»، أخرجه **البخاري**[٣].

وفي بعض طرقه: «أنه كان حريصاً على قتل صاحبه»[٤].

فَصْلٌ

قال أصحابنا: ليس هذا الحديث في أصحاب محمد ﷺ ورضي

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢٢١٣ ح٢٨٨٨. (٢) في (مسلم): نصر.
(٣) في صحيحه ١/ ٢٠ ح٣١.
(٤) رواها البخاري في صحيحه ٦/ ٢٥٢٠ ح٦٤٨١.

عنهم بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩]، فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله، وهذا يدل على أن قوله: القاتل والمقتول في النار ليس في أصحاب محمد ﷺ؛ لأنهم إنما قاتلوا على التأويل.

قال الطبري[١]: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور إلى استحلال كل ما حرَّم الله عليهم من أموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم بأن يتحزبوا عليهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها، وذلك مخالف لقوله عليه السلام: «خذوا على أيدي سفهائكم»[٢].

قلت: فحديث أبي بكرة محمول على ما إذا كان القتال على الدنيا، وقد جاء هكذا منصوصاً فيما سمعناه من بعض مشائخنا: «إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار»، خرجه **البزار**[٣]. ومما يدل على صحة هذا ما خرّجه **مسلم** في صحيحه[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي

---

(١) لم أقف على موضع قوله من تفسيره وتاريخه.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد ١/ ٤٧٥ ح١٣٤٩؛ والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٩٢ ح٧٥٧٧.

(٣) لم أجده في مسند البزار المطبوع، وقد عزاه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٣/ ٣٤ أيضاً للبزار.

(٤) ٤/ ٢٢٣١ ح٢٩٠٨.

على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قتل، ولا المقتول فيما قتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج، القاتل والمقتول في النار»، فبيَّن هذا الحديث أن القتال إذا كان على جهالة من طلب الدنيا أو اتباع هوى كان القاتل والمقتول في النار، فأما قتال يكون على تأويل ديني فلا، وأما أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم فيجب على المسلمين توقيرهم والإمساك عن ذكر زللهم ونشر محاسنهم؛ لثناء الله ﷻ عليهم في كتابه، فقال وقوله الحق: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة، وقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ [الحديد: ١٠] إلى قوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾.

وكل من ذهب منهم إلى تأويل فهو معذور، وإن كان بعضهم أفضل من بعض وأكثر سوابق.

وقد قيل: إن من توقف من الصحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف على عمومها فاجتنبوا جميع ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال.

بَابٌ

جعل الله بأس هذه الأمة بينها

قال الله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ﴾ [الأنعام: ٦٥]

مسلم[(١)] عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض».

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢٢١٥ ح٢٨٨٩.

قال **ابن ماجه** في سننه[١]: يعني الذهب والفضة.

«وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسَنَة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، ـ أو قال: من بين أقطارها ـ حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً»[٢].

زاد **أبو داود**[٣]: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفةٌ من أمتي على الحقّ ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

ابن ماجه[٤] عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: صلّى رسول الله ﷺ يوماً فأطال فيها، فلما انصرف قلنا أو قالوا: يا رسول الله أطلت اليوم الصلاة، قال: «إني صليت صلاة رغبةٍ ورهبة سألت الله لأمتي ثلاثاً فأعطاني ثنتين ورد علّي واحدة، سألته ألا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها، وسألته ألا يهلكهم غرقاً فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فردّها عليّ».

---

(١) ٢/ ١٣٠٤ ح٣٩٥٢.

(٢) تكملة رواية مسلم المتقدمة.

(٣) في سننه ٤/ ٩٧ ح٤٢٥٢، صحّحه الألباني. انظر: صحيح أبي داود ٣/ ٨٠١ ح٣٥٧٧.

(٤) في سننه ٢/ ١٣٠٣ ح٣٩٥١؛ والترمذي في جامعه ٤/ ٤٧١ ح٢١٧٥؛ وابن خزيمة في صحيحه ٢/ ٢٢٥ ح١٢١٨، صحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٥١ ـ ٣٥٢ ح٣١٩١.

وأخرجه **مسلم**(١) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية وفي رواية(٢): في طائفةٍ من أصحابه حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين فصلينا معه ودعا ربّه طويلاً ثم انصرف إلينا فقال: «سألت ربّي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدةً: سألت ربّي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».

وأخرجه **النسائي**(٣) **الترمذي**(٤) وصححه واللفظ للنسائي عن خبّاب بن الأرتّ وكان شهد بدراً مع رسول الله ﷺ أنه راقب رسول الله ﷺ الليلة كلها حتى كان الفجر، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاءه خباب فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي لقد صليت الليلة صلاةً ما رأيتك صليت نحوها، فقال رسول الله ﷺ: «أجل إنها صلاة رغب ورهب، سألت الله ﷻ فيها لأمتي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدةً: سألت ربي ﷻ ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها، وسألت ربي ﷻ ألا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها، وسألت ربي ﷻ ألا يلبسنا شيعاً فمنعنيها».

ابن ماجه(٥) عن أبي موسى ﷺ قال: ثنا رسول الله ﷺ: «إن بين يدي الساعة لهرجاً»، قال: قلت: يا رسول الله: ما الهرج؟ قال: القتل القتل»، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله إنا نقتل الآن في

---

(١) في صحيحه ٤/٢٢١٦ ح٢٨٩٠.

(٢) في صحيح مسلم ٤/٢٢١٦ ح٢٨٩٠.

(٣) في المجتبى من السنن له ٣/٢١٦ ح١٦٣٨، صحّحه الألباني. انظر: صحيح النسائي ١/ ٣٦٠ ح١٥٤٤.

(٤) في جامعه ٤/٤١٧ ح٢١٧٥.

(٥) في سننه ٢/١٣٠٩ ح٣٩٥٩، صحّحه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٥٥ ح٣١٩٨.

العام الواحد من المشركين كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «ليس بقتل المشركين ولكن بقتل[1] بعضكم بعضاً حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته...»، وذكر الحديث.

باب

ما يكون من الفتن وإخبار النبي ﷺ بها

مسلم[2] عن حذيفة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك فيه شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وأنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه.

مسلم[3] عن حذيفة رضي الله عنه قال: ثنا رسول الله ﷺ مجلساً أنا فيه عن الفتن فقال: وهو يعد الفتن منها ثلاثٌ لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار، قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري.

أبو داود[4] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن فأكثر فيه حتى ذكر فتنة الأحلاس[5]، فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: «هي هرب وحرب، ثم فتنة السراء[6] دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني

---

(١) في (ابن ماجه): يقتل. (٢) في صحيحه ٤/٢٢١٧ ح٢٨٩١.

(٣) في صحيحه ٤/٢٢١٦ ح٢٨٩١.

(٤) في سننه ٤/٩٤ ح٤٢٤٢؛ وأحمد في مسنده ٢/١٣٣ ح٦١٦٨، صحّحه الألباني. انظر: صحيح أبي داود ٣/٧٩٨ ح٣٥٦٨.

(٥) الأحلاس: جمع حِلْس، وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير، شبهها به للزومها ودوامها. انظر: النهاية في غريب الحديث ١/٤٢٣ باختصار.

(٦) والسراء هي البطحاء. انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري ١/٣٠٥؛ =

وليس مني وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع[(١)]، ثم فتنة الدهيماء[(٢)] لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غدٍ».

فَصْلٌ

قول حذيفة: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً» وفي الرواية الأخرى: «مجلساً» قد جاء مبيناً في حديث أبي زيد رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا»، خرّجه **مسلم**[(٣)].

وقوله: «حتى ذكر فتنة الأحلاس»، قال الخطابي[(٤)]: إنما أضيف الفتنة إلى الأحلاس لدوامها وطول لبثها، يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح منه: هو حلس بيته. ويحتمل أن تسمى هذه الفتنة بالأحلاس لسوادها وظلمتها، والحرب ذهاب الأهل والمال، يقال: حرب الرجل

= والنهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٦١.

(١) قال الخطابي في غريب الحديث ١/ ٢٨٧: (قوله: كورك على ضلع، فإنه مثل يريد والله أعلم، أنهم يجتمعون على رجل غير خليق للملك ولا مستقل به وذلك لأن الورك لا يستقر على الضلع ولا يلائمها وإنما يقال في باب المشاكلة والملاءمة هو كرأس في جسد أو كف في ذراع أو نحوهما من الكلام).

(٢) الدهيماء: هي الداهية. انظر: الفائق للزمخشري ١/ ٣٠٥.

(٣) في صحيحه ٤/ ٢٢١٧ ح٢٨٩٢.

(٤) في غريب الحديث له ١/ ٢٨٧.

فهو حريب إذا سلب أهله وماله، ومن هذا المعنى أخذ لفظ الحرب لأن فيها ذهاب النفوس والأموال، والله أعلم.

و«الدخن»: الدخان يريد أنها تثور كالدخان من تحت قدميه.

وقوله: «كورك على ضلع»، مَثَلٌ ومعناه: الأمر الذي لا يثبت ولا يستقيم، يريد أن هذا الرجل غير خليق للملك.

والدهيماء: تصغير الدهماء وصغرها على معنى المذمة لها والتعظيم لأمرها، كما قال: دويهية تصفر منها الأنامل، أي: هذه الفتنة سوداء مظلمة. ودلت أحاديث هذا الباب على أن الصحابة رضوان الله عليهم كان عندهم من علم الكوائن إلى يوم القيامة العلم الكثير لكن لم يشيعوها إذ ليست من أحاديث الأحكام، وما كان فيه شيء من ذلك حدثوا به وتقصوا عنه.

وقد روى **البخاري**(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين: أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم(٢). قال أبو عبد الله: البلعوم: مجرى الطعام، والفسطاط:

---

(١) في صحيحه ١/٥٦ ح١٢٠.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١/٢١٧ (باختصار): (قوله: بثثته: أي: أذعته ونشرته، قوله: قطع هذا البلعوم: كنى بذلك عن القتل، وفي رواية الإسماعيلي: لقطع هذا: يعني رأسه، وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم، كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة. جعل الباطنية هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهراً وباطناً، وذلك الباطن إنما حاصله الانحلال من الدين قال: وإنما أراد أبو هريرة بقوله: قطع، أي: قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه =

الخيمة الكبيرة، وتسمى مدينة مصر الفسطاط، والمراد به في هذا الحديث الفرقة المجتمعة المنحازة عن الفرقة الأخرى تشبيهاً بانفراد الخيمة عن الأخرى، وتشبيهاً بانفراد المدينة عن الأخرى حملاً على تسمية مصر بالفسطاط، والله أعلم.

باب

ذكر الفتنة التي تموج موج البحر وقول النبي ﷺ: «هلاك أمتي على يد أغيلمة من سفهاء قريش»

ابن ماجه[1] عن شقيق عن حذيفة قال: كنا جلوساً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قال حذيفة: فقلت: أنا، فقال: إنك لجريء، قال: كيف قال؟ قال: سمعته يقول: «فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، فقال عمر رضي الله عنه: ليس هذا أريد إنما أريد التي تموج موج البحر، قال: ما لك ولها يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: فيفتح الباب أو يكسر[2]؟ قال: بل يكسر، قال: ذاك أجدر أن لا يغلق، فقلت لحذيفة: أكان عمر رضي الله عنه يعلم من الباب؟ قال: نعم كما يعلم أن دون غد الليلة، إني

= لفعلهم وتضليله لسعيهم، ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتوبة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها لما ذكره في الحديث الأول من الآية الدالة على ذم من كتم العلم، وقال غيره: يحتمل أن يكون أراد مع الصنف المذكور ما يتعلق بأشراط الساعة وتغيّر الأحوال والملاحم في آخر الزمان فينكر ذلك من لم يألفه ويعترض عليه من لا شعور له لا به).

(١) في سننه ٢/ ١٣٠٥ ح٣٩٥٥، صحّحه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٥٣ ح٣١٩٤.

(٢) في (سنن ابن ماجه): قال: فيكسر الباب أو يفتح.

حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأله من الباب، فقلنا لمسروق: سله، فسأله، فقال: عمر رضي الله عنه. أخرجه **البخاري**[١] **ومسلم**[٢] أيضاً.

البخاري[٣] عن عمرو بن يحيى بن سعيد قال: أخبرني جدي قال: كنت جالساً مع أبي هريرة رضي الله عنه في مسجد النبي ﷺ بالمدينة ومعنا مروان، فقال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: «هلاك أمتي على يدي أغيلمة[٤] من قريش»، فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة، قال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت، فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم أحداثاً وغلماناً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم، قلنا: أنت أعلم.

الغلام: الطَّارُّ الشارب[٥] والجمع الغلمة والغلمان، ونصّ **مسلم**[٦] في صحيحه في كتاب الفتن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يهلك أمتي هذا الحي من قريش، قال: فما تأمرنا؟ لو إن الناس اعتزلوهم».

باب

الأمر بالصبر عند الفتن وتسليم النفس للقتل عندها والسعيد من جُنِّبها

أبو داود[٧] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر»، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك...، وذكر الحديث، قال:

---

(١) في صحيحه ١/١٩٦ ح٥٠٢.
(٢) في صحيحه ١/١٢٨ ح١٤٤.
(٣) في صحيحه ٦/٢٥٨٩ ح٦٦٤٩.
(٤) في (صحيح البخاري): غلمة.
(٥) انظر: لسان العرب ١٢/ ٤٤٠.
(٦) في صحيحه ٤/٢٢٣٦ ح٢٩١٧.
(٧) في سننه ٤/١٠١ ح٤٢٦١؛ وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن الكبرى ٨/١٩١ ح١٦٥٧٥، صحّحه الألباني. صحيح أبي داود ٣/٨٠٢ ـ ٨٠٣ ح٣٥٨٣.

كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت بالوصيف - يعني القبر -، قال: قلت: الله ورسوله أعلم، - أو قال: ما خار الله لي ورسوله، قال: عليك بالصبر، - أو قال: تصبر - ثم قال لي: يا أبا ذر قلت: لبيك وسعديك، قال: كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت[1] قد غرقت بالدم، قلت: ما خار الله لي ورسوله، قال: عليك بمن أنت منه، قال: قلت يا رسول الله: أفلا آخذ سيفي فأضعه على عاتقي؟ قال: شاركت القوم إذاً، قال: قلت: فما تأمرني؟ قال: تلزم بيتك، قال: فقلت: فإن دخل علي بيتي؟ قال: فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف، فألقي ثوبك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه»، أخرجه **ابن ماجه**[2] وقال: تصبر من غير شك، وزاد بعده قال: «كيف أنت وجوع يصيب الناس حتى تأتي مسجدك فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك أو لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك، قال: قلت: الله ورسوله أعلم أو ما خار الله لي ورسوله، قال: عليك بالعفة، ثم قال: كيف أنت وقتل يصيب الناس حتى تغرق حجارة الزيت بالدم...» الحديث، وقال: «فألق طرف ردائك على وجهك فيبوء بإثمه وإثمك فيكون من أصحاب النار».

أبو داود[3] عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: ايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن السعيد لمن جُنِّب الفتن ولمن ابتلي فصبر فواها».

الترمذي[4] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) موضع بالمدينة. النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٤٣.

(٢) في سننه ٢/ ١٣٠٨ ح٣٩٥٨؛ وأحمد في مسنده ٥/ ١٤٩ ح٢١٣٦٣، صحّحه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٥٥ ح٣١٩٧.

(٣) في سننه ٤/ ١٠٤ ح٤٢٦٣، صحّحه الألباني. صحيح أبي داود ٣/ ٨٠٣ ح٣٥٨٥.

(٤) في جامعه ٤/ ٥٢٦ ح٢٢٦٠، صحّحه الألباني. صحيح الترمذي ٢/ ٢٥٦ ح١٨٤٤.

«يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر»، قال: حديث غريب.

فَصْلٌ

قوله: «بالوصيف»، الوصيف: الخادم يريد أن الناس يشتغلون عن دفن موتاهم حتى لا يوجد فيهم من يحفر قبر الميت ويدفنه إلا أن يعطى وصيفاً أو قيمته والله أعلم، وقد يكون معناه: أن مواضع القبور تضيق عليهم فيبتاعون لموتاهم القبور كل قبر بوصيف.

وقوله: «غرقت بالدم» أي لزمت، والغروق: اللزوم، ويروى: غرقت، وأحجار الزيت: موضع بالمدينة.

روى **الترمذي**(١) عن عمير مولى أبي اللحم عن أبي اللحم رضي الله عنه: «أنه رأى رسول الله ﷺ عند أحجار الزيت يستسقي وهو مقنع بكفيه يدعو».

فَصْلٌ

وأما أمره عليه السلام أبا ذر بلزوم البيت وتسليم النفس للقتل، وقد اختلف في هذا المعنى: فقالت طائفة: ذلك عند جميع الفتن وغير جائز لمسلم النهوض في شيء منها، قالوا: وعليه أن يستسلم للقتل إذا أريدت نفسه، ولا يدفع عنها، وحملوا الأحاديث على ظواهرها.

وربما احتجوا من جهة النظر بأن قالوا: إن كل فريق من المقتتلين

---

(١) في جامعه ٢/ ٤٤٣ ح٥٥٧؛ النسائي في المجتبى ٣/ ١٥٨ ح١٥١٤؛ أحمد في مسنده ٥/ ٢٢٣ ح٢١٩٩٣، صحّحه الألباني. صحيح الترمذي ١/ ١٧٣ ح٤٥٨.

في الفتنة فإنه يقاتل على تأويل وإن كان في الحقيقة خطأ، فهو عند نفسه محق، وغير جائز لأحد قتله، وسبيله سبيل حاكم من المسلمين يقضي فيما اختلف فيه العلماء على ما يراه صواباً، فغير جائز لغيره من الحكام نقضه إذا لم يخالف بقضائه ذلك كتاباً ولا سنة ولا جماعة، وكذلك المقتتلون في الفتنة كل حزب منهم عند نفسه محق دون غيره مما يدعون من التأويل، فغير جائز لأحد قتالهم وإن ما هم قصدوا لقتله فغير جائز دفعهم.

وقد ذكرنا من تخلف عن الفتنة وقعدوا منهم: عمران بن حصين، وابن عمر، وغيرهما، وقد روي عنهما وعن غيرهما منهم: عبيدة السلماني أن من اعتزل الفريقين فدخل بيته، فأتى من يريد نفسه، فعليه دفعه عن نفسه، وإن أبى الدفع عن نفسه؛ لقوله عليه السلام: «من أريدت نفسه وماله فقتل فهو شهيد»[1]، قالوا: فالواجب على كل من أريدت نفسه وماله ظلماً دفع ذلك ما وجد إليه السبيل متأولاً كان المريد أو متعمداً للظلم.

قلت: وهو الصحيح إن شاء الله؛ لأن في صحيح **مسلم**[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي، قال: فلا تعطه مالك، قال: أرأيت إن قاتلني، قال: قاتله، قال: أرأيت إن قتلني، قال: فأنت شهيد، قال: أرأيت إن قتلته، قال: هو في النار».

وقال ابن المنذر: ثبتت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قُتل دون ماله فهو شهيد». وقد روينا عن جماعة من أهل العلم أنهم

---

(١) أخرج نحوه الترمذي في جامعه ٤/ ٢٩ ح١٤١٩.
(٢) ١/ ١٢٤ ح١٤٠.

رأوا قتال اللصوص ودفعهم عن أنفسهم وأموالهم، هذا مذهب: ابن عمر، والحسن البصري، وقتادة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، والنعمان، قال أبو بكر: وبهذا يقول عوام أهل العلم أن للرجل أن يقاتل عن نفسه وماله إذا أريد ظلماً، للأخبار التي جاءت عن رسول الله ﷺ لم يخص وقتاً من وقت ولا حالًا عن حال إلا السلطان فإن جماعة أهل العلم كالمجتمعين على أن من لم يمكنه أن يمنع نفسه وماله إلا بالخروج على السلطان ومحاربته أنه لا يحاربه ولا يخرج عليه؛ للأخبار الدالة عن رسول الله ﷺ بالصبر على ما يكون منهم من الجور والظلم.

بَابُ

جُعل في أول هذه الأمة عافيتها وفي آخرها بلاؤها

مسلم[1] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جَشَرِهِ، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: إنه لم يكن نبيٌ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيدفق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول: هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أي يوتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر».

---

(١) في صحيحه ٣/ ١٤٧٢ ح١٨٤٤.

قال عبد الرحمٰن بن عبد رب الكعبة: فدنوت منه فقلت له: أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي، فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الآية [النساء: ٢٩]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية [النساء: ٢٩]، فسكت ساعة ثم قال: أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله.

فَصْلٌ

قوله: «ينتضل» الانتضال: الرمي بالسهام، والجشر: المال من المواشي التي ترعى أمام البيوت والديار، يقال: مال جشر يرعى في مكانه لا يرجع إلى أهله، يقال: جشرنا دوابنا أي أخرجناها إلى المرعى، وأصله: البعد، ومنه يقال للأعزب: جشر وجشير لبعده عن النساء، قال: وقوله: «يدفق بعضها بعضاً»، أي يتلو بعضها بعضاً، وينصب بعضها على بعض، والتدفق التصبب، وهذا المعنى مبين في نفس الحديث لقوله: «وتجيء الفتنة ثم تنكشف وتجيء الفتنة».

و«يزحزح»: أي يبعد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٩٦] أي بمبعده، وصفقة اليد أصلها: ضرب الكف على الكف زيادة في الاستيثاق مع النطق باللسان والالتزام بالقلب، وفي التنزيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية، وقوله: «فاضربوا عنق الآخر»، قيل: المراد عزله وخلعه وذلك قتله وموته، وقيل: قطع رأسه وإذهاب نفسه، يدل عليه قوله في الحديث الآخر: «فاضربوه بالسيف كائناً من كان»، وهو ظاهر الحديث..

باب

جواز الدعاء بالموت عند الفتن وما جاء أن بطن الأرض خير من ظهرها

البخاري(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه»، أخرجه **مسلم**(٢) **وابن ماجه**(٣) بمعناه، وزاد: «وليس به الدين إلا البلاء».

قلت: وكأن هذا إشارة إلى أن كثرة الفتن وشدة المحن والمشقات والأنكاد اللاحقة للإنسان في نفسه وماله وولده قد أذهبت الدين منه، ومن أكثر الناس، أو قللت الاعتناء به من الذي يتمسك بالدين عند هجوم الفتن، ولذلك عَظُم قدر العبادة في حالة الفتن حتى قال النبي ﷺ: «العبادة في الهرج كهجرة إليّ»(٤).

باب

أسباب المحن والفتن والبلاء

الترمذي(٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مشت أمتي المطيطاء(٦) وخدمها أبناء الملوك: فارس والروم سلط شرارها على خيارها»، قال: هذا حديث غريب.

---

(١) في صحيحه ٦/ ٢٦٠٥ ح٦٧٠٤.
(٢) في صحيحه ٤/ ٢٢٣١ ح١٥٧.
(٣) في سننه ٢/ ١٣٤٠ ح٤٠٣٧.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٨ ح٢٩٤٨.
(٥) في جامعه ٤/ ٥٢٦ ح٢٢٦١؛ والطبراني في الأوسط ١/ ٤٧ ـ ٤٨ ح١٣٢، صحّحه الألباني. صحيح الترمذي ٢/ ٢٥٦ ح١٨٤٦.
(٦) المشي بتبختر وانظر: ص (٣٦٨ ـ ٣٦٩).

ابن ماجه[١] عن قيس بن أبي حازم قال: قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وأنّا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»، أخرجه **أبو داود** في سننه[٢]، **والترمذي**[٣] في جامعه.

مسلم[٤] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟ قال عبد الرحمٰن بن عوف: نكون كما أمر الله، فقال رسول الله ﷺ: أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض».

وخرّج[٥] أيضاً عن عمرو بن عوف وهو حليف بني عامر بن لؤي وكان شهد بدراً مع رسول الله ﷺ: «أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ قد صالح أهل البحرين وأمّر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلّى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال: أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين، قالوا: أجل يا رسول الله، قال: فأبشروا

---

(١) في سننه ٢/١٣٢٧ ح٤٠٠٥، صحّحه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/٣٦٧ - ٣٦٨ ح٣٢٣٦.

(٢) ٤/١٢٢ ح٤٣٣٨. (٣) ٤/٤٦٧ ح٢١٦٨.

(٤) في صحيحه ٤/٢٢٧٤ ح٢٩٦٢.

(٥) أي: مسلم في صحيحه ٤/٢٢٧٣ ح٢٩٦١.

وأمّلوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن[١] أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبل فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم».

وفي رواية[٢]: «وتلهيكم كما ألهتهم» بدل: «فتهلككم».

وخرّج **ابن ماجه**[٣] عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أدع بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»، أخرجه **البخاري**[٤] **ومسلم**[٥] أيضاً.

وخرّج[٦] عن أبي سعيد أيضاً أن رسول الله ﷺ قام خطيباً وكان فيما قال: «إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، ألا فاتقوا الله واتقوا النساء»، خرّجه **مسلم**[٧] أيضاً، وقال بدل قوله: «فاتقوا الله»: «فاتقوا النار[٨] واتقوا النساء»، وزاد: «فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

الترمذي[٩] عن كعب بن عياض رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من سكن البادية جفا،

---

(١) في (مسلم): ولكنني.
(٢) أخرجها مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٤ ح٢٩٦١.
(٣) في سننه ٢/ ١٣٢٥ ح٣٩٩٨. (٤) في صحيحه ٥/ ١٩٥٩ ح٤٨٠٨.
(٥) في صحيحه ٤/ ٢٠٩٧ ح٢٧٤٠.
(٦) أي: ابن ماجه في سننه ٢/ ١٣٢٥ ح٤٠٠٠.
(٧) في صحيحه ٤/ ٢٠٩٨ ح٢٧٤٢.
(٨) في (صحيح مسلم): فاتقوا الدنيا واتقوا النساء.
(٩) في جامعه ٤/ ٥٦٩ ح٢٣٣٦؛ وابن حبان في صحيحه ٨/ ١٧ ح٣٢٢٣، صحّحه الألباني. صحيح الترمذي ٢/ ٢٧٣ ح١٩٠٥.

ومن أتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن»[١] قال: وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس، لا نعرفه إلا من حديث الثوري.

فصل

حذّر الله سبحانه عباده فتنة المال والنساء في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، فقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ [التغابن: ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: ١٥]، ثم قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ﴾ [التغابن: ١٦ - ١٧]، فنبه سبحانه على ما يعتصم به من فتنة حب المال والولد في آي ذكر ذلك فيها، وما كان عاصماً من فتنة المال والولد فهو عاصم من كل الفتن والأهواء. وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران: ١٤]، ثم قال تعالى: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [آل عمران: ١٥]، فوصف تعالى ما للمتقين عند ربهم ثم وصف أحوالهم بنعتهم إلى قوله: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وهذا تنبيه لهم على تزهيدهم فيما زين لهم وترغيبهم فيما هو خير منه، ومثل هذا في القرآن كثير.

والمطيطاء: بضم الميم والمد: المشي بتبختر وهي مشية

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/ ٥٢٢ ح٢٢٥٦؛ وأبو داود ٣/ ١١١ ح٢٨٥٩، صحّحه الألباني. صحيح الترمذي ٢/ ٢٥٤ ح١٨٤٠.

المتكبرين المفتخرين وهو مأخوذ من مط يمط إذا مد، قال الجوهري[١]: (والمطيطاء بضم الميم مدودٌ[٢]: التبختر ومد اليد في المشي، وفي الحديث: «إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم).

وقوله: «ثم ينطلقون في مساكين المهاجرين».

قيل: في الكلام حذف، أي في فيء مساكين المهاجرين، والمعنى أنه إذا وقع التنافس والتحاسد والتباغض حملهم ذلك على أن يأخذوا لقوي ما أفاء الله على المسكين الذي لا يقدر على مدافعة فيمنعه عنه ظلماً وقهراً بمقتضى التنافس والتحاسد.

وقيل: ليس في الكلام حذف، وأن المعنى المراد أن مساكين المهاجرين وضعفهم يستفتح عليهم إذ ذاك من الدنيا حتى يكونوا أمراء بعضهم على رقاب بعض، وهذا اختيار القاضي عياض[٣]، والأول: اختيار شيخنا أبو العباس قال: وهو الذي يشهد له سياق الحديث ومعناه، وذلك أنه عليه السلام أخبرهم أنهم يتغير بهم الحال وأنهم يصدر عنهم أو عن بعضهم أحوال غير مرضية تخالف أحوالهم التي كانوا عليها من التنافس والتباغض وانطلاقهم في مساكين المهاجرين، فلا بد أن يكون هذا الوصف غير مرضي كالأوصاف التي قبله وأن تكون تلك الأوصاف المتقدمة توجبه، وحينئذ يلتئم الكلام أوله وآخره، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) في الصحاح ٣/ ١١٦٠.

(٢) في (الصحاح): ممدوداً.

(٣) في كتابه إكمال المعلم ٨/ ٥١٤.



بابُ الملاحم

بَابٌ
أمارات الملاحم

أبو داود(١) عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال».

البخاري(٢) عن عوف بن مالك ﷺ قال: أتيت النبيّ ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال: اعدد ستاً بين يدي الساعة: «موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوْتان(٣) يأخذ فيكم كقُعَاص(٤) الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجلُ مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية(٥) اثنا عشر ألفاً».

---

(١) في سننه ٤/ ١١٠ ح٤٢٩٤؛ والحاكم في مستدركه ٤/ ٤٦٧ ح٨٢٩٧؛ وأحمد في مسنده ٥/ ٢٣٢ ح٢٢٠٧٦، حسّنه الألباني.

(٢) في صحيحه ٣/ ١١٥٩ ح٣٠٠٥.

(٣) المُوْتان على وزن البُطْلان للموت الكثير الوقوع. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٧٠.

(٤) داء يأخذ الغنم، ثم لا يُلْبِثُها أن تموت. انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٨٨.

(٥) قال ابن سلام في غريبه ٢/ ٨٧: ومن قال: «غاية» يريد الراية.

وعَمَواس بفتح الميم والعين لأنه: عمّ وأسى، أي جعل بعض الناس أسوة بعض، وعمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس مات فيها أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، والأمين الفقيه أبو عبد الرحمٰن معاذ بن جبل.

ومُوتان ـ بضم الميم هي لغة تميم، وغيرهم يفتحونها ـ: وهو اسم للطاعون والموت، وقوله: «كقعاص الغنم» هو داء يأخذها لا يلبثها قاله أبو عبيد[١]، لأن القعاص الموت المعجل، ويقال بالسين: وهو داء يأخذ في الصدور كأنه يكسر العنق.

باب

ما ذكر في ملاحم الروم وتواترها وتداعي الأمم على أهل الإسلام

ابن ماجه[٢] عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون بينكم وبين بني الأصفر هدنة، فيغدرون بكم فيسيرون إليكم في ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً».

وعن ذي مِخْبَر[٣] وكان رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ستصالحكم الروم صلحاً آمناً، ثم تغزون أنتم وهم عدوّاً، فتنصرون وتغنمون وتقتسمون وتَسْلَمُون ثم تنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول فيرفع رجل من أهل الصليب الصليب، فيقول:

---

(١) في غريب الحديث له ٢/ ٨٦.

(٢) في سننه ٢/ ١٣٤١ ح٤٠٤٢، صحّحه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٧٦ ح٣٢٦٧.

(٣) قال ابن حجر: ذو مخبر بكسر أوله وسكون المعجمة وفتح الموحدة، وقيل: بدلها ميم، الحبشي: صحابي، نزل الشام، هو ابن أخي النجاشي. تقريب التهذيب ١/ ٢٣ رقم ١٨٥٠.

غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدفعه، فعند ذلك تغدر الروم، ويجمعون الملحمة فيأتون تحت ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً[(١)]»، خرّجه **أبو داود**[(٢)] وزاد: «ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة»، وخرّجه **الإمام أحمد** في مسنده[(٣)] وإسناده صحيح ثابت.

مسلم[(٤)] عن بشير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هِجِّيراً[(٥)]، ألا يا عبد الله بن مسعود ﷺ جاءت الساعة، قال: فقعد وكان متكئاً، فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا، ونحاها نحو الشام فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعني، قال: نعم، ويكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شُرْطَةً للموت[(٦)] لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيبقى هؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشُرْطَة، ثم يشترط

---

(١) (يأتون تحت ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً): ليست في (سنن ابن ماجه).

(٢) في سننه ٤/ ١١٠ ح٤٢٩٣؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ١٠١ ح٦٧٠٨، صحّحه الألباني. صحيح أبي داود ٣/ ٨٠٩ ح٣٦٠٨.

(٣) ٤/ ٩١ ح١٦٨٧١.

(٤) في صحيحه ٤/ ٢٢٢٣ ح٢٨٩٩.

(٥) في (صحيح مسلم): هجيري، وهي الدأب والعادة، كما سيأتي.

(٦) وهي طائفة من الجيش تتقدم للقتال، كما سيأتي في شرح المصنف لها في الفصل التالي.

المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا، فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية الإسلام فيجعل الله الدائرة عليهم، فيقتتلون مقتلة عظيمة، إما قال: لم ير مثلها، وإما قال: لا يرى مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجثمانهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً، فيعاد[1] بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا بناس هم أكثر من ذلك فجاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج في ذراريهم فيرفضون ما بأيديهم ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ أو من خير فوارس يومئذ».

أبو داود[2] عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهة الموت».

فَصْلٌ

قوله: «بني الأصفر» يعني الروم، وفي تسميتهم بذلك قولان:

أحدهما: أن جيشاً من الحبشة غلبوا على ناحيتهم في بعض الدهر

---

(١) في (صحيح مسلم): فيتعاد.

(٢) في سننه ٤/ ١١١ ح٤٢٩٧، صحّحه الألباني. صحيح أبي داود ٣/ ٨١٠ ح٣٦١٠.

فوطئوا نساءهم فولدن أولاداً صفراً، قاله ابن الأنباري.

الثاني: أنهم نسبوا إلى الأصفر بن الروم بن عيصو(١) بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، قاله ابن إسحاق.

وهذا أشبه من القول الأول، والهدنة: الصلح، والغاية: الراية، كما جاء مفسراً في الحديث بعده. وسميت بذلك لأنها تشبه السحاب لمسيرها في الجو، والغاية والغياية: السحابة، وقد رواها بعض رواة البخاري: «تحت ثمانين غابة»، بباء مفردة النقطة، وهي الأجمة شبه اجتماع رماحهم وكثرتها بالأجمة التي هي الغابة، والصحيح الأول لأنها تظل الأجناد لكثرة راياتهم واتصال ألويتهم وعلاماتهم كالسحاب الذي يظل الإنسان، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن تحت كل غاية اثني عشر ألفاً، فجملة العدد تسعمائة ألف وستون ألفاً».

وقوله: «ليس له هجيراً»، الدأب والعادة، يقال: ما زال ذلك هجيراه و«أهجيراه» وأجيرياه، أي: دأبه وعادته، و«هاجت»: أي تحركت، «ريح حمراء» أي شديدة احمرت لها الشجر وانكشفت الأرض فظهرت حمرتها، ولما رأى ذلك الرجل جاء مجيء خائف من قرب الساعة، و«الشرطة»: هنا بضم الشين أول طائفة من الجيش تقاتل، سموا بذلك لعلامات تميزوا بها، الأشراط: العلامات، وتفنى الشرطة: أي تقتل، و«تفيء» ترجع، ومنه ﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩]، و«نهد»: تقدم، ومنه سمي النهد نهداً لتقدمه في الصدر، و«الديرة» ويروى الدائرة والمعنى متقارب، قال الأزهري(٢): الدائرة

---

(١) قال صاحب كتاب الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء عليهم السلام ص(١٣٥): عيصو أو عيص كلاهما صواب.

(٢) في تهذيب اللغة له ١٤/ ١١٢.

الدولة تدور على الأعداء، و«الدَّبَرة»: النصر والظفر يقال: لمن الدَّبَرة؟: أي الدولة، وعلى من الدبرة: أي الهزيمة[١] قاله أبو عبيد الهروي[٢]، والجنبات جمع جنبة، ويروى بجثمانهم: أي بأشخاصهم، وقوله: «إذ سمعوا «بناس»: بنون وسين «هم أكثر» بالثاء المثلثة، ويروى «بباس» بباء واحدة، «أكبر»: بباء واحدة أيضاً وهو الأمر الشديد وهو الصواب، لرواية أبي داود: «إذ سمعوا بأمر هو أكبر من ذلك»، والصريخ الصارخ: أي المصوت عند الأمر الهائل ويرفضون: يرمون ويتركون، والطليعة الذي يطلع الأمر ويستكشفه، وتداعي الأمم: اجتماعها ودعا بعضها بعضاً حتى تصير العرب بين الأمم كالقصعة بين الأكلة.

وغثاء السيل: ما يقذف به على جانب الوادي من الحشيش والنبات والقماش، وكذلك الغثّاء بالتشديد والجمع الأغثياء.

باب
ما جاء في قتال الترك وصفتهم

البخاري[٣] عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه، فطس الأنوف صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر».

مسلم[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تقاتلون بين يدي الساعة قوماً نعالهم الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة حمر

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٩٨.
(٢) في كتابه الغريبين في القرآن والسنة ٢/ ٦١٦.
(٣) في صحيحه ٣/ ١٣١٥ ح٣٣٩٥.
(٤) والحديث في صحيحه ٤/ ٢٢٣٣ ح٢٩١٢.

الوجوه صغار الأعين ذلف الأنوف»، وفي رواية[(١)]: «يلبسون الشعر ويمشون في الشعر»، أخرجه **البخاري**[(٢)] أيضاً **وأبو داود**[(٣)] **والنسائي**[(٤)] **والترمذي**[(٥)] **وابن ماجه**[(٦)].

وخرّج **ابن ماجه**[(٧)] عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين عراض الوجوه، كأن أعينهم حدق الجراد، كأن وجوههم المجان المطرقة ينتعلون الشعر ويتخذون الدرق ويربطون خيولهم بالنخيل[(٨)]».

بَابٌ مِنهُ

وما ذكر في البصرة والأيلة وبغداد والإسكندرية

أبو داود **الطيالسي**[(٩)] ثنا الحشرج بن نباته الكوفي قال: ثنا سعيد بن جمهان عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتنزلن طائفة من أمتي أرضاً يقال لها: البصرة ويكثر

---

(١) أخرجها مسلم في صحيحه أيضاً ٤/ ٢٢٣٤ ح٢٩١٢.

(٢) في صحيحه ٣/ ١٠٧٠ ح٢٧٧٠. (٣) في سننه ٤/ ١١٢ ح٤٣٠٣.

(٤) في المجتبى من السنن له ٦/ ٤٤ ح٣١٧٧.

(٥) في جامعه ٤/ ٤٩٧ ح٢٢١٥.

(٦) في سننه ٢/ ١٣٧٢ ح٤٠٩٧، قال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٩١ ح٣٣٠٩.

(٧) في سننه ٢/ ١٣٧٢ ح٤٠٩٩؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ١٤٧ ح٦٧٤٧؛ وأحمد في مسنده ٣/ ٣١ ح١١٢٧٩. قال الألباني: حسن صحيح. صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٩١ ح٣٣٠٩.

(٨) في (ابن ماجه): بالنخل.

(٩) في مسنده ص(١١٧) ح٨٧٠؛ وأحمد في مسنده ٥/ ٤٤ ح٢٠٤٦٩؛ والبزار في مسنده ٩/ ١١٨ ح٣٦٦٧.

بها عددهم ونخلهم ثم يجيء بنو قنطوراء عراض الوجوه صغار العيون حتى ينزلوا على جسر لهم يقال له: دجلة فيفترق المسلمون ثلاث فرق: أما فرقة فتأخذ بأذناب الإبل فتلحق بالبادية فهلكت، وأما فرقة فتأخذ على أنفسها وكفرت فهذه وتلك سواء، وأما فرقة فيجعلون عيالاتهم خلف ظهورهم ويقاتلون قتلاهم[1] شهيد[2] ويفتح الله على بقيتهم».

خرّجه **أبو داود** السجستاني في سننه[3] بمعناه فقال: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس قال: ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال: حدثني سعيد بن جمهان قال: ثنا مسلم بن أبي بكرة قال: سمعت أبي يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له: دجلة يكون عليه جسر، يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين ـ قال ابن يحيى ـ وهو محمد ـ: قال معمر: وتكون من أمصار المسلمين ـ فإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء عراض الوجوه، صغار الأعين، حتى ينزلوا على شط النهر فيفترق أهلها ثلاث فرق: فرقة تأخذ أذناب البقر والتربة فيهلكوا، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلون وهم الشهداء».

فَصْلٌ

قوله: «المجان» بفتح الجيم جمع مجن بكسر الميم وهو الترس، والمطرقة: هي التي قد عدلت بطراق وهو الجلد الذي يغشاه، شبه وجوههم في عرضها ونتوء وجناتها بالترسة المطرقة، قال معناه

---

(١) في (الطيالسي): فقتلاهم. (٢) في (مسند الطيالسي): شهداء.

(٣) ٤/ ١١٣ ح٤٣٠٦، حسّنه الألباني. صحيح أبي داود ٣/ ٨١١ ـ ٨١٢ ح٣٦١٨.

الخطابي[(١)] وغيره، وقيده القاضي عياض في كتاب مشارق الأنوار[(٢)] له، فقال: الصواب فيه: المطَرّقة بفتح الطاء وشد الراء، قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية: قال لي شيخنا المحدث الكبير اللغوي النحوي النحريري أبو إسحاق الخمري: بل الصواب فيه المطْرَقة بسكون الطاء وفتح الراء، أي التي أطرقت بالعقب أي ألبست حتى غلظت كأنها ترس على ترس، ومنه طارقة النعل إذا ركبت جلداً على جلد وخرزته عليه.

قال المؤلف: هذا ما نقلناه عن الخطابي، وقاله أهل اللغة وفي الصحاح[(٣)]: المجان المطرقة التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة المخصوفة، ويقال: أطرقت بالجلد والعصب، أي: ألبست، وترس مطرق، وقوله: «نعالهم الشعر» أي: يصنعون من الشعر حبالاً ويصنعون منها نعالاً كما يصنعون منه ثيابهم، ويشهد لهذا قوله: «يلبسون الشعر ويمشون في الشعر»، هذا ظاهره، ويحتمل: أن يريد بذلك أن شعورهم كثيفة طويلة فهي إذا سدلوها كاللباس وذوائبها لوصولها إلى أرجلهم كالنعال، والأول أظهر، والله أعلم.

وقوله: «يلبسون الشعر» فهو إشارة إلى الشرابيش التي تدار عليها بالقندس، والقندس: كلب الماء، وهو من ذوات الشعر كالمعز، ودواب الصوف كالضأن، ودواب الوبر كالإبل.

وقوله: «ذلف الأنوف» أي غلاظها، يقال: أنف أذلف إذا كان فيه غلظ وانبطاح، وأنوف ذلف، والذلف في اللغة: تأخر الأرنبة، وقيل: تطامن فيها، وقيل: فطس الأنوف كما في حديث البخاري عن

---

(١) انظر: كتابه معالم السنن ٤/ ٣١٩.

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ١/ ٣١٩.

(٣) للجوهري ٥/ ٢٠٩٤.

أبي هريرة، فالحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضاً، ويروى: دلف الأنف بالدال المهملة والمعجمة أكثر.

«خوز كرمان» بالزاي المهملة، إنهما جنسان من الترك.

بَابٌ

سياقة الترك للمسلمين وسياقة المسلمين لهم

روى الإمام أحمد **بن حنبل** في مسنده[1] قال: ثنا أبو نعيم قال: ثنا بشير بن المهاجر قال: حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعت النبي ﷺ يقول: «إن أمتي يسوقها قوم عراض الوجوه[2] صغار الأعين، كأن وجوههم الحَجَف[3] ثلاث مرات حتى يلحقوهم بجزيرة العرب، أما السياقة الأولى: فينجو من هرب منهم، وأما السياقة الثانية فيهلك بعض وينجو بعض، وأما السياقة الثالثة فَيُصْطَلَمُون كلهم، من بقي منهم، قالوا: يا نبي الله من هم؟ قال: هم الترك، قال: أما والذي نفسي بيده ليربطون خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين»، قال: وكان بريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية بعد ذلك للهرب مما سمع من النبي ﷺ من البلاء من الترك.

فَصْلٌ

والاصطلام: الاستئصال، وأصله من الصلم وهو القطع، يقال:

---

(١) ٥/٣٤٨ ح٢٣٠٠١. قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ٧/ ٣١١.

(٢) في (مسند أحمد): الأوجه.

(٣) الحَجَفُ: ضَرْبٌ من التِّرْسَةِ واحدتها حَجَفَةٌ، وقيل: هي من الجلود خاصة. انظر: لسان العرب ٩/ ٣٩.

اصطلمت أذنه إذا استوفيت بالقطع، والحديث يدل على خروجهم وقتالهم المسلمين وقتلهم، وقد وقع ذلك على نحو ما أخبر ﷺ، فخرج منهم في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله، ولا يردهم عن المسلمين إلا الله حتى كأنهم يأجوج ومأجوج أو مقدمهم.

قال المؤلف رحمه الله: فقد كملت والحمد لله خرجاتهم ولم يبق إلا قتلهم وقتالهم، فخرجوا على العراق الثالث بغداد وما اتصل إليها من البلاد، وقتلوا جميع من فيها من الملوك والعلماء والفضلاء والعباد، وحصروا ميافارقين واستباحوا جميع من فيها من المسلمين وعبروا الفرات إلى حلب وخربوها وقتلوا من فيها إلى أن تركوها خالية يبب[1]، ثم أوغلوا إلى أن ملكوا جميع الشام في مدة يسيرة من الأيام، وفلقوا بسيوفهم الرؤوس والهام، ودخل رعبهم الديار المصرية، ولم يبق إلا اللحوق بالدار الأخروية، فخرج إليه من مصر الملك المظفر الملقب بقطز، بجميع من معه من العساكر، وقد بلغت الحناجرَ القلوبُ، والأنفس بعزيمة صادقة ونية خالصة إلى أن التقى بهم بعين جالوت، وكان له عليهم من النصر والظفر كما كان لطالوت، فقُتل منهم جمع كثير وعدد غزير، وارتحلوا عن الشام من ساعتهم ورجع جمعهم كما كان إلى الإسلام وعبروا الفرات منهزمين، ورأوا ما لم يشاهدوه منذ زمان ولا حين، وراحوا خائبين خاسرين مدحورين أذلاء صاغرين.

فَصْلٌ

وقوله: «بغائط»: الغائط المطمئن من الأرض، والبصرة: الحجارة الرخوة، وبها سميت البصرة، وبنو قنطورا: هم الترك، وقيل: هم من

---

(١) أرض يبب، أي: يباب، أي: خراب. انظر: لسان العرب ٨٠٦/١.

ولد يافث وهم أجناس كثيرة، فمنهم أصحاب مدن وحصون، ومنهم: قوم في رؤوس الجبال والبراري والشعاب ليس لهم عمل غير الصيد ومن لم يصد منهم ودج دابته فشوى الدم في مصران فأكله، وهم يأكلون الرخم والغربان وغيرها، وليس لهم دين، ومنهم: من كان على دين المجوس، ومنهم من تهود، وملكهم الذي يقال له: خاقان، يلبس الحرير وتاج الذهب ويحتجب كثيراً، وفيهم بأس شديد وفيهم سحر وأكثرهم مجوس.

وقال وهب بن منبه: الترك بنو عم يأجوج ومأجوج، يعني أنهم كلهم من ولد يافث. وقيل: إن أصل الترك أو بعضهم من اليمن من حمير، وقيل: فيهم إنهم من بقايا قوم تبع، والله أعلم، ذكره أبو عمر ابن عبد البر في كتاب الإنباه[(١)].

باب

من جاء في فضل الشام وأنه معقل من الملاحم

البزار[(٢)] عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام».

أبو داود[(٣)] عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فسطاط

---

(١) ص(٥٣)، طبع بعنوان: القصد والأمم في التعريف بأصول العرب والعجم، تحقيق الأبياري، دار الكتاب العربي، ط. الأولى ١٤٠٥هـ.

(٢) لم أجده في مسند البزار المطبوع. وأخرجه أحمد في مسنده ١٩٨/٥ ح٢١٧٨. قال الهيثمي في المجمع ٥٧/١٠ ـ ٥٨: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) في سننه ١١١/٤ ح٤٢٩٨، صحّحه الألباني. انظر: صحيح أبي داود ٣/ ٨١٠ ح٣٦١١.

المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق من خير مدائن الشام».

باب

ما جاء أن الملاحم إذا وقعت بعث الله جيشاً يؤيد به الدين

ابن ماجه[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقعت الملاحم بعث الله جيشاً من الموالي هم أكرم العرب فرساً وأجوده سلاحاً يؤيد الله بهم الدين».

باب

ما جاء في المدينة ومكة وخرابهما

مسلم[(٢)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تبلغ المساكن إهاب ـ أو يهاب ـ» قال زهير: قلت لسهيل: وكم ذاك من المدينة؟ قال: كذا وكذا ميلاً.

أبو داود[(٣)] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك المسلمون أن يُحَاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح».

قال الزهري: وسلاح قريب من خيبر[(٤)].

وقلت: المسالح: المطالع، ويقال: القوم يستبعد بهم في

---

(١) في سننه ٢/١٣٦٩ ح٤٠٩٠، حسّنه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/٣٩٠ ح٣٣٠٣.

(٢) في صحيحه ٤/٢٢٢٨ ح٢٩٠٣.

(٣) في سننه ٤/٩٧ ح٤٢٥٠، صحّحه الألباني. صحيح أبي داود ٣/٨٠٠ ح٣٥٧٥.

(٤) ذكر أبو داود قول الزهري في سننه ٤/٩٧.

المراصد ويرتبون لذلك، وسموا بذلك لحملهم السلاح.

وقال الجوهري[١]: (والمَسْلَحَة كالثغر والمرقب، وفي الحديث: «كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العُذَيْب[٢]»).

مسلم[٣] عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت قال رسول الله ﷺ يقول: «تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي يريد عوافي السباع والطير، ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشاً حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرّا على وجوههما».

وعنه[٤] قال: قال رسول الله ﷺ للمدينة: «ليتركنها أهلها على خير ما كانت مذللة للعوافي»، يعني السباع والطير.

وعن حذيفة قال: أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة فما منه شيء إلا قد سألته إلا أني لم أسأله ما يُخْرِجُ أهل المدينة من المدينة[٥].

مسلم[٦] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يخرب الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة».

البخاري[٧] عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «كأني به أسود

---

(١) في الصحاح ١/ ٣٧٦.

(٢) العُذَيْب: اسمُ ماء لبني تَميم على مَرْحلة من الكوفة مُسَمَّى بتَصْغِير العَذْب، وقيل: سُمِّي به لأنَّه طَرَف أَرْضِ العَرَب من العَذَبَة وهي طَرفُ الشَّيء. النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٩٥.

(٣) في صحيحه ٢/ ١٠١٠ ح١٣٨٩؛ والبخاري في صحيحه ٢/ ٦٦٣ ح١٧٧٥.

(٤) أي: عن أبي هريرة ﷺ. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ١٠٠٩ ح١٣٨٩.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٧ ح٢٨٩١.

(٦) في صحيحه ٤/ ٢٢٣٢ ح٢٩٠٩؛ والبخاري في صحيحه ٢/ ٥٧٧ ح١٥١٤.

(٧) في صحيحه ٢/ ٥٧٩ ح١٥١٧.

أفحج[١] يقلعها حجراً حجراً».

أبو داود **الطيالسي**[٢] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «يبايع لرجل بين الركن والمقام وأول من يستحل هذا البيت أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده وهم الذين يستخرجون كنزه».

فَصْلٌ

ثبت في الحديث الدعاء للمدينة وأهلها والحث على سكناها فقال النبي ﷺ: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه، ألا إن المدينة كالكير يخرج الخبث لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد»، رواه أبو هريرة ﷺ وخرّجه **مسلم**[٣].

وخرّج[٤] عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء». ونحوه[٥] عن أبي هريرة ﷺ، ومثل هذا كثير وهو خلاف ما تقدم، وإذا كان هذا فظاهره التعارض وليس كذلك، فإن الحض على سكناها

---

(١) الفحج: تباعد ما بين الفخذين. قاله الأصمعي. انظر: غريب الحديث للخطابي ١/ ٣٥٢.

(٢) في مسنده ص(٣٢١) ح٢٣٧٣؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٢٣٩ ح٦٨٢٧؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٢٩١ ح٧٨٩٧. قال الهيثمي في المجمع ٣/ ٢٩٨: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٣) في صحيحه ٢/ ١٠٠٥ ح١٣٨١.

(٤) أي: مسلم في صحيحه ٢/ ١٠٠٨ ح١٣٨٧.

(٥) أي: أخرج مسلم نحوه عن أبي هريرة ٢/ ١٠٠٧ ح١٣٨٦.

إنما كان عند فتح الأمصار ووجود الخيرات بها كما جاء في حديث سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح اليمن فيأتي قوم ينتسبون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتح الشام فيأتي قوم ينتسبون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتح العراق فيأتي قوم ينتسبون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»، رواه الأئمة[(١)] واللفظ **لمسلم**[(٢)].

فحض ﷺ على سكناها حين أخبر بانتقال الناس عنها عند فتح الأمصار لأنها مستقر الوحي، وفيها مجاورته، ولهذا قال: «لا يصبر أحد على لأوائها وشدتها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة»[(٣)]، وقال: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن مات بها»[(٤)]، ثم إذا تغيرت الأحوال واعتورتها الفتن والأهوال كان الخروج منها غير قادح، والانتقال منها حسن غير قادح.

فَصْلٌ

وأما قوله: «من أراد أهل المدينة بسوء فذلك محمول على زمانه وحياته كما في الحديث الآخر: «لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا

---

(١) البخاري في صحيحه ٢/ ٦٦٣ ح١٧٧٦؛ والنسائي في الكبرى ٢/ ٤٨٢ ح٤٢٦٣؛ ومالك في الموطأ ٢/ ٨٨٧ ح١٥٧٣.

(٢) في صحيحه ٢/ ١٠٠٨ ح١٣٨٨.

(٣) الحديث رواه مسلم في صحيحه ٢/ ١٠٠٤ ح١٣٧٧، ح١٣٨٧ بألفاظ فيها تقديم وتأخير، وذكرها ابن عبد البر في التمهيد بنفس لفظ المصنف ٢١/ ٢٥.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ٥/ ٧١٩ ح٣٩١٧؛ وابن ماجه في سننه ٢/ ١٠٣٩ ح٣١١٢؛ وأحمد في مسنده ٢/ ١٠٤ ح٥٨١٨، صحّحه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/ ١٩٧ ح٢٥٢٦.

أخلف الله فيها خيراً منه»[١] وقد خرج منها بعد موته ﷺ من الصحابة من لم يعوضها الله خيراً منه، فدل أن ذلك محمول على حياته؛ فإن الله تعالى كان يعوض أبداً رسوله ﷺ خيراً ممن رغب عنه، وهذا واضح ويحتمل أن يكون قوله: «أذابه الله» كناية عن إهلاكه في الدنيا بعد موته، وقد فعل الله ذلك بمن غزاها وقاتل أهلها كمسلم بن عقبة إذ أهلكه الله منصرفاً عنها إلى مكة لقتال ابن الزبير، ابتلاه الله بالماء الأصفر في بطنه فمات بقديد بعد الوقعة بثلاث ليال[٢].

وقال الطبري: مات بِهَرْشَى[٣] وذلك بعد الوقعة بثلاث ليال، وهرشى جبل من بلاد تهامة على طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة.

وكإهلاك يزيد بن معاوية إثر إغزائه أهل المدينة حرم النبي المختار ﷺ وقتله بها بقايا المهاجرين والأنصار، فمات بعد هذه الوقعة وإحراق الكعبة بأقل من ثلاثة أشهر؛ لأنه توفي بالذبحة وذات الجنب في نصف ربيع الأول[٤] بحوارين من قرى حُمص وحمل إلى دمشق وصلّى عليه ابنه خالد.

فَصْلٌ

وأما قوله: «تتركون المدينة» بتاء المخاطبة فمراده غير المخاطبين: لكن نوعهم من أهل المدينة أو نسلهم[٥]، «وعلى خير ما كانت»: على

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ١٠٠٥ ح١٣٨١.

(٢) انظر: مروج الذهب للمسعودي ٣/ ٨٠؛ وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ٧١.

(٣) قال الطبري في تاريخه ٣/ ٣٦٠: دفن بقفا المشلل، وذكر ابن العماد في شذرات الذهب أنه بهرشى ١/ ٧١؛ ومعجم البلدان ٥/ ٣٩٧.

(٤) انظر: شذرات الذهب ١/ ٧١.

(٥) الذي يظهر لي والله أعلم أن الخطاب أوسع من أن يقيد بنوع أو نسل من شملهم الخطاب في ذلك الوقت.

أحسن حال كانت عليه فيما قيل، وقد وجد هذا الذي قاله النبي ﷺ وذلك أنها صارت بعده ﷺ معدن الخلافة وموضعها ومقصد الناس وملجأهم ومعقلهم حتى تنافس الناس فيها، وتوسعوا في خططها وغرسوا وسكنوا منها ما لم يسكن قبل، وبنوا فيها وشيدوا حتى بلغت المساكن إهاب، فلما انتهت حالها كمالاً وحسناً تناقض أمرها إلى أن أقفرت جهاتها بتغلب الأعراب عليها وتوالي الفتن فيها، فخاف أهلها وارتحلوا عنها وصارت الخلافة بالشام.

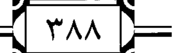
وأما قوله في الراعيين: «حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرّا على وجوههما»، فقيل: سقطا ميتين.

قال علماؤنا: وهذا إنما يكون في آخر الزمان وعند انقراض الدنيا، بدليل ما قال البخاري في هذا الحديث: «آخر من يحشر راعيان من مزينة»، قيل: معناه آخر من يموت فيحشر؛ لأن الحشر بعد الموت، ويحتمل أن يتأخر حشرهما لتأخر موتهما.

وقوله: «وحشاً» يعني خالية، وقوله: «ثنية الوداع» موضع قريب من المدينة مما يلي مكة، وقوله: «خَرَّا على وجوهما» يعني أخذتهما الصعقة حين النفخة الأولى وهو الموت، وقوله: «آخر من يحشر» يعني أنهما بأقصى المدينة فيكونان في أثر من يبعث منهما، ليس أن بعض الناس يخرج بعد بعض من الأجداث إلا بالشيء المتقارب، يقول الله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٢٩] ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقول النبي ﷺ: «يصعق الناس فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أو كان من الذين استثنى الله»(١).

(١) هذا الحديث أصله في البخاري ٣/ ١٢٤٥ ح٣٢١٧.

وقال شيخنا أبو العباس: ويحتمل أن يكون معناه: آخر من يحشر إلى المدينة، أي يساق إليها كما في كتاب مسلم.



في الخليفة الكائن في آخر الزمان المسمى بالمهدي وعلامة خروجه

مسلم[١] عن أبي نضرة قال: كنا جلوساً عند جابر بن عبد الله فقال: «يوشك أهل العراق أن لا يجيء إليهم قَفِيزٌ[٢] ولا درهم، قلنا: من أين؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذلك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجيء إليهم دينار ولا مدى، قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل الروم، ثم سكت هنيهة، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً ولا يعدّه عداً»، قيل لأبي نضرة وأبي العلاء: تريان أنه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، قالا: لا.

فصل

قوله: «ثم يمكث هنيهة» ويروى هُنّية بضم الهاء وتشديد الياء، أي مدة يسيرة تصغير هنة، ويروى بهاهن، ورواه الطبري هنيئة مهموز، وهو خطأ لا وجه له، وفيه دلالة على صدق النبي ﷺ حيث أخبر عما سيكون بعدُ فكان، ومثله الحديث الآخر: «منعت العراق درهمها وقفيزها...» الحديث، أي: ستمنع، وأتى بلفظ الماضي في الإخبار لأنه ماضٍ في علم الله أنه سيكون كقوله جلَّ من قائل: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، والمعنى أنه لا يجيء إليهما كما جاء مفسراً في هذا

(١) في صحيحه ٤/ ٢٢٣٤ ح٢٩١٣.

(٢) مكيال يتواضع الناس عليه. انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٩٠.

الحديث ومعناه والله أعلم: سيرجعون عن الطاعة ويأبون من أداء ما وُصِفَ عليهم في آخر الأمر؛ وذلك أنهم يرتدون عن الإسلام وعن أداء الجزية، ولم يكن ذلك في زمانه، ولكن أخبر أنهم سيفعلون ذلك.

قوله: «يحثي المال حثياً»، ويقال: حثا يحثو ويحثي وأحث بكسر الثاء وضمها كله بمعنى اغرف بيديك.

بَابٌ مِنهُ

آخر في المهدي وصفته واسمه وعطائه ومكثه

أبو داود(١) عن أبي سعيد الخدري ﵁ أن النبي ﷺ قال: «يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع وإلا فتسع تنعم فيه أمتي نعمة لم يسمعوا بمثلها قط، تؤتي أكلها ولا تترك منهم شيئاً، والمال يومئذٍ كدوس، يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ».

وخرّج(٢) أيضاً عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني، أجلى الجبهة(٣) أقنى(٤) الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين».

أبو داود(٥) عن عبد الله ﵁ عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من

---

(١) لم أجده في سنن أبي داود، أو مسند أبي داود الطيالسي، وهو في سنن ابن ماجه ٢/١٣٦٦ ح٤٠٨٣؛ والحاكم في مستدركه ٤/٦٠١ ح٨٦٧٥، حسّنه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/٣٨٩.
(٢) أبو داود في سننه ٤/١٠٧ ح٤٢٨٥.
(٣) هو الذي انحسر الشعر عن مقدم رأسه والجبهة. انظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١/٣٠٩.
(٤) القنى في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حدب في وسطه. النهاية في غريب الحديث ٤/١١٦.
(٥) في سننه ٤/١٠٦ ح٤٢٨٢؛ والطبراني في الكبير ١٠/١٣٥ ح١٠٢٢٢.

الدنيا إلا يوم، ـ قال زائدة: في حديثه ـ لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أمتي أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي». خرّجه **الترمذي**(١) بمعناه، وقال: حديث حسن صحيح.

وخرّج **الترمذي**(٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خشينا أن يكون بعد نبينا ﷺ حدث فسألنا النبي ﷺ فقال: «إن في أمتي المهدي، يخرج يعيش خمساً ـ أو سبعاً أو تسعاً ـ»، زيد الشاك، قلنا(٣): وما ذاك؟ قال: «فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله». قال: هذا حديث حسن.

وذكر **أبو نعيم**(٤) الحافظ من حديث محمد بن الحنفية عن أبيه علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله عز وجل في ليلة ـ أو قال: في يومين ـ».

باب

ما جاء في فتح قسطنطينة ومن أين تفتح وفتحها علامة خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه

مسلم(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأَعْمَاق أو بدابِق(٦) فيخرج إليهم جيش من

---

(١) في جامعه ٤/ ٥٠٥ ح٢٢٣٠. قال الألباني: حسن صحيح.

(٢) ٤/ ٥٠٦ ح٢٢٣٢. قال الألباني: حسن صحيح. صحيح الترمذي ٢٢٤٧ ح١٨٢٠.

(٣) في (جامع الترمذي): قال قلنا.

(٤) في الحلية ٣/ ١٧٧؛ وابن ماجه في سننه ٢/ ١٣٦٧ ح٤٠٨٥؛ وأحمد في مسنده ١/ ٨٤ ح٦٤٥. قال الألباني: حسن صحيح. صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٨٩ ح٣٣٠٠.

(٥) في صحيحه ٤/ ٢٢٢١ ح٢٨٩٧.

(٦) الأعماق ودابق: موضعان بالشام بقرب حلب. انظر: شرح النووي على مسلم ١٨/ ٢١.

المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سَبَوْا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله تعالى، ويفتح الثلث لا يفتتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينة[1]، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فأمّهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده[2] فيريهم دمه في حربته».

وخرّج **مسلم**[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سمعتم بمدينة جانب منها في البرّ وجانب منها في البحر، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها، قال ثور: لا أعلمه، قال: إلا الذي في البحر، ثم يقول الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم يقول الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون».

الترمذي[4] عن أنس رضي الله عنه قال: «فتح قسطنطينية مع قيام الساعة» هكذا رواه موقوفاً وقال: حديث غريب.

---

(١) في (صحيح مسلم): قسطنطينية. (٢) أي: بيد عيسى عليه السلام.

(٣) في صحيحه ٤/٢٢٣٨ ح٢٩٢٠.

(٤) في جامعه ٤/ ٥١٠ ح٢٢٣٩، صحيح الإسناد، موقوف. صحيح الترمذي ٢/ ٢٤٨.

(والقسطنطينة مدينة الروم وتفتح عند خروج الدجال. والقسطنطينة قد فتحت في زمن بعض أصحاب النبي ﷺ)[١].

قلت: هو عثمان بن عفان رضي الله عنه. ذكر الطبري في التاريخ[٢] له: ثم دخلت سنة سبع وعشرين، ففيها كان فتح أفريقية على يد عبد الله بن أبي سرح، وذلك أن عثمان رضي الله عنه لما ولى عمرو بن العاص على عمله بمصر كان[٣] لا يعزل أحداً إلا عن شكاية وكان عبد الله ابن أبي سرح من جند مصر، فأمّره عثمان رضي الله عنه على الجند ورماه بالرجال وسرحه إلى أفريقية، وسرح معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين، فلما فتح الله تعالى أفريقية خرج عبد الله وعبد الله إلى الأندلس، فأتياها من قبل البحر، وكتب عثمان رضي الله عنه إلى من انتدب من الأندلس: (أما بعد فإن القسطنطينة إنما تفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن فتحتموها كنتم الشركاء في الأجر).

فيقال: إنها فتحت في تلك الأزمان، وستفتح مرة أخرى كما في أحاديث هذا الباب والذي قبله.

باب
أشراط الساعة وعلاماتها

فأما وقتها فلا يعلمه إلا الله تعالى، وفي حديث جبريل: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل...) الحديث، خرّجه **مسلم**[٤].

---

(١) هذا نص كلام الترمذي في جامعه في الموضع المتقدم.

(٢) ٢/ ٥٩٧.

(٣) في (تاريخ الطبري): وكان.

(٤) في صحيحه ١/ ٣٩ ح٩؛ والبخاري في صحيحه ١/ ٢٧ ح٥٠.

فَصْلٌ

قال العلماء رحمة الله عليهم: والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها تنبيه الناس عن رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كيلا يعافصوا بالحول بينهم وبين تدارك الفوارط منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانفطموا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، والله أعلم.

وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها، فمنها خروج الدجال، ونزول عيسى وقتله الدجال، ومنها خروج يأجوج ومأجوج، ودابة الأرض، ومنها طلوع الشمس من مغربها، هذه هي الآيات العظام على ما يأتي[١] بيانه، وأما ما يتقدم هذه من قبض العلم، وغلبة الجهل واستيلاء أهله، وبيع الحكم[٢]، وظهور المعازف، واستفاضة شرب الخمور واكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال، وإطالة البنيان وزخرفة المساجد، وإمارة الصبيان، ولعن آخر هذه الأمة أولها، وكثرة الهرج. فإنها أسباب حادثة ورواية الأخبار المنذرة بها، فعندها صار الخبر بها عياناً تكلفٌ، لكن لا بد من ذكرها حتى يوقف عليها وتتحقق بذلك معجزة النبي ﷺ وصدقه في كل ما أخبر به ﷺ.

بَابٌ

قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»

مسلم[٣] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت

---

(١) ص(٤١٠).

(٢) الذي يظهر والله أعلم أن المراد بيع الحكم: شراء ذمم القضاة ومن على شاكلتهم.

(٣) في صحيحه ٤/٢٢٦٩ ح٢٩٥١.

أنا والساعة كهاتين»، قال: «وضم السبابة والوسطى».

وروي من طرق أخرجها البخاري[(١)] ومسلم[(٢)] والترمذي[(٣)] وابن ماجه[(٤)] ومعناها كلها على اختلاف ألفاظها تقريب أمر الساعة التي هي القيامة وسرعة مجيئها، وهذا كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧] وقوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١]، وقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١]، وقال: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

ويروى أن النبي ﷺ لما نزل عليه: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وثب، فلما نزلت: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ جلس، قال بعض العلماء: إنما وثب ﷺ خوفاً منه أن تكون الساعة قد قامت.

وقال الضحاك[(٥)] والحسن: أول أشراطها محمد ﷺ.

فَصْلٌ

إن قيل: ثبت أن النبي ﷺ سئل عن الساعة فقال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، وهذا يدل على أنه كان عالماً فكيف يأتلف الخبران؟! قيل له: قد نطق القرآن بقوله الحق: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فلم يكن يعلمها هو ولا غيره.

وأما قوله: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، فمعناه: أنا النبي الآخر فلا يليني نبي آخر، وإنما تليني القيامة كما تلي السبابة الوسطى، وليس بينهما إصبع آخر، وهذا لا يوجب أن يكون له علم بالساعة

---

(١) في صحيحه ٤/ ١٨٨١ ح٤٦٥٢. (٢) في صحيحه ٢/ ٥٩٢ ح٨٦٧.
(٣) في جامعه ٤/ ٤٩٦ ح٢٢١٤. (٤) في سننه ١/ ١٧ ح٤٥.
(٥) ذكر قوله الماوردي في تفسيره ٥/ ٢٩٩.

نفسها، وهي مع ذلك دانية؛ لأن أشراطها متتابعة، وقد ذكر الله الأشراط في القرآن فقال ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾، أي: دنت، وأولها النبي ﷺ؛ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي، ثم بيّن ﷺ ما يليه من أشراط الساعة فقال: «أن تلد الأمة ربتها...» إلى غير ذلك مما سنذكره ونبيّنه بحول الله في أبواب إن شاء الله تعالى.

باب

أمور تكون بين يدي الساعة

البخاري(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال، فيفيض وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي فيه، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس أجمعون فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها».

---

(١) في صحيحه ٢٦٠٥/٦ ح٦٧٠٤.

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: هذه ثلاث عشرة علامة، جمعها أبو هريرة في حديث واحد، ولم يبق بعد هذا ما ينظر فيه من صحيح العلامات والأشراط، وفي عموم إنذار النبي ﷺ بفساد الزمان وتغير الدين وذهاب الأمانة ما يغني عن ذكر التفاصيل الأباطلة والأحاديث الكاذبة في أشراط الساعة.

وقد سمعت من بعض أصحابنا أن ما وقع في التاريخ من حديث أبي سعيد الخدري إنما ذلك بعد المائة التي قال النبي ﷺ: «إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة»(١)، في رواية: قال أنس: «ذلك الغلام من أترابي يومئذ». خرّجه **مسلم**(٢).

وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما على الأرض نفس منفوسة - يعني اليوم - يأتي عليها مائة سنة»(٣)، قال أبو عيسى(٤): هذا حديث حسن، ومعلوم أن أنساً توفي في عشر المائة بالبصرة، فعلى هذا يكون سنة تسع وتسعين وستمائة، وهذا لم يجيء بعد، والله أعلم.

باب منه

مسلم(٥) عن أبي أهريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات دوس حول ذي الخلصة»، وكانت صنماً تعبدها دوس في الجاهلية.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٩ ح٢٩٥٣.
(٢) في صحيحه ٤/ ٢٢٧٠ ح٢٩٥٣.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٦٦ ح٢٥٣٨.
(٤) في جامعه ٤/ ٥٢٠ ح٢٢٥٠.
(٥) في صحيحه ٤/ ٢٢٣٠ ح٢٩٠٦.

وعنه[١] أن رسول الله ﷺ قال: «لا تذهب الليالي حتى يملك رجل يقال له: الجهجاه».

في غير مسلم: «رجل من الموالي يقال له: جهجاه»[٢].

وعنه[٣] أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه».

وخرّج **البخاري**[٤] **ومسلم**[٥] عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى».

الترمذي[٦] عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرج نار من حضرموت أو من نحو حضرموت قبل القيامة، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام». قال: حديث حسن غريب صحيح من حديث ابن عمر.

البخاري[٧] عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب».

مسلم[٨] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم

---

(١) أي: عن أبي هريرة، أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٢ ح٢٩١١.
(٢) رواها الترمذي في جامعه ٤/ ٥٠٤ ح٢٢٢٨؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٣٢٩ ح٨٣٤٦؛ والطبراني في الكبير ١٨/ ٨٥ ح١٥٧.
(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري ٣/ ١٢٩٦ ح٣٣٢٩؛ ومسلم ٤/ ٢٢٣٢ ح٢٩١٠ في صحيحهما واللفظ متفق عليه.
(٤) في صحيحه ٦/ ٢٦٠٥ ح٦٧٠١. (٥) في صحيحه ٤/ ٢٢٢٧ ح٢٩٠٢.
(٦) في جامعه ٤/ ٤٩٨ ح٢٢١٧؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٨ ح٤٥٣٦، صحّحه الألباني. صحيح الترمذي ٢/ ٢٤٣ ح١٨٠٥.
(٧) في صحيحه ٦/ ٢٦٠٥ في ترجمة الباب.
(٨) في صحيحه ٢/ ٧٠١ ح١٥٧.

الساعة حتى يكثر المال، ويفيض، وحتى يخرج الرجل زكاة ماله لا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً».

فَصْلٌ

قوله: «حول ذي الخلصة» ثبت حديث ذي الخلصة في الصحيحين[(١)] أن رسول الله ﷺ بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى أهل هذا البيت، قال جرير: فنفرت إليه في مائة وخمسين من أحمس فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده.

قال ابن دريد[(٢)]: واختُلف فيه، فقيل: هو بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب.

وقيل: هو صنم كان عمرو بن لحي نصبه بأسفل مكة حين نصب الأصنام في مواضع شتى، وكانوا يلبسونه القلائد ويعلقون عليه بيض النعام ويذبحون عنده.

وقيل: ذو الخلصة هي الكعبة اليمانية فكأن معناهم في تسميتهم بذلك أن عبادة خلصة، والمعنى المراد بالحديث: أنهم يرتّدون ويرجعون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان، فترمل نساء دوس طائفات حوله فترتج أردافهن عند ذلك في آخر الزمان، وذلك بعد موت جميع من في قلبه مثقال حبة من الإيمان، وهو كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تذهب الليالي والأيام حتى تُعبد اللات والعزى...» الحديث.

---

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٢٥ ح٢٤٧٦، واللفظ له؛ والبخاري ٤/ ١٥٨٢ ح٤٠٩٧.

(٢) أبو بكر محمد بن الحسين بن دُرَيد الأزدي، شيخ الأدب، توفي سنة ٣٢١هـ. السير ١٥/ ٩٦. وانظر: جمهرة اللغة له ٢/ ٢٢٦.

وقوله: «يسوق الناس بعصاه» كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه، ولم يُرد نفس العصا وإنما ضرب بها مثلاً لطاعتهم له واستيلائه عليهم، إلا أن في ذكرها دليلاً على خشونته عليهم وعسفه بهم، وقد قيل: إنه يسوقهم بعصاه كما تساق الإبل والماشية، وذلك لشدة عنفه وعدواه، ولعل هذا الرجل القحطاني هو الرجل الذي يقال له: الجهجاه، وأصل الجهجة الصياح بالسبع، يقال: جهجهت بالسبع، أي: زجرته بالصياح، ويقال: تجهجه عني، أي: انته، وهذه الصفة توافق ذكر العصا، والله أعلم.

ثبت عن رسول الله ﷺ من رواية عابد بن عمرو وكان ممن بايع تحت الشجرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن شر الرعاء الحطمة»[1]، والرعاء في اللغة جمع راعٍ، وضرب رسول الله ﷺ هذا مثلاً لوالي السوء؛ لأن الحطمة هو الذي يعنف بالإبل في السوْق والإيراد والإصدار فيحطمها أي: يكسرها ولا يكاد يسلم من فساده شيء، وسوّاق حطم كذلك يعنف في سوْقه.

وقوله: «حتى تخرج نار من أرض الحجاز»، فقد خرجت نار عظيمة وكان بدؤها زلزلة عظيمة، وذلك ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة إلى ضحى النهار يوم الجمعة، فسكنت وظهرت النار بقريظة عند قاع التنعيم بطرف الحرة تحيط بها، تُرى في صورة البلد العظيم كأعظم ما يكون من البلاد، عليها سور يحيط بها عليه، شراريف كشراريف الحصون وأبراج ومواذن، ويُرى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور والجبال

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٥/ ٦٤ ح٢٠٦٥٦؛ والطبراني في الكبير ١٨/ ١٧ ح٢٦، صحيح. انظر: حاشية مسند أحمد ٣٤/ ٢٤٠ ح٢٠٦٣٧.

بين يديه وينتهي إلى الحرة محط الركب العراقي فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار إلى قرب المدينة، وكان يلي المدينة ببركة النبي ﷺ نسيم بارد، ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر وانتهت إلى قرية من قرى اليمن فأحرقتها، قال لي بعض أصحابنا: ولقد رأيتها صاعدة في الهواء من حِجْر[1] مسيرة خمسة أيام من المدينة.

قلت: وسمعت أنها رُئيت من مكة ومن جبال بصرى.

قلت: ونشأ من بعدِ هذه النار نار أخرى أرضية بحرم المدينة أحرقت جميع الحرم حتى إنها أذابت الرصاص التي العمد عليها فوقعت ولم يبق غير السور واقفاً، ونشأ بعد ذلك أخذ بغداد بتغلب التتر عليها، فقتل من كان فيها وسباه وذلك عمود الإسلام ومأواه، فانتشر الخوف وعظم الكرب وعم الرعب وكثر الحزن بانتشار التتر بالبلاد وبقي الناس حيارى سكارى بغير خليفة ولا إمام فوضاً فوضاً، فزادت الفتنة وعظمت المحنة إن لم يتدارك الله سبحانه بالعفو والفضل والمنة.

وقوله: «عذبة سوطه» يريد السير المعلق في طرف السوط.

وقوله: «حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»، إخباراً عن خروج عادتهم من انتجاع الكلأ ومواضع العشب بحفر الآبار وغرس الأشجار وبناء الديار، والله أعلم.

بَابٌ مِنهُ آخر

أبو عمر[2] عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن بين يدي

---

(١) قرية بقرب الفُرُع، تقع شرق رابغ بمسافة مائة كيل. انظر: المعالم الأثيرة في السنّة النبوية ص(٩٧) لمحمد شراب.

(٢) في التمهيد ١٧/٢٩٧؛ وأحمد في مسنده ١/٤٠٧ ح٣٨٧٠؛ والحاكم في مستدركه ٤/ ١١٠ ح٧٠٤٣.

الساعة التسليم على الخاصة، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وفشو القلم، وظهور شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق».

قال أبو عمر[١]: أما قوله: «وفشو القلم»، فإنه أراد ظهور الكتاب وكثرة الكتاب.

بَابٌ مِنهُ

البخاري[٢] عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيّم الواحد». أخرجه مسلم[٣] من حديث أنس.

مسلم[٤] عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل بالصدقة[٥] من الذهب لا يجد أحداً يأخذها منه، ويرى الرجل الواحد تتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء».

فَصْلٌ

قوله: «ويرى الرجل الواحد تتبعه أربعون امرأة»، يريد والله أعلم أن الرجال يقتلون في الملاحم وتبقى نساؤهم أرامل فيقبلن على الرجل الواحد في قضاء حوائجهن ومصالح أمورهن كما قال في الحديث

---

(١) في التمهيد له ١٧/ ٢٩٧.

(٢) في صحيحه ١/ ٤٣ ح٨١، ٦/ ٢٤٩٧ في كلا الموضعين من رواية أنس رضي الله عنه.

(٣) في صحيحه ٤/ ٢٠٥٦ ح٢٦٧١. (٤) في صحيحه ٢/ ٧٠٠ ح١٠١٢.

(٥) في (صحيح مسلم): يطوف الرجل فيه بالصدقة.

الآخر قبله: «حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد الذي يسوسهن ويقوم عليهن من بيع وشراء وأخذ وعطاء»، وقد كان هذا عندنا أو قريب منه بالأندلس.

وقيل: إن ذلك لقلة الرجال وغلبة الشبق على النساء يتبع الرجل الواحد أربعون امرأة كل واحدة تقول: انكحني انكحني، والأول: أشبه والله أعلم، ويكون معنى يلذن يستترن ويتحرزن من الملاذ الذي هو السترة لا من اللذة.

باب

كيف يقبض العلم

البخاري[١] **ومسلم**[٢] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناسٌ جهال يستفتون، يفتون برأيهم فيضلون ويضلون».

وفي رواية: «حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».



ما جاء أن الأرض تخرج ما في جوفها من الكنوز والأموال

روى الأئمة[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) في صحيحه ٦/ ٢٦٦٥ ح٦٨٧٧ واللفظ له.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢٠٥٨ ح٢٦٧٣.

(٣) البخاري ٦/ ٢٦٠٥ ح٦٧٠٢؛ ومسلم ٤/ ٢٢١٩ ح٢٨٩٤ في صحيحهما؛ وأبو داود في سننه ٤/ ١١٥ ح٤٣١٣؛ والترمذي في جامعه ٤/ ٦٩٨ ح٢٥٦٩.

«يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره لا يأخذ منه شيئاً».

وفي رواية: «عن جبل من ذهب»، لفظ البخاري[١] ومسلم[٢]، وقال مسلم في رواية: «فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل واحد[٣] منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو».

وقال ابن ماجه[٤]: فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل عشرة تسعة.

وخرّج **مسلم**[٥] **والترمذي**[٦] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً»، لم يذكر الترمذي السارق وقطع يده، وقال: هذا حديث حسن غريب.

باب

في ولاة آخر الزمان وصفتهم وفيمن ينطق في أمر العامة

البخاري[٧] عن أبي هريرة ﷺ قال: «بينا[٨] نحن عند رسول الله ﷺ في مجلس يحدث القوم إذ جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه، فقال بعض القوم: سمع ما

(١) في صحيحه ٦/ ٢٦٠٥ ح٦٧٠٢. (٢) في صحيحه ٤/ ٢٢٢٠ ح٢٨٩٤.
(٣) في (صحيح مسلم): كل رجل.
(٤) في سننه ٢/ ١٣٤٣ ح٤٠٤٦؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٨٦ ح٦٦٩٢؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٢٦١ ح٧٥٤٥.
(٥) في صحيحه ٢/ ٧٠١ ح١٠١٣. (٦) في جامعه ٤/ ٤٩٣ ح٢٢٠٨.
(٧) في صحيحه ١/ ٣٣ ح٥٩. (٨) في (صحيح البخاري): بينما.

قال، فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع ما قال حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا ذا يا رسول الله، قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

وخرّج **مسلم**[١] من حديث جبريل الطويل وفيه: «قال: فأخبرني عن الساعة قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان».

وفي رواية[٢]: «إذا رأيت المرأة تلد ربها فذاك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها».

الترمذي[٣] عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع». قال: حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث عمرو بن أبي عمرو.

فَصْلٌ

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الباب وغيره مما تقدم قد ظهر أكثره وشاع في الناس معظمه فوسد الأمر إلى غير أهله، وصار رؤوس الناس أسافلتهم عبيدهم وجهالهم فيملكون البلاد والحكم في العباد فيجمعون الأموال ويطيلون البنيان كما

---

(١) في صحيحه ١/٣٦ ـ ٣٧ ح٨.
(٢) أخرجها مسلم في صحيحه ١/٤٠ ح١٠.
(٣) في جامعه ٤/٤٩٣ ح٢٢٠٩، صحّحه الألباني. صحيح الترمذي ٢/٢٤٢ ح١٧٩٩.

هو مشاهد في هذه الأزمان، لا يسمعون موعظة ولا ينزجرون عن معصية فهم صم بكم عمي.

قوله: «رعاء الشاء»، وقوله: «أن تلد الأمة ربها»، وفي رواية: «ربتها» تأنيث رب، أي :سيدها.

(وقال وكيع: هو أن تلد العجم العرب)، ذكره **ابن ماجه** في السنن[(١)].

وقال علماءنا: وذلك بأن يستولي المسلمون على بلاد الكفر فيكثر التسري فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه ومنزلته بأبيه، وعلى هذا فالذي يكون من أشراط الساعة استيلاء المسلمين واتساع خطتهم وكثرة الفتوح، وهذا قد كان.

وقيل: هو أن يبيع السادات أمهات الأولاد ويكثر ذلك فيتداول الملاك المستولدة فربما يشتريها ولدها ولا يشعر فيكون ربها، وعلى هذا فالذي يكون من أشراط الساعة غلبة الجهل بتحريم أمهات الأولاد واستهانة الناس بالأحكام، وهذا على قول من قال بتحريم بيع أمهات الأولاد وهم الجمهور[(٢)].

وقيل: المراد أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة والسب.

قلت: وهذا ظاهر في الوجود من غير نكير، مستفيض وشهير.

قلت: وقول خامس سمعت شيخنا الأستاذ المحدث النحوي المقري أبا جعفر أحمد بن محمد القيسي القرطبي المعروف بأبي حجة

---

(١) ١/ ٢٤ ح٦٣.

(٢) انظر: الأم للشافعي ٧/ ١٧٥؛ والمغني لابن قدامة ١٠/ ٤١٤؛ والمحلّى لابن حزم ٩/ ٢٧٦؛ بداية المجتهد لابن رشد ٢/ ٢٩٤.

يقول: (وهو الإخبار عن استيلاء الكفار على بلاد المسلمين كما في هذه الأزمان التي قد استولى فيها العدو على بلاد الأندلس وخراسان وغيرهما من البلدان، فتسبى المرأة وهي حبلى وولدها صغير فيفرق بينهما فيكبر الولد فربما يجتمعان ويتزوجان كما قد وقع من ذلك كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون).

بَابٌ مِنهُ[1]

ابن ماجه[2] عن أبي مالك الأشعري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير».

خرّجه **أبو داود**[3] عن مالك بن أبي مريم قال: دخلنا على عبد الرحمٰن بن غنم فتذاكرنا الطِّلاء[4]، قال: حدثنا أبو مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها». زاد ابن أبي شيبة[5]: «يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض».

---

(١) الضمير يرجع إلى باب محذوف تقدمه بعنوان: إذا فعلت هذه الأمة خمس عشرة خصلة حل بها البلاء.

(٢) في سننه ٢/ ١٣٣٣ ح٤٠٢٠، صحّحه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٧١ ح٣٨٧.

(٣) في سننه ٣/ ٣٢٩ ح٣٦٨٨، صحّحه الألباني. صحيح أبي داود ٢/ ٧٠٣ ح٣١٣٥.

(٤) الطِّلاء: بالكسر والمد، شراب مطبوخ من عصير العنب. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٣٧.

(٥) في مصنفه ٥/ ٦٨ ح٢٣٧٥٨.

وخرّجه **البخاري**[١] عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ﵄ سمع النبي ﷺ قال: «ليكونن من أمتي ناس[٢] يستحلون الحر والحرير والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة[٣] فيقولوا: ارجع إلينا غداً، فيبيِّتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة».

باب
في رفع الأمانة والإيمان من القلوب

روى الأئمة **البخاري**[٤] **ومسلم**[٥] **وابن ماجه**[٦] وغيرهم[٧] واللفظ لمسلم عن حذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، - قال ابن ماجه: قال الطنافسي يعني: وسط قلوب الرجال - ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء، ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله فنفط، فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً حتى يقال: للرجل ما

---

(١) في صحيحه ٥/ ٢١٢٣ ح٥٢٦٨.
(٢) في (صحيح البخاري): من أمتي أقوام يستحلون.
(٣) في (صحيح البخاري): يأتيهم يعني الفقير لحاجة.
(٤) في صحيحه ٥/ ٢٣٨٢ ح٦١٣٢.
(٥) في صحيحه ١/ ١٢٦ - ١٢٧ ح١٤٣.
(٦) في سننه ٢/ ١٣٤٦ ح٤٠٥٣.
(٧) الترمذي في جامعه ٤/ ٤٧٤ ح٢١٧٩؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ١٦٤ ح٦٧٦.

أجلده، أظرفه ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولقد أتى عليّ زمان ما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلماً ليردنه عليّ دينه ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه علي ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً».

فَصْلٌ

الجذر بالدال المعجمة، ويقال بفتح الجيم وكسرها وهو الأصل من كل شيء من النسب والحساب والشجر وغيره، والوكْت بإسكان الكاف هو الأثر اليسير، يقال: وكتت البسرة إذا ظهرت فيها نكتة من الأرطاب، وهو مصدر وكته يكته وكتاً وهو أيضاً مثل: ونكتة في العين وغيرها. والمجل: هو النفخ الذي يرتفع من جلد باطن اليد عند العمل بفأس أو محداف أو نحوه يحتوي على ماء، ثم يصلب ويبقى عقداً.

«كجمر دحرجته»: يعني أطلقته، فتطلق ظهر البطن من يديك. وقول حذيفة: ولقد أتي علي زمان...، الحديث يعني كانت الأمانة موجودة ثم قلّت في ذلك الزمان، وقوله: «ليردنه عليّ ساعيه» يعني من كان رئيساً مقدماً فيهم والياً عليهم أن ينصفني منه وإن لم يكن له إسلام وكل من تولى على قوم فهو ساعٍ لهم.

بَابٌ

في ذهاب العلم ورفعه
وما جاء أن الخشوع والفرائض أول علم يرفع من الناس

ابن ماجه[1] قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: ثنا وكيع قال:

(١) في سننه ٢/ ١٣٤٤ ح٤٠٤٨؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١٤٥ ح٣٠١٩٩، صحّحه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٧٧ ح٣٢٧٢.

ثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن زياد بن لبيد قال: ذكر النبي ﷺ شيئاً فقال: «ذاك عند أوان ذهاب العلم، قلت: يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: ثكلتك أمك زياد؛ إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرأون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء منها».

وخرّج **الترمذي**(١) عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء، فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرؤه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا؟ فقال: ثكلتك أمك يا زياد: إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يغني عنهم. قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت فقلت: ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء، قال: صدق أبو الدرداء، إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً».

باب

في دروس الإسلام وذهاب القرآن

ابن ماجه(٢) قال: ثنا علي بن محمد قال: ثنا أبو معاوية عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن خراش عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) في جامعه ٥/ ٣١ ح٢٦٥٣؛ والدارمي في سننه ١/ ٩٩ ح٢٨٨؛ والحاكم في مستدركه ١/ ١٧٩ ح٣٣٨، صحّحه الألباني. صحيح الترمذي ٢/ ٣٣٧ ح٢١٣٧.

(٢) في سننه ٢/ ١٣٤٤ ح٤٠٤٩، صحّحه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٧٨ ح٣٢٧٣.

رسول الله ﷺ: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسري على كتاب الله تعالى في ليلة، فلا يبقى منه في الأرض آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله فنحن نقولها»، قال له صلة[1]: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة، فأعرض عنه حذيفة ثم رددها عليه ثلاثاً: كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه حذيفة فقال: يا صلة تنجيهم من النار ثلاثاً.

بَابٌ

العشر آيات التي تكون قبل الساعة وبيان قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾.

خرّج **مسلم**[2] عن حذيفة قال: اطلع رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة قال: «لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم، وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا». أخرجه ابن ماجه[3] والترمذي[4] وقال: حديث حسن.

---

(١) صلة بن زفر العبسي، أبو العلاء الكوفي، روى عن حذيفة وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، توفي في زمن مصعب بن الزبير وولايته للعراق. انظر: تهذيب الكمال ١٣/ ٢٣٣؛ السير ٤/ ٥١٧.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢٢٢٦ ح٢٩٠١.

(٣) في سننه ٢/ ١٣٤٧ ح٤٠٥٥، صحّحه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٧٥ ح٣٢٦٦.

(٤) في جامعه ٤/ ٤٧٧ ح٢١٨٣.

وفي رواية[(١)]: «الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

وفي **البخاري**[(٢)] عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب».

مسلم[(٣)] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً منها».

فصل

جاءت هذه الآيات في هذه الأحاديث مجموعة غير مرتبة، وقد جاء ترتيبها من حديث حذيفة أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه فاطلع إلينا فقال: «ما تذكرون؟ قلنا: الساعة، قال: إن الساعة لا تكون حتى تروا عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس».

وقال بعض الرواة في العاشرة: «ونزول عيسى ابن مريم»، وقال بعضهم: «وبريح تلقي الناس في البحر»، أخرجه **مسلم**[(٤)]، فأول

---

(١) أخرجها مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٢٥ ح٢٩٠١.
(٢) في صحيحه ٦/ ٢٦٠٥، ذكره ضمن ترجمة الباب.
(٣) في صحيحه ٤/ ٢٢٦٠ ح٢٩٤١.
(٤) في صحيحه ٤/ ٢٢٢٦ ح٢٩٠١.

الآيات على ما في هذه الروايات الخسوفات الثلاثة، وقد وقع بعضها في زمن النبي ﷺ، وقد تقدم[١].

قلت : وقد وقع ذلك عندنا بشرق الأندلس فيما سمعناه من بعض مشائخنا بقرية يقال لها: قُطْرُ ظُنْدة من تطْردَانية[٢] سقط عليها جبل هناك فأذهبها.

وأخبرني أيضاً بعض أصحابنا أن قرية من أعمال برقة يقال لها: ترسة أصابها زلزلة هدت حيطانها وسقفها على أهلها فماتوا تحتها ولم ينج منهم إلا قليل.

ووقع في هذا الحديث دابة الأرض قبل يأجوج وماجوج وليس كذلك، فإن أول الآيات ظهور الدجال، ثم نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ثم خروج يأجوج ومأجوج فإذا قتلهم الله بالنغف في أعناقهم على ما يأتي[٣] وقبض الله تعالى نبيه عيسى وخلت الأرض منه وتطاولت الأيام على الناس، وذهب عظم دين الإسلام، أخذ الناس في الرجوع إلى عادتهم وأحدثوا الأحداث من الكفر والفسوق كما أحدثوه بعد كل قائم نصبه الله تعالى حجة ونبيهم حجة عليهم، ثم قَبَضَهُ فيخرج الله تعالى لهم دابة من الأرض فتميز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم والفساق عن فسقهم، وليتبصروا وينزعوا عما هم فيه من الفسوق والعصيان، ثم تغيب الدابة عنهم ويمهلون فإذا أصروا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها ولم يقبل بعد ذلك لكافر ولا فاسق توبة، وأزيل الخطاب والتكليف عنهم، ثم كان قيام الساعة على أثر ذلك قريباً؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ

---

(١) ص(٤١١).

(٢) هكذا ضبطها المصنف في مسودته.

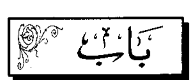
(٣) ص(٤٢٤).

وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإذا قطع عنهم التعبد لم يقرهم بعد ذلك في الأرض زماناً طويلاً، هكذا ذكره بعض العلماء، والله أعلم.

وأما الدابة فهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢]، وذكر أهل التفسير أنه خلق عظيم يخرج من صدع من الصفا[١] لا يفوتها أحد، فتسم المؤمن فتنير وجهه ويكتب بين عينيه مؤمن، وتسم الكافر فيسود وجهه ويكتب بين عينيه كافر.

وأما قوله: «وآخر ذلك نار تخرج من اليمن»، وفي الرواية: «من قعر عدن»، وفي الرواية الأخرى: «من أرض الحجاز»، قال القاضي عياض: (فلعلهما ناران تجتمعان لحشر الناس، أو يكون ابتداء خروجها من اليمن وظهورها من الحجاز)[٢].

قلت: أما النار التي تخرج من أرض الحجاز فقد خرجت على ما تقدم[٣] القول فيها، وبقيت النار التي تسوق الناس إلى المحشر وهي التي تخرج من اليمن وقد مضى القول في الحشر، ويأتي[٤] القول في طلوع الشمس من مغربها إن شاء الله تعالى.



ما جاء فيمن يخسف به أو يمسخ

أبو داود[٥] عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: يا

(١) قاله ابن مسعود. انظر: تفسير الماوردي ٤/ ٢٢٧.
(٢) إكمال المعلم للقاضي عياض ٨/ ٤٤٢.
(٣) ص(٤١١). (٤) ص(٤٤٧).
(٥) في سننه ٤/ ١١٣ ح٤٣٠٧، صحّحه الألباني. صحيح أبي داود ٣/ ٨١٢ ح٣٦١٩.

أنس: «إن الناس يمصّرون أمصاراً، وإن مصراً منها يقال لها: البصرة أو البصيرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها وكلأها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون فيصبحون قردة وخنازير».

وخرّج **ابن ماجه**[(١)] عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر فقال: إن فلاناً يقرأ عليك السلام فقال له: بلغني أنه قد أحدث فإن كان أحدث فلا تقرئه مني السلام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في أمتي ـ أو في هذه الأمة ـ خسف ومسخ وقذف»، ونحوه عن سهل بن سعد.

باب

ذكر الدجال وصفته وبعثه وما معه إذا خرج وما ينجّي منه

مسلم[(٢)] عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»، وفي رواية[(٣)]: «من آخر الكهف».

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجال أعور عين اليسرى جُفال الشعر[(٤)] معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار»[(٥)].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان: أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين

---

(١) في سننه ٢/ ١٣٥٠ ح٤٠٦١، حسّنه الألباني. صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٨١ ح٣٢٨٢.

(٢) في صحيحه ١/ ٥٥٥ ح٨٠٩. (٣) أخرجها مسلم ١/ ٥٥٦ ح٨٠٩.

(٤) أي: كثير الشعر. انظر: غريب الحديث لابن سلام الهروي ٣/ ١٦٤.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٨ ح٢٩٣٤.

نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم ليطأطىء رأسه فيشرب فإنه ماء بارد، وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بن عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال: «إن الله ليس بأعور ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية». قال: وقال رسول الله ﷺ: «أراني الليلة في المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه، رَجِل(٢) الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يده على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هو المسيح بن مريم، ورأيت وراءه رجلاً جعداً قططاً(٣) أعور العين اليمنى كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعاً يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت، فقلت: من هذا، قالوا: هذا المسيح الدجال»(٤).

وخرّج أبو داود **الطيالسي**(٥) عن أُبيّ بن كعب قال: ذكر الدجال عند النبي ﷺ ـ أو قال: ذكر النبي ﷺ الدجال ـ فقال: «إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء وتعوَّذوا بالله من عذاب القبر».

---

(١) أخرجها مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٩ ح٢٩٣٤.
(٢) في الصحاح للجوهري ٤/ ١٧٠٦: شَعَرٌ رَجَلٌ ورَجِلٌ، إذا لم يكن شديد الجعودة ولا سَبِطاً.
(٣) القطط هو الشديد الجعودة مثل أشعار الحبش. غريب الحديث لابن سلام الهروي ٣/ ٢٧.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٥٥، ح١٦٩.
(٥) في مسنده ١/ ٧٣ ح٥٤٤؛ وأحمد في مسنده ٥/ ١٢٣ ح٢١١٨٣. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٧: رواه أحمد ورجاله ثقات.

الترمذي[(١)] عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان يتبعه أفواج كأن وجوههم المجان المطرقة»، إسناده صحيح.

ومن نعت الدجال أنه عظيم الخلقة طويل القامة جسيم أجعد قطط أعور العين اليمنى كأنها لم تخلق وعينه الأخرى ممزوجة بالدم وبين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل مؤمن بالله، فإذا خرج يصيح ثلاث صيحات يسمع أهل المشرق والمغرب.

وذكر أبو داود **الطيالسي**[(٢)] قال: حدثنا الحشرج بن نباتة قال: سعيد بن جبهان عن سفينة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «إنه لم يكن نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال ألا وإنه أعور العين الشمال، وباليمنى ظفرة غليظة، بين عينيه ـ كافر يعني مكتوب كافر ـ يخرج معه واديان أحدهما جنة والآخر نار، فناره جنة وجنته نار، فيقول الدجال للناس: ألست بربكم أحيي وأميت، ومعه ملكان يشبهان نبيين من الأنبياء إني أعرف اسميهما، وأسماء آبائهما لو شئت أن أسميهما سميتهما، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فيقول: ألست بربكم أحيي وأميت، فيقول أحدهما: كذبت، ولا يسمعه من الناس أحد إلا صاحبه، ويقول الآخر: صدقت، وذلك فتنته، ثم يسير حتى يأتي المدينة فيقول: هذه قرية ذلك الرجل فلا يؤذن له أن يدخلها، ثم

---

(١) في جامعه ٤/ ٥٠٩ ح٢٢٣٧؛ وابن ماجه في سننه ٢/ ١٣٥٣ ح٤٠٧٢؛ والبزار في مسنده ١/ ١١٢ ـ ١١٣ ح٤٧، صحّحه الألباني. صحيح الترمذي ١/ ٢٤٨ ح١٨٢٤.

(٢) في مسنده ص(١٥٠) ح١١٠٦؛ ورواه أحمد في مسنده ٥/ ٢٢١ ح٢١٩٧٩؛ والطبراني في الكبير ٧/ ٨٤ ح٦٤٤٥. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٤٠: رواه أحمد والطبراني ورجال الطبراني ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر.

يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق...» الحديث.

وخرّج **أبو داود**(١) في سننه عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «إني كنت قد حدثتكم عن المسيح الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا أن المسيح الدجال قصير أفحج جعداً أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ﷻ ليس بأعور».

فصل

وصف النبي ﷺ الدجال وصفاً لم يبق معه لذي لب إشكال، وتلك الأوصاف كلها ذميمة، تبين لكل ذي حاسة سليمة، لكن من قضي عليه بالشقاوة تبع الدجال فيما يدّعيه الكذب والغباوة، وحرم اتباع الحق ونور التلاوة، فقوله ﵇: «إنه أعور وأن الله تعالى ليس بأعور»، تنبيه للعقول القاصرة أو الغافلة على أن من كان ناقصاً في ذاته عاجزاً عن إزالة نقصه لم يصلح أن يكون إلهاً لعجزه وضعفه، ومن كان عاجزاً على إزالة نقصه كان أعجز عن نفع غيره وعن مضرته.

فصل

الإيمان بالدجال وخروجه حق (وهذا مذهب أهل السنة وعامة أهل الفقه والحديث خلافاً لمن أنكر أمره من الخوارج وبعض المعتزلة(٢)، ووافقنا على إثباته بعض الجهمية وغيرهم، لكن زعموا أن

---

(١) في سننه ٤/ ١١٦ ح٤٣٢٠؛ وأحمد في مسنده ٥/ ٣٢٤ ح٢٢١٦؛ والبزار في مسنده ٧/ ١٢٩ ح٢٦٨١، صحّحه الألباني. صحيح أبي داود ٣/ ٨١٤ ح٣٦٣٠.

(٢) انظر: الفصل في الملل لابن حزم ١/ ٨٩.

ما عنده مخارق وحيل، قالوا: لأنها لو كانت أموراً صحيحة لكان ذلك إلباساً للكاذب بالصادق، وحينئذ لا يكون فرق بين النبي والمتنبي. وهذا هذيان لا يلتفت إليه ولا يعرّج عليه؛ فإن هذا إنما كان يلزم لو أن الدجال يدّعي النبوة وليس كذلك، فإنه إنما ادعى الإلهية، ولهذا قال عليه السلام: «إن الله عز وجل ليس بأعور»، تنبيهاً للعقول على فقره وحدثه ونقصه وإن كان عظيماً في خلقه، ثم قال: «بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب». وهذا أمر مشاهد للحس يشهد بكذبه وكفره)[١].

باب

ما يمنع الدجال أن يدخله من البلاد إذا خرج

البخاري[٢] **ومسلم**[٣] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة...» وذكر الحديث.

باب منه

وفي عظم خلق الدجال وعظم فتنته وسبب خروجه وفي حصره المسلمين في جبال الدخان، وكم يمكث في الأرض، وفي نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقت السحر لقتل الدجال ومن اتبعه

مسلم[٤] عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) هذا نص كلام أبي العباس القرطبي بتصرف يسير من المصنف. انظر: المفهم ٧/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٢) في صحيحه ٢/ ٦٦٥ ح١٧٨٢.

(٣) في صحيحه ٤/ ٢٢٦٥ ح٢٩٤٣.

(٤) في صحيحه ٤/ ٢٢٦٦ ح٢٩٤٦.

يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال».

وفي رواية[١]: «أمر» بدل: «خلق».

وفي حديث تميم الداري قال: «فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشده وثاقاً...»[٢]، الحديث وسيأتي[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه لقي ابن صياد[٤] في بعض طرق المدينة فقال قولاً أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السكة، فدخل ابن عمر على حفصة، وقد بلغها، فقالت له: رحمك الله ما أردت من ابن صياد، أما علمت أن رسول الله ﷺ: «إنما يخرج من غضبة يغضبها»[٥]، وسيأتي من أخبار ابن صياد ما يدل على أنه هو الدجال[٦] إن شاء الله تعالى.

وذكر قاسم بن أصبغ[٧] وخرّجه الإمام أحمد **بن حنبل** في مسنده[٨] قال: ثنا محمد بن سابق قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجها مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٧ ح٢٩٤٦.

(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٢٦٣ ح٢٩٤٢.

(٣) ص(٤٤٠).

(٤) قال صاحب المفهم ٧/ ٢٦٢: (ويقال: ابن صائد).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٤ ح٢٩٣٢.

(٦) بل الذي يترجح أنه ليس هو الدجال. انظر ص(٤٤٤).

(٧) رواية قاسم بن أصبغ رواها ابن عبد البر في التمهيد ١٦/ ١٨٠.

(٨) ٣/ ٣٦٧ ح١٤٩٩٧ واللفظ للإمام أحمد. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٤٤: رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح؛ وفي حاشية مسند أحمد ٢٣/ ٢١٠ ـ ٢١٢ ح١٤٩٥٤: إسناده على شرط مسلم.

«يخرج الدجالُ في خفقةٍ من الدين[1] وإدبار من العلم وله أربعون ليلةً يسيحها في الأرضِ، اليومُ منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامهِ كأيامكم هذه، وله حمارٌ يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً، فيقول للناس: أنا ربُكم، وهو أعور وإن ربّكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر يقرئه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، يرد كل ماء ومنهل إلا المدينة، وقامت الملائكة بأبوابها ومعه جبال من خبز والناس في جهد، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه، نهر يقول: الجنة، ونهر يقول: النار، فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهي النار، ومن أدخل الذي يسميه النار فهي الجنة، قال: ويبعث معه شياطين تكلم الناس، ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس، فيقول للناس: هل يفعل مثل هذا إلا الرب، فيقوم الناس إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم، ويجهدهم جهداً شديداً، ثم ينزل عيسى عليه السلام فيأتي في السحر، فيقول: أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث، فيقولون: هذا رجل جني فينطلقون فإذا هم بعيسى بن مريم فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم، فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح، فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادي: يا روح الله هذا يهودي، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله. قوله: فينماث كما ينماث الملح في الماء»، أي: يذهب وينحل ويتلاشى. وذكر الحديث.

---

(١) قال الخطابي في غريب الحديث له ٢/ ٥٠٠: خفقة من الدين، أي: في اضطراب منه واختلاف.

باب

في خروج الدجال وما يجيء به من الفتن والشبهات، وسرعة سيره في الأرض وكم يمكث فيها، وفي نزول عيسى بن مريم عليه السلام، وبعثه، وكم يكون في الأرض يومئذٍ من الصلحاء، وفي قتله الدجال واليهود، وخروج يأجوج ومأجوج وموتهم، وفي حج عيسى وتزويجه ومكثه في الأرض، وأين يدفن إذا مات ﷺ

وقد تقدم[1] من حديث حذيفة أن له جنة وناراً، فجنته نار وناره جنة.

أبو داود[2] عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات».

مسلم[3] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح[4] مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد، فيقول: أعمد إلى هذا الرجل الذي

---

(١) ص(٤١٤).

(٢) في سننه ٤/١١٦ ح٤٣١٩؛ وأحمد ٤/٤٣١ ح١٩٨٨٨؛ والبزار ٩/٦٤ ح٣٥٩٠ في مسنديهما، صحّحه الألباني. صحيح أبي داود ٣/٨١٤ ح٣٦٢٩.

(٣) في صحيحه ٤/٢٢٥٦ ح٢٩٣٨.

(٤) المَسْلَحة: القومُ الذين يَحفَظُون الثُّغُور من العدوّ؛ وسُمُّوا مَسْلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم يسكنون المَسْلحة وهي كالثغر والمَرْقَب يكون فيه أقوام يَرقُبون العدُوّ لئلا يَطْرُقَهم على غَفْلة، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهَّبُوا له، وجمعُ المَسْلح مَسالح. النهاية في غريب الحديث ٢/٣٨٨.

خرج، فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر به الدجال فيشبح، فيقول: خذوه. وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال: فيقول: أما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب، فيؤمر به فيوشر بالميشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشي بين القطعتين، ثم يقول: قم، فيستوي قائماً، فيقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرةً، قال ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذه بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنه إنما قذف به في النار، وإنما ألقي في الجنة. قال: قال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين».

وفي رواية: «يأتي وهو محرّم عليه أن يدخل المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه فيقول: الدجال أرأيتم إن قتلت هذا أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتله ثم يحييه فيقول: حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن، قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه»، خرجه **البخاري**(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليها

---

(١) في صحيحه ٢٦٠٨/٦ ح٦٧١٣.

الملائكة صافين يحرسونها، فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه كل كافر ومنافق»(١).

وفي رواية: «كل منافق ومنافقة»(٢).

وعن النواس بن سمعان الكلابي قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، فقلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا اقدروا له قدره، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن

---

(١) البخاري ٦/٢٦٠٧ ح٦٧٠٧؛ ومسلم ٤/٢٢٦٥ ح٢٩٤٣ في صحيحهما.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٦٦ ح٢٩٤٣.

مريم، فينزل عند المنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى عليه السلام قوماً قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينا هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرِّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب عيسى وأصحابه، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك الله في الرِّسْل[1] حتى إن اللقحة[2] من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار

---

(١) الرِّسْل: اللبن. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٢٢.

(٢) هي الناقة الغزيرة اللبن. انظر ص(٤٣١).

الناس يتهارجون[١] فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة»[٢].

زاد في أخرى[٣] بعد قوله: «مرة ماء»: «ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، فهلُم لنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً».

أخرجه **الترمذي**[٤] في جامعه وذكر رمي يأجوج ومأجوج بنشابهم متصلة بالحديث، فقال: «ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض فهلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم محمراً دماً، ويحاصر عيسى ابن مريم...» الحديث، وقال بدل قوله: «فتطرحهم حيث شاء الله» قال: «فتحملهم فتطرحهم بالمهيل، قال: «وسيوقد الناس من قسيهم ونشابهم سبع سنين»، قال: «ويرسل الله عليهم مطراً...» الحديث إلى آخره، في غير الترمذي: «فيطرحهم في المهيل»، والمهيل: البحر الذي عند مطلع الشمس.

وخرّج **مسلم**[٥] **وابن ماجه**[٦] عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لينزلن عيسى بن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص[٧] فلا يسعى عليها،

---

(١) يَتَهارَجُون تَهارُج البَهائم، أي: يَتَسافَدُون هكذا. انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٥٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٥٠ ـ ٢٢٥٤ ح٢٩٣٧.

(٣) أخرجها مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٥٥ ح٢٩٣٧.

(٤) ٤/ ٥١٠ ح٢٢٤٠، صحّحه الألباني. صحيح الترمذي ٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ح١٨٢٥.

(٥) في صحيحه ١/ ١٣٦ ح١٥٥، واللفظ له.

(٦) في سننه ٢/ ١٣٦٣ ح٤٠٧٨.

(٧) القِلاص: جَمْع قَلُوص وهي الناقة الشابّة، وتُجْمَع على قِلاص وقُلُص أيضاً، =

ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد».

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»[(١)].

وفي رواية: «فأمّكم منكم»، قال ابن أبي ذئب: تدري ما أمّكم منكم؟ قلت: تخبرني؟ قال: فأمكم بكتاب ربكم ﷻ وسنة نبيكم ﷺ[(٢)].

عنه[(٣)] عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليهلنَّ ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو لثنيهما».

وفي حديث عبد الله بن عمرو: «ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ﷻ ريحاً باردة من قبل الشام...» الحديث، خرّجه مسلم[(٤)].

فَصْلٌ

ذهب قوم إلى أن بنزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف لئلا يكون

= ومنه الحديث: «لتُتْرَكَنّ القِلاصُ فلا يُسْعى عليها»، أي: لا يَخْرج ساعٍ إلى زكاة لِقلّة حاجة الناس إلى المال واسْتِغْنائهم عنه. النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٠٠.

(١) رواه أحمد في مسنده ٢/ ٣٣٦ ح٨٤١٢؛ والطبراني في الأوسط ٩/ ٨٦ ح٩٢٠٣، إسناده صحيح على شرط الشيخين. انظر: حاشية مسند أحمد ١٤/ ١٥٢ ح٨٤٣١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٧ ح١٥٥.

(٣) أي: عن أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث رواه مسلم في صحيحه ٢/ ٩١٥ ح١٢٥٢.

(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٨ ح٢٩٤٠.

رسولاً إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم، وهذا مردود بالأخبار الي ذكرناها من حديث أبي هريرة وغيره وبقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا نبي بعدي»[(١)]، وقوله: «وأنا العاقب»[(٢)]، يريد آخر الأنبياء وخاتمهم، وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل نبياً بشريعة متجددة غير شريعة نبينا محمد ﷺ؛ بل إذا نزل فإنه يكون يومئذٍ من أتباع محمد ﷺ كما أخبر ﷺ، حيث قال لعمر: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»[(٣)].

وقد روى أبو الزبير[(٤)] أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة»، خرّجه مسلم[(٥)].

فعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما ينزل مقرراً لهذه الشريعة ومجدداً لها إذ هي آخر الشرائع ومحمد ﷺ آخر الرسل، فينزل حكماً مقسطاً، وإذا صار حكماً فإنه لا سلطان يومئذٍ للمسلمين ولا إمام ولا قاضي ولا مفتي قد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ١٢٧٣ ح٣٢٦٨؛ ومسلم ٣/ ١٤٧١.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ١٢٩٩ ح٣٣٣٩؛ ومسلم ٤/ ١٨٢٨ ح٢٣٥٤.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٣٨٧ ح١٥١٩٥؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٥/ ٣١٢ ح٢٦٤٢١؛ والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٢٠٠ ح١٧٦.
(٤) هو: محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي مولاهم، أبو الزبير المكي، روى عن العبادلة الأربعة، وعن عائشة، وجابر، وأبي الطفيل، وسعيد بن جبير، وغيرهم، مات سنة ١٢٨هـ. انظر: تهذيب التهذيب ٩/ ٣٩٠؛ وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨٠.
(٥) ١/ ١٣٧ ح١٥٦.

قبض الله العلم، وخلا الناس منه. فينزل وقد علم بأمر الله تعالى في السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم بحكمه بين الناس، والعمل به في نفسه، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه، ويحكمونه على أنفسهم إذ لا أحد يصلح لذلك غيره؛ ولأن تعطيل الحكم غير جائز. وأيضاً فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال في الأرض: الله الله، على ما يأتي[١]، وهذا واضح.

فَصْلٌ

في بيان ما وقع في الحديث من الغريب: قوله: «فيسح»، أي: يمد.

والميشار مفعال من أنشرت ووشرت أشراً ووشراً، ويقال: منشار بالنون أيضاً، وبالوجهين قيد في الحديث، وهو مفعال أيضاً من نشرت.

وقوله: «فخفض ورفع» بتخفيف الفاء، أي أكثر من الكلام فيه، فتارة يرفع صوته ليسمع من بعد، وتارة يخفض ليستريح من تعب الإعلان، وهذه حالة المكثر من الكلام، وروي بتشديد الفاء فيهما على التضعيف والتكثير.

وقوله: «إنه خارج خلة»، يروى بالخاء المعجمة والحاء المهملة، قال الهروي[٢]: والخلة موضع حزن وصخور، والخلة: ما بين البلدين.

وقد تقدم[٣] في حديث الترمذي: «أنه يخرج بخراسان»، وفي الرواية الأخرى: «من ناحية أصبهان من قرية تسمى اليهودية»، وفي

---

(١) ص(٤٥١).

(٢) انظر: الغريبين له ٢/ ٥٩٣.

(٣) ص(٤١٦).

حديث ابن ماجه ومسلم: «بين الشام والعراق»، (ووجه الجمع أن مبدأ خروجه من خراسان من ناحية أصبهان، ثم يخرج إلى الحجاز فيما بين العراق والشام، والله أعلم)(١).

«وعاث» بالعين المهملة والثاء المثلثة والتنوين على أنه اسم فاعل، وروي بفتح الثاء على أنه فعل ماض، ووقع في حديث أبي أمامة على الفعل المستقبل، والكل بمعنى الفساد عاث يعيث عيثاً، فهو عاث يعثي يعثى وعثا يعثو لغتان، وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

وقوله: «يا عباد الله فاثبتوا»، يعني على الإسلام، يحذرهم عن فتنه؛ لأنه يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت.

وقوله: («اقدروا له قدره»، قال القاضي عياض(٢): هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع، ولو وكلنا فيه لاجتهادنا لكانت الصلاة فيه عن الأوقات المعروفة في غيره من الأيام)(٣).

وقوله: («ممحلين» أي مجدبين، ويروى: «أزلين»، والمحل والأزل والقحط والجدب بمعنى واحد، و«يعاسيب النحل»: ذكورها، واحدها: يعسوب، وقيل: أمراؤها، ووجه التشبيه أن يعاسيب النحل يتبع كل واحد منهم طائفة من النحل فتراها جماعات في تفرقة فالكنوز تتبع الدجال كذلك)(٤).

---

(١) هذا نص كلام أبي العباس في المفهم ٧/ ٢٧٩.

(٢) ذكره في إكمال المعلم له ٩/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤.

(٣) أورده أبو العباس في المفهم ٧/ ٢٨١.

(٤) نص كلام أبي العباس في المفهم ٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٢.

وقوله: «بين مهرودتين»، أي (بين شقي ثوب، والشقة نصف الملاءة أو في حلتين مأخوذ من الهرد ـ بفتح الهاء وسكون الراء ـ وهو القطع والشق)[١]، قال ابن دريد[٢]: إن ما سمي الشق هرداً للإفساد لا للصلاح.

(وقال أكثرهم: في ثوبين مصبوغين بالصفرة، وكأنه الذي صبغ بالهرديء ووقع في بعض الروايات بدل «مهرودتين»: «ممصرتين»، كذلك ذكر أبو داود **الطيالسي**[٣] من حديث أبي هريرة ﷺ، والممصرة من الثياب هي المصبوغة بالصفرة)[٤] وليست بالمشبعة، وقال غيره: المهرود الذي يصبغ بالعروق التي يقال لها: الهُرد بضم الهاء.

وقال الهروي[٥]: هرد ثوبه بالهُرد، وهو صبغ يقال له: العروق.

(وقوله: «فحرز عبادي إلى الطور»، أي ارتحل بهم إلى جبل يحرزون فيه أنفسهم، والطور: الجبل بالسريانية)[٦].

(والنغفة جمع نغف، وهو الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم. وفرسى: أي هلكى، وهو جمع فرس بمعنى مفروس، مثل قتيل وقتلى، وصريع وصرعى، وأصله من فرس الذئب الشاة وأفرسها أي قتلها، كأن تلك النغف فرستهم، و«الزهم»: النتن، و«البخت»: إبل غلاظ الأعناق عظام الأجسام[٧])[٨]، «الزلفة»: المضغة الممتلئة والجمع: زلف.

---

(١) نص كلام صاحب المفهم ٧/ ٢٨٢.
(٢) في كتابه جمهرة اللغة ٢/ ٢٥٩، عمود ٢.
(٣) في مسنده ص(٣٣٥) ح٢٥٧٥.
(٤) نص كلام صاحب المفهم ٧/ ٢٨٣ مع زيادة يسيرة.
(٥) في الغريبين له ٦/ ١٩٢٧.
(٦) ذكره صاحب المفهم ٧/ ٢٨٥.
(٧) في (المفهم): عظام الأسنام.
(٨) نص كلام صاحب المفهم ٧/ ٢٨٥.

و«اللقحة»: الناقة الحلوب، «والفئام»: الجماعة من الناس، والفخذ: دون القبيلة وفوق البطن، و«الفاثور» بالفاء: الخوان يتخذ من الرخام ونحوه.

باب

ما جاء أن الدجال لا يضر مسلماً

البزار[١] عن حذيفة قال: كنا عند رسول الله ﷺ فذكر الدجال فقال: «لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، ليس من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا تضع لفتنة الدجال، فمن نجا من فتنة ما قبلها فقد نجا منها، والله لا يضر مسلماً، مكتوب بين عينيه كافر».

فصل

قلت: إن قيل: كيف قال في هذا الحديث: «لا يضر مسلماً»، وقد قتل الرجل الذي خرج له من المدينة ونشره بالميشار وذلك أعظم الضرر؟

قلنا: ليس المراد ذلك، وإنما المعنى والله أعلم أن المسلم المحقق لا يفتنه الدجال فيرده عن دينه لما يرى عليه من سيماء الحدث، ومن لم يكن بهذه الصفة فقد فتنه وتتبعه لما يرى من الشبهات كما في الحديث المذكور في الباب قبل هذا، ويحتمل أن يكون عموماً يخصه ذلك الحديث وغيره، والله أعلم.

---

(١) في مسنده ٧/ ٢٣٢ ح٢٨٠؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٢١٨ ح٦٨٠٧، إسناده صحيح. انظر: حاشية صحيح ابن حبان للأرناؤوط ١٥/ ٢١٨.

بَابٌ

ما ذكر من ابن صياد الدجال، واسمه صاف، سبب خروجه، وصفة أبويه، وأنه على دين اليهود

مسلم[(١)] عن محمد بن المكندر قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صياد الدجال، فقلت له: أتحلف على ذلك، قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ، وأخرجه **أبو داود** في سننه[(٢)].

وعن نافع قال: كان ابن عمر يقول: والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد. أخرجه **أبو داود**[(٣)] أيضاً وإسناده صحيح.

مسلم[(٤)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرجنا حجَّاجاً أو عمَّاراً ومعنا ابن صياد، قال: فنزلنا منزلاً فتفرق الناس وبقيت أنا وهو فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه، قال: وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي، فقلت: إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة، قال: ففعل، قال: فرفعت لنا غنم فانطلق بعُس[(٥)]، فقال: اشرب أبا سعيد، فقلت: إن الحر شديد واللبن حار، ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن يده ـ أو قال: آخذه عن يده ـ فقال: أبا سعيد من خفي عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفي عنكم معشر الأنصار، ألست من

---

(١) في صحيحه ٤/٢٢٤٣ ح٢٩٢٩؛ والبخاري في صحيحه ٦/٢٦٧٧ ح٦٩٢٢.

(٢) ٤/١٢١ ح٤٣٣١.

(٣) في سننه ٤/١٢٠ ح٤٣٣٠، صحيح الإسناد، موقوف. انظر: صحيح أبي داود ٣/٨١٧ ح٣٦٣٩.

(٤) في صحيحه ٤/٢٢٤٢ ح٢٩٢٧.

(٥) في (صحيح مسلم): فانطلق فجاء بعُس، والعس بضم العين: القدح الكبير. انظر: شرح النووي على مسلم ١٨/٥١.

أعلم أصحاب رسول الله ﷺ؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ: هو كافر وأنا مسلم؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ: هو عقيم لا يولد له، وقد تركت ولدي بالمدينة؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ: لا يدخل المدينة ولا مكة، فقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟

وفي رواية(١): (وقد حججت)، قال أبو سعيد: حتى كدت أن أعذره، ثم قال: أما والله إني لأعرفه، وأعرف مولده، وأين هو الآن، قال: قلت له: تباً لك سائر اليوم.

وفي رواية(٢): قال: فقيل له: أيسرك أنك ذاك الرجل؟ قال: فقال: لو عرض علي ما كرهت.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقيت ابن صياد مرتين، فقلت لبعضهم: هل تحدثون أنه هو؟ قال: لا والله، قال: قلت: كذبتني والله لقد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالاً وولداً، فكذلك هو زعموا اليوم، قال: فتحدثنا ثم فارقته قال: فلقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه، قال: فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدري، قال: قلت: لا تدري وهي في رأسك، قال: إن شاء الله خلقها في عصاك هذه، قال: فنخر كأشد نخير حمار سمعت، قال: فزعم بعض أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت، وأما أنا فوالله ما شعرت، قال: وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها فقالت: ما تريد إليه، ألم تعلم أنه قد قال: إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه(٣).

وعنه قال: انطلق رسول الله ﷺ وأبي بن كعب إلى النخل التي

---

(١) في صحيح مسلم ٤/ ٢٢٤٢ ح٢٩٢٧.
(٢) في صحيح مسلم ٤/ ٢٢٤٢ ح٢٩٢٧.
(٣) رواه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٦ ح٢٩٣٢.

فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل طفق يتقي بجذوع النخل وهو يختل[١] أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد، فرآه رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها زمزمة[٢]، فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل فقالت لابن صياد: يا صاف ـ وهو اسم ابن صياد ـ هذا محمد، فثار ابن صياد، فقال رسول الله ﷺ: «لو تركتْهُ بيّن»[٣].

وفي رواية: ثم قال له رسول الله ﷺ: «إني قد خبأت لك خبأً، فقال: ابن صياد هو الدخ، فقال رسول الله ﷺ: أخسأ فلن تعدو قدرك، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ذرني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله»[٤].

أبو داود[٥] عن جابر رضي الله عنه قال: فقدنا ابن صياد يوم الحرة.

فَصْلٌ

قال أبو سليمان الخطابي[٦]: وقد اختلف الناس في ابن صياد

---

(١) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم ١٨/ ٥٤: أي: يخدع ابن صياد ويستغفله ليسمع شيئاً من كلامه.

(٢) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم ١٨/ ٥٥: وقعت هذه اللفظة في معظم نسخ مسلم «زمزمة» بزاءين معجمتين، وفي بعضهما براءين مهملتين، ووقع في البخاري بالوجهين، ونقل القاضي ـ عياض ـ عن جمهور رواة مسلم أنه بالمعجمتين، وأنه في بعضها رمزة براء أولاً وزاي آخراً وحذف الميم الثانية: وهو صوت خفي لا يكاد يفهم أو لا يفهم.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٤ ح٢٩٣١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٤ ح٢٩٣٠.

(٥) في سننه ٤/ ١٢١ ح٤٣٣٢. قال الألباني: صحيح الإسناد. صحيح أبي داود ٣/ ٨١٨ ح٣٦٤١.

(٦) في معالم السنن له ٤/ ٣٢٢.

اختلافاً شديداً، وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول، وقد يسأل عن هذا فيقال: كيف يَقَارُّ رسول الله ﷺ من يدعي النبوة كاذباً ويتركه بالمدينة يساكنه في داره، ويجاوره فيها؟ وما وجه امتحانه إياه بما خبأه له من آية الدخان، وقوله بعد ذلك: «اخسأ فلن تعدو قدرك».

قال أبو سليمان[١]: والذي عندي أن هذه القصة إنما جرت بعد أيام مهادنة رسول الله ﷺ اليهود وحلفاءهم، وذلك أنه بعد مقدمه المدينة كتب بينه وبينهم كتاباً صالحهم فيه على أن لا يهاجروا وأن يتركوا على أمرهم، وكان ابن صياد منهم أو دخيل في جملتهم، وكان يبلغ رسول الله خبره وما يدَّعيه من الكهانة وما يتعاطاه من الغيب، فامتحنوه بذلك ليروا آية أمره ومخبر شأنه، فلما كلمه علم أنه مبطل، وأنه من جملة السحرة والكهنة، أو ممن يأتيه رئي من الجن أو يتعاهده شيطان فيلقي على لسانه بعض ما يتكلم به، فلما سمع منه قوله: الدخ، زَبَرَهُ[٢] وقال «اخسأ فلن تعدو قدرك»، يريد أن ذلك شيء ألقاه إليه الشيطان وأجراه على لسانه، وليس ذلك من قبل الوحي السماوي إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين يوحى إليهم علم الغيب، ولا درجة الأولياء الذين يلهمون العلم ويصيبون بنور قلوبهم الحق، وإنما كانت له تارات يصيب في بعضها ويخطي في بعض، وذلك معنى قوله: «يأتيني صادق وكاذب»، فقال له عند ذلك: «خلط عليك».

والجملة في أمره أنه كان فتنة امتحن الله به عباده المؤمنين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، وقد امتحن قوم موسى في زمانه بالعجل، وافتتن به قوم وهلكوا ونجا من هداه الله وعصمه منهم، وقد اختلفت الروايات في أمر ابن صايد فيما كان من شأنه بعد كبره،

---

(١) في معالم السنن ٤/٣٢٣.

(٢) الزَّبْرُ: الزجر، يقال: زبره إذا انتهره. انظر: الصحاح للجوهري ٢/٦٦٧.

فروي أنه تاب عن ذلك القول، ثم إنه مات بالمدينة، وأنه لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس، وقيل لهم: اشهدوا[١].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: الصحيح خلاف هذا لحلف جابر وعمر أن ابن صايد الدجال، وروي عن أبي ذر أنه كان يقول: هو الدجال، وروي ذلك عن ابن عمر، وقال جابر: فقدناه يوم الحرة، وهذا وما كان قبله يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة والله أعلم، وسيأتي[٢] لهذا الباب مزيد بيان في أن الدجال ابن صياد عند كلامنا على خبر الجساسة إن شاء الله تعالى.

باب

في نقب يأجوج ومأجوج السد، وخروجهم وصفتهم وفي لباسهم وطعامهم وبيان قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾

ابن ماجه[٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يأجوج ومأجوج يحفران كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال: ارجعوا فستحفرونه إن شاء الله، فاستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون سهامهم إلى السماء، فيرجع عليها الدم، الذي أحفظ فيقولون: قهرنا أهل الأرض،

---

(١) انتهى كلام الخطابي. (٢) ص(٤٣٩).

(٣) في سننه ٢/ ١٣٦٤ ح٤٠٨٠؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ح٦٨٢٩؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٥١٠ ح١٠٦٤٠، صحّحه الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٨٨ ح٣٢٩٨.

وعلونا أهل السماء فيبعث الله نغفاً في أقفائهم فيقتلهم، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم».

قال الجوهري[(١)]: شَكِرَت الناقة[(٢)] تَشْكَرُ شَكَراً فهي شَكِرَةٌ، واشتكر الضرع: امتلأ لبناً.

وخرّج[(٣)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون كما قال الله: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، فيعمون الأرض وينحاز منهم المسلمون حتى يصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم حتى إنهم ليمرون بالنهر فيشربونه حتى ما يذروا فيه شيئاً، فيمر آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان مرة ماء، ويظهرون على الأرض، فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم لننازلن أهل السماء حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم، فيقولون: قد قتلنا أهل السماء، فبينما هم كذلك إذ بعث الله دواباً كنغف الجراد فتأخذ بأعناقهم، فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضاً، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حساً فيقولون: من رجل يشري نفسه وينظر ما فعلوا، فينزل إليهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى، فيناديهم ألا أبشروا فقد هلك عدوكم، فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم فما يكون لهم رعي إلا لحومهم

---

(١) في الصحاح له ٢/٧٠٣.

(٢) في (الصحاح): شَكِرَت الناقة بالكسر تشْكَرُ شكَراً.

(٣) أي: ابن ماجه، في سننه ٢/١٣٦٣ ح٤٠٧٩؛ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٢٤٥ ح٦٨٣٠؛ والحاكم في مستدركه ٤/٥٣٥ ح٨٥٠٤. قال الألباني: حسن صحيح. صحيح ابن ماجه ٢/٣٨٧ ح٣٣٠٧.

فتشكر عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط».

وذكر عبد الملك بن حبيب[(١)]: أنه قال في قول الله ﷻ في قصة ذي القرنين: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: ٨٥] وما بعدها: يعني منازل الأرض ومعاليها وطرفيها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ يعني الجبلين الذين خلفهما يأجوج ومأجوج: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ يعني كلاماً، ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، قال عبد الملك: وهما أمتان من ولد يافث بن نوح مدّ الله لهما في العمر، وأكثر لهما في النسل حتى لا يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له ألف ولد، فولد آدم كلهم عشرة أجزاء ويأجوج ومأجوج منهم تسعة أجزاء، وسائر ولد آدم كلهم واحد.

قال عبد الملك: كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرض القوم الذين هم قريب منهم فلا يدعون لهم شيئاً إذا كان أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا حملوه، فقال أهل تلك الأرض لذي القرنين: هل لك أن نجعل لك خرجاً، يعنون جُعلًا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ من جُعلكم، ولكن ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ قالوا له: وما تريد؟ قال: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ يعني قطع الحديد، فوضع بعضها على بعض كهيئة البناء فيما بين السدين: وهما جبلان ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ يعني جانبي الجبلين، قال: انفخوا، أي: أوقدوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ من تحته، وقال عبد الملك في قول: ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾: يعني نحاساً ليلتصق، فأفرغه عليه فيدخل بعضه في بعض قال: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾.

(١) عبد الملك بن حبيب البصري، أبو عمران الجوني، الإمام الثقة، روى عن أنس بن مالك، وجندب البجلي، وطائفة، روى عنه الحمادان وآخرون، توفي سنة ١٣٢هـ. السير ٥/ ٢٥٥.

وقرأ عاصم: يأجوج ومأجوج بالهمز فيهما وكذلك في الأنبياء[١] على أنهما مشتقان من أجة الحر وهي: شدته وتوقده، ومنه أجيج النار، ومن قولهم: ملح أجاج، فيكونان غريبين من أج ومج ولم يصرفا؛ لأنهما جعلا اسمين لقبيلتين فهما مؤنثان معرفتان، والباقون بغير همز جعلوهما عجميين لم يصرفا للعجمة والتعريف، والله أعلم.

باب

ذكر الدابة وصفتها ومتى تخرج ومن أين تخرج وكم لها من خرجة وصفه خروجها وما معها إذا خرجت، وحديث الجساسة وما فيه من ذكر الدجال، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾

قال العلماء[٢]: معنى وقع القول عليهم أي وجب الوعيد عليهم، فتماديهم في العصيان والفسوق والطغيان، وإعراضهم عن آيات الله تعالى، وتركهم تدبرها، والنزول على حكمها وانتهائهم في المعاصي إلى ما لا ينجع معه فيه موعظة ولا يصرفهم عن غيهم تذكرة، يقول عز من قائل فإذا صاروا كذلك: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢]، أي: دابة تعقل وتنطق، وذلك والله أعلم ليقع لهم العلم؛ بأنه آية من قِبَلِ الله تعالى ضرورة؛ فإن الدواب في العادة لا كلام لها ولا عقل.

قال عبد الله بن عمرو: تخرج الدابة من جبل الصفا بمكة يتصدع فتخرج منه[٣].

وقال عبد الله بن عمرو نحوه. وقال: لو شئت أن أضع قدمي

---

(١) أي: في سورة الأنبياء.
(٢) لم أقف على القائل.
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٢٩٢٥ ح١٦٦٠١.

على موضع خروجها لفعلت[١].

وروي عن قتادة: أنها تخرج من تهامة[٢].

وروي: أنها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح عليه السلام.

وقيل: من أرض الطائف.

وروي عن ابن عمر أنها على خلقة الآدميين وهي في السحاب وقوائهما في الأرض.

ويقال: إنها الجساسة في حديث فاطمة بنت قيس الحديث أخرجه مسلم وذكره الترمذي وأبو داود[٣] مختصراً والسياق **لمسلم**[٤]، وفيه ثم قال رسول الله ﷺ: «أتدرون لما جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكنني[٥] جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم أرفأوا إلى جزيرة في البحر حيث مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر».

وقال **الترمذي** «إن ناساً من أهل فلسطين ركبوا سفينة في البحر فجالت بهم حتى قذفتهم في جزيرة من جزائر البحر فإذا هم بدابة

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٢٥٢٩ ح١٦٦٠٠.
(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٢٩٢٥ ح١٦٦٠٢.
(٣) الترمذي في جامعه ٤/ ٥٢١ ح٢٢٥٣؛ وأبو داود في سننه ٤/ ١١٨ ح٤٣٢٥.
(٤) في صحيحه ٤/ ٢٢٦١ ح٢٩٤٢.
(٥) في (صحيح مسلم): ولكن.

لباسة[١] ناشرة شعرها، فقالوا: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة...»، وذكر الحديث ـ راجع سياق مسلم ـ فقالوا[٢]: ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه خلقاً وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد».

وقال الترمذي: «فإذا رجل موثق بسلسلة».

وقال **أبو داود**: «فإذا رجل يجر شعره مسلسل في الأغلال ينزو[٣] فيما بين السماء والأرض».

«قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن ناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر قد اغتلم، فلعب الموج بنا شهراً ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثيرة الشعر لا ندري[٤] ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، فقلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن نخل بيسان. وقال الترمذي: الذي بين الأردن وفلسطين.

---

(١) من اللبس والاختلاط. انظر: تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ٦/ ٤٣٧.

(٢) في (صحيح مسلم): قلنا.

(٣) في عون المعبود ١١/ ٣١٥: «ينزو» بسكون النون وضم الزاي، أي: يثب وثوباً فيما بين السماء والأرض.

(٤) في (صحيح مسلم): لا يدرى.

«قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم، قال: أما أنه يوشك أن[١] لا يثمر، قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية؟ قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما أن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغر؟ قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب فأطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك، قلنا: نعم، قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عني أنا المسيح، وأني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرَّمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملَك بيده السيف صلتاً يصدني عنها، وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.

قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر: «هذه طيبة هذه طيبة ـ يعني المدينة ـ، ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم، قال: فإنه أعجبني حديث تميم الداري فإنه وافق الذي كنت حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق ما هو؟ وأومأ بيده إلى المشرق، قال: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ.

وقد خرّج **ابن ماجه**[٢] حديث فاطمة بنت قيس قالت: «صلى

---

(١) في (مسلم): أنه.

(٢) في سننه ٢/ ١٣٥٤ ح٤٠٧٤. قال الألباني: ضعيف السند، صحيح المتن. صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ح٣٢٩٣.

رسول الله ﷺ ذات يوم وصعد المنبر وكان لا يصعد عليه قبل ذلك إلا يوم الجمعة فاشتد ذلك على الناس فمن بين قائم وجالس، فأشار إليهم بيده أن اقعدوا فإني والله ما قمت مقامي لأمر ينقصكم لرغبة ولا لرهبة ولكن تميم الداري أتاني فأخبرني خبراً منعني القيلولة من الفرح وقرة العين فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيكم ﷺ.

ألا إن ابن عم لتميم الداري أخبرني أن الريح ألجأتهم إلى جزيرة لا يعرفونها فقعدوا في قوارب السفينة فخرجوا بها فإذا هم بشيء أهدب أسود كثير الشعر، قالوا له: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، قالوا: أخبرينا؟ قالت: ما أنا بمخبرتكم شيئاً ولا سائلتكم، ولكن هذا الدير قد رمقتموه فأتوه فإن فيه رجلاً بالأشواق إلى أن تخبروه ويخبركم، فأتوه فدخلوا عليه فإذا هم بشيخ موثق شديد الوثاق يظهر الحزن شديد التشكي، فقال لهم: من أين؟ فقالوا: من الشام، فقال: ما فعلت العرب؟ قالوا: نحن قوم من العرب عمّ تسأل؟ قال: ما فعل الرجل الذي خرج فيكم؟ قالوا: خيراً ناوى قوماً فأظهره الله عليهم، فأمرُهم اليوم جميع إلٰههم واحد، ودينهم واحد، ونبيهم واحد. قال: ما فعلت عين زغر؟ قالوا: خيراً يسقون منها زروعهم ويسقون منها لسقيهم، قال: ما فعل نخل بين عمان وبيسان؟ قالوا: يطعم ثمره كل عام قال: ما فعلت بحيرة طبرية؟ قالوا: تدفق بجنباتها من كثرة الماء، قال: فزفر ثلاث زفرات، ثم قال: لو أنفلت من وثاقي هذا لم أدع أرضاً إلا وطئتها برجلي هاتين إلا طيبة ليس لي عليها سبيل. قال النبي ﷺ: إلى هذا انتهى فرحي، هذه طيبة، والذي نفسي بيده ما فيها طريق ضيق ولا واسع، ولا سهل ولا جبل إلا وعليه ملك شاهر سيفه إلى يوم القيامة».

قال المؤلف رحمه الله: هذا حديث صحيح، وقد خرّجه مسلم والترمذي وأبو داود(١) وغيرهم رضي الله عنهم.

---

(١) قد تقدم تخريج أحاديثهم ص(٤٤٠ - ٤٤١).

وقد قيل: إن الدابة التي تخرج هو الفصيل الذي كان لناقة صالح عليه السلام، فلما قتلت الناقة هرب الفصيل بنفسه فانفتح له حجر فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه إلى وقت خروجه حتى يخرج بإذن الله تعالى.

قلت: ويدل على هذا القول حديث حذيفة المذكور في هذا الكتاب ومنه: وهي ترغو، الرغاء: إنما هو للإبل، والله أعلم.

فَصْلٌ

وقد استدل من قال من العلماء: إن الدجال ليس ابن صياد بحديث الجساسة وما كان في معناه، والصحيح أن ابن صياد هو الدجال بدلالة ما تقدم(١)، ولا يبعد أن يكون بالجزيرة ذلك الوقت ويكون بين أظهر الصحابة في وقت آخر إلى أن فقدوه يوم الحرة. وفي كتاب أبي داود في خبر الجساسة من حديث أبي سلمة ابن عبد الرحمن قال: شهد جابر لهو ابن صياد(٢).

---

(١) انظر ص(٤٣٢).

(٢) الذي ظهر لي والله أعلم أن ابن صياد كاهن من الكهان وليس هو المسيح الدجال الذي حذر منه كل نبي أمته، وإنما يصح أن يسمى دجالاً لما يتعاطاه من الكهانة والكذب، ويتبين ذلك بما يلي:
- ثبت عن النبي ﷺ أنه أخبر أصحابه رضوان الله عليهم عن الدجال بما وافق خبر تميم الداري، قال ﷺ: «وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال...»، وحديثه ﷺ لأصحابه قبل مجيء تميم الداري إنما كان من الغيب الذي أطلعه الله عليه وأخبر به أمته.
- ومما جاء في خبر تميم الداري أن المسيح الدجال لم يكن يعلم بمبعث النبي ﷺ، ولذلك سأل عنه «قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم».
- كما أن المسيح الدجال موثق بالسلاسل شديد الوثاق لم يؤذن له في =

. . . .

= الخروج بعد، وأن خروجه سيره في الأرض كما في حديث مسلم: «وأني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض».
ـ كما ثبت في الروايات أن المسيح الدجال «رجل» وأنه «شيخ» كما في رواية ابن ماجه ٢/ ١٣٥٥ ح٤٠٧٤: «فإذا هم بشيخ موثق شديد الوثاق» وأن ابن صياد كان صبياً في ذلك الوقت يلعب مع الصبيان لم يبلغ الحلم بعد. ففي صحيح البخاري ١/ ٤٥٤ ح١٢٨٩ ومسلم واللفظ له ٤/ ٢٢٤٤ ح٢٩٣٠: «حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند أطم ابن مغالة، وقد قارب ابن صياد يومئذٍ الحلم»، وخبر تميم الداري وخبر ابن صياد كلاهما وقعا في حياة النبي ﷺ.
ـ بل قد ظهر أن ابن صياد كاهن من خلال اختبار النبي ﷺ له باختبارين الأول: أن الذي كان يأتيه بالأخبار صادق وكاذب وهم الشياطين. ففي الصحيحين قال له ﷺ: «ماذا ترى؟»، قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، فقال له ﷺ: «خلط عليك الأمر»، والثاني: أنه كان يقطع الكلام كعادة الكهان فقال: الدخ، لكلمة الدخان قال ﷺ: «إني قد خبأت لك خبئاً» فقال: ابن صياد هو الدخ، فقال رسول الله ﷺ: «اخسأ فلن تعدو قدرك».
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ابن صياد: وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، لكنه كان من جنس الكهان، قال له النبي ﷺ: «خبأت لك خبئاً، قال: الدخ الدخ»، وقد كان خبأ له سورة الدخان، فقال له النبي ﷺ: «اخسأ فلن تعدو قدرك»، يعني إنما أنت من إخوان الكهان، والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع، وكان يخلطون الصدق بالكذب.اهـ. مجموع الفتاوى ١١/ ٢٨٣.
ـ وأما ما استدل به من قال: إن ابن صياد هو الدجال، إنما هو مبني على غلبة ظن بعض الصحابة وحلف بعضهم على ذلك بين يدي النبي ﷺ، ويجاب عن ذلك بأنه ربما كان حلفهم بين يدي النبي ﷺ قبل أن يتبين للنبي أمر ابن صياد، وأنه لم ينكر عليهم ما لم يتبين له. وأما قول ابن صياد لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أما والله إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن، فمن الممكن أن يعرف ابن صياد ذلك بواسطة مكاشفة قرنائه من الشياطين له. قال =

قلت: فإنه قد مات، قال: وإن مات؟ قلت: فإنه قد أسلم، قال: وإن أسلم؟ قلت: فإنه قد دخل المدينة، قال: وإن دخل المدينة؟

قال: وذكر سيف بن عمر[(١)] في كتاب الفتوح والردة: ولما نزل أبو سبرة[(٢)] في الناس على السوس وأحاط المسلمون بها وعليهم الشهربان أخو الهرمزان ناوشوهم القتال كل ذلك يصيب أهل السوس في المسلمين، فأشرف عليهم يوماً الرهبان والقسيسون فقالوا: يا معشر العرب إن مما عهد علماؤنا وأوائلنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال، فإن كان الدجال فيكم فستفتحونها، وإن لم يكن فيكم فلا تعنوا بالحصار، قال: وصاف ابن صياد يومئذ مع النعمان في جند فأتى باب السوس غضبان، فدقه برجله، وقال: انفتح فطار فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق وتفتحت الأبواب ودخل المسلمون، وقصته مع أبي سعيد وقوله: والله إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن.

وقال **الترمذي**[(٣)]: «وأين هو الساعة من الأرض، وأعرف والده» كالنص في أنه هو، واحتجاجه بأنه مسلم وولد له ودخل المدينة وهو يريد مكة تلبيس منه، وأنه سيكفر إذا خرج، وحينئذ لا يولد له ولا يدخل مكة والمدينة، والله أعلم.

= ابن القيم في ذلك لما قال ابن صياد: (الدخ): إن ذلك من الكشف من جنس كشف الكهان، وأن ذلك قدره، وكذلك مسيلمة الكذاب كان يكاشف أصحابه بما يفعله أحدهم في بيته وما قاله لأهله، يخبره به شيطانه ليغوي الناس، وكذلك كان الأسود العنسي، والحارث المتنبئ الدمشقي، وقد رأينا نحن وغيرنا منهم جماعة، وشاهد الناس من كشف الرهبان عباد الصليب ما هو معروف.اهـ باختصار. انظر: مدارج السالكين ٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(١) ذكر روايته الطبري في تاريخه ٢/ ٥٠٠.

(٢) أبو سبرة بن أبي رهم، أحد بني مالك بن حسل. تاريخ الطبري ٢/ ٤٩٩.

(٣) في جامعه ٤/ ٥١٦ ح٢٢٤٦.

وقوله: «ارفأوا إلى جزيرة»، أي لجأوا، ومرفأ السفينة حيث ترسي، يقال: أرفأت السفينة إذا قاربتها من الشط، وذلك الموضع مرفأ، وأرفأت إليه لجأت، وأقرب السفينة هي القوارب الصغار يتصرف بها ركاب السفينة، والواحد قارب على غير قياس، قاله الخطابي[١] والمازري. والهلب: الشعر الغليظ، وقال: أهلب على معنى الحيوان أو الشخص، ولو راعى اللفظ لقال: هلباء كأحمر وحمراء، والأهلب أيضاً عند أهل اللغة الذي لا شعر عليه وهو من الأضداد، واستفهامهم بما ظنا منهم أنها لا تعقل، فلما كلمتهم؛ فرقوا أي فزعوا، واغتلام البحر: هيجانه وتلاطم أمواجه، وبيسان وزغر: موضعان بالشام بين الأردن وفلسطين، كما في حديث الترمذي.

وقوله عليه السلام: «ألا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن»، شك أو ظن منه عليه السلام، أو قصد الإبهام على السامع ثم نفى ذلك وضرب عنه بالتحقيق، فقال: «لا بل من قبل المشرق»، ثم أكد ذلك بما الزائدة وبالتكرار اللفظي، فما زائدة لا نافية، فاعلم ذلك.

باب

طلوع الشمس من مغربها وغلق باب التوبة وكم يمكث الناس بعد ذلك

مسلم[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض».

وخرّج **الترمذي**[٣] **والدارقطني**[٤] عن صفوان بن عسال المرادي

---

(١) في معالم السنن له ٤/ ٣٢١ ـ ٣٢٢. (٢) في صحيحه ١/ ١٣٨ ح١٥٨.
(٣) في جامعه ٥/ ٥٤٦ ح٣٥٣٦. (٤) في سننه ١/ ١٩٦ ح١٥، واللفظ له.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه»، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قال سفيان: قبل الشام خلقه الله يوم خلق السماوات والأرض مفتوحاً ـ يعني للتوبة ـ لا يغلق حتى تطلع الشمس منه، قال الترمذي[١]: حديث حسن صحيح.

فَصْلٌ

قال العلماء: وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوعها من مغربها؛ لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تجمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت، قال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[٢]، أي يبلغ روحه رأس حلقه، وذلك وقت المعاينة: الذي يرى مقعده من الجنة ومقعده من النار، فالشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله، وعلى هذا ينبغي أن تكون توبة كل من شاهد ذلك، أو كان كالمشاهد له مردودة ما عاش؛ لأن علمه بالله تعالى وبنبيه ﷺ وبوعده قد صار ضرورة، فإن امتدت أيام الدنيا إلى أن ينسى الناس من هذا الأمر العظيم ما كان، ولا يتحدثوا عنه إلا قليلاً فيصير الخبر عنه خاصاً وينقطع التواتر عنه، فمن أسلم في ذلك الوقت أو تاب قُبل منه، والله أعلم.

---

(١) في جامعه ٥/ ٥٤٥ ح٣٥٣٥.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ٥/ ٥٤٧ ح٣٥٣٧؛ وابن حبان في صحيحه ٢/ ٣٩٤ ح٦٢٨.

وقد قيل: إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها أن إبراهيم عليه الصلاة السلام قال لنمرود: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وأن الملحدة والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك، ويقولون: هو غير كائن، فيطلعها الله تعالى يوماً من المغرب ليري المنكرين قدرته من أن الشمس في ملكه إن شاء أطلعها من المشرق، وإن شاء أطلعها من المغرب، وعلى هذا يحتمل أن يكون رد التوبة والإيمان على من آمن وتاب من المنكرين لذلك، المكذبين لخبر النبي ﷺ، فأما المصدقين لذلك فإنه تقبل توبته وينفعه إيمانه قبل ذلك، والله أعلم.

فَصْلٌ

اختلفت الروايات في أول الآيات:

فروي أن طلوع الشمس من مغربها أولها على ما وقع في حديث مسلم في هذا الباب. وقيل: خروج الدجال، وهذا القول أولى القولين وأصح؛ لقوله عليه السلام: «إن الدجال خارج فيكم لا محالة...»، الحديث بطوله.

فلو كانت الشمس طلعت قبل ذلك من مغربها لم ينفع اليهود إيمانهم أيام عيسى عليه السلام، ولو لم ينفعهم لما صار الدين واحداً بإسلام من أسلم منهم.

وقد تقدم(١) القول في هذا مبيناً، وأن أول الآيات الخسوفات، فإذا نزل عيسى عليه السلام وقتله، خرج حاجاً إلى مكة، فإذا قضى حجه انصرف إلى زيارة محمد ﷺ(٢)، فإذا وصل إلى قبر الرسول عليه السلام

---

(١) ص(٤١١).

(٢) أي: إلى زيارة مسجده ﷺ.

أرسل الله تعالى عند ذلك ريحاً عنبرية، فتقبض روح عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، فيموت عيسى ويدفن مع النبي ﷺ في روضته، ثم يبقى الناس حيارى سكارى، فيرجع أكثر أهل الإسلام إلى الكفر والضلالة، ويستولي أهل الكفر على من بقي من الإسلام، فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها، وعند ذلك يرفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف، ثم تأتي الحبشة إلى بيت الله فينقضونه حجراً حجراً، ويرمون بالحجارة في البحر، ثم تخرج حينئذ دابة الأرض تكلمهم، ثم يأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام، وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم، ثم يبعث الله ريحاً من الجنوب من قبل اليمن مسها مس الحرير وريحها ريح المسك، فتقبض روح المؤمن والمؤمنة، ويبقى شرار الناس، ويكون الرجال لا يشبعون من النساء، والنساء لا يشبعن من الرجال، ثم يبعث الله الرياح فتلقيهم في البحر، هكذا ذكر بعض العلماء الترتيب في الأشراط.

وقيل: إذا أراد الله انقضاء الدنيا وتمام لياليها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم وتقيل ويجتمع الخلق إلى المحشر الجن والإنس والدواب والوحش والسباع والطير والهوام وخشاش الأرض وكل من له روح، فبينما الناس قيام في أسواقهم يتبايعون وهم مشتغلون بالبيع والشراء إذا بهدة عظيمة من السماء يصعق منها نصف الخلق فلا يقومون من صعقتهم مدة ثلاثة أيام، والنصف الآخر من الخلق تذهل عقولهم فيبقون مدهوشين قياماً على أرجلهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ۝١٥﴾ [ص: ١٥]، فبينما هم كذلك إذا هدة أخرى أعظم من الأولى غليظة فظيعة كالرعد القاصف، فلا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ٦٨]، فتبقى الدنيا بلا

آدمي ولا جني ولا شيطان، ويموت جميع من في الأرض من الهوام والوحوش والدواب وكل شيء له روح، وهو الوقت المعلوم الذي كان بين الله سبحانه وبين إبليس الملعون.

باب

لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله

مسلم[١] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله».

وفي أخرى[٢]: «لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله».

فصل

قال علماؤنا[٣] رحمة الله عليهم: قيد الله برفع الهاء ونصبها، فمن رفعها: رفْعُها بيان فمعناه: ذهاب التوحيد، ومن نصبها، فمعناه: انقطاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي: لا تقوم الساعة على أحد يقول: اتق الله.

قال المؤلف رحمه الله: ويدل على صحة هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام في حديث حذيفة: «لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة...» الحديث، وفيه: «هم شر من الحمر يتسافدون تسافد البهائم، وليس فيهم رجل يقول: مه مه».

وقد قيل: إن هذا الاسم أجراه الله على ألسنة الأمم من لدن آدم، ولم تنكره أمة بل هو دائر على ألسنتهم من عهد أبيهم إلى انقضاء

---

(١) في صحيحه ١/ ١٣١ ح١٤٨.
(٢) أخرجها مسلم ١/ ١٣١.
(٣) لم أقف على القائل.

الدنيا، وقد قال قوم نوح عليه السلام: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٤] الآية، وقال قوم هود: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٠]، وقالوا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [المؤمنون: ٣٨] إلى غير ذلك، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، فإذا أراد الله زوال الدنيا قبض أرواح المؤمنين وانتزع هذا الاسم من ألسنة الجاحدين، وفجأهم عند ذلك الحق اليقين، وهو معنى قوله عليه السلام: «لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول: الله الله».

باب
على من تقوم الساعة؟

مسلم[(١)] عن عبد الرحمٰن بن شماسة المهري قال: كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص فقال عبد الله: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق وهم شرٌّ من أهل الجاهلية، لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم، فبينما هم كذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له ابن شماسة: يا عقبة اسمع ما يقول عبد الله، فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»، فقال عبد الله: أجل، ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك مسها كمس الحرير لا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة».

وفي حديث عبد الله بن مسعود: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، من لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، يتهارجون كما تهارج الحمر...» الحديث.

---

(١) في صحيحه ٣/ ١٥٢٤ ح١٩٢٤.

قال الأصمعي(١): قوله: يتهارجون يقول: يتسافدون، يقال: بات فلان يهرجها، والهرج في غير هذا الاختلاط والقتل.

وخرّج **مسلم**(٢) أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تذهب الليالي والأيام حتى تعبد اللات والعزى، فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣] أن ذلك تام، قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فيتوفى كل من في قلبه مثقال حبة من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم.

فَصْلٌ

ذكر أبو الحسن بن بَطّال(٣) هذا الحديث في شرح البخاري(٤) له مبيناً لحديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة. . .» الحديث، وقد تقدم(٥) وقال: هذه الأحاديث وما جاء فيها معناها: الخصوص، وليس المراد بها: أن الدين ينقطع كله في جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى منه شيء؛ لأنه قد ثبت عن النبي ﷺ أن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة إلا أنه يضعف ويعود غريباً كما بدأ.

وروى حماد بن سلمة عن قتادة عن مطرف عن عمران بن حصين

---

(١) ذكر قوله ابن سلام في غريب الحديث له ٤/ ٧٧.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢٢٣٠ ح٢٩٠٧.

(٣) علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، العلامة أبو الحسن، يعرف بابن اللجّام، شارح صحيح البخاري، توفي سنة ٤٤٩هـ. السير ١٨/ ٤٧.

(٤) المطبوع منه غير مكتمل.

(٥) ص(٣٩٦).

قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»(١)، وكان مطرف يقول: هم أهل الشام.

قلت: ما ذكره من أن الدين لا ينقطع وأن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة، يرده حديث عائشة رضي الله عنها وعبد الله بن عمرو، وما ذكره من حديث عمران بن حصين وقد تقدم(٢) أن عيسى عليه السلام يقتل الدجال، ويخرج يأجوج ومأجوج، ويموتون، ويبقى عيسى عليه السلام ودين الإسلام، لا يعبد في الأرض غير الله تعالى.

نسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يتوفنا مسلمين، وأن يلحقنا بالشهداء والصالحين، وأن يجعلنا من عباده المتقين الفائزين، ويجعل ما كتبته خالصاً لوجهه الكريم بمنِّه وكرمه، وأن ينفعنا به ووالدينا، وغفر الله لصاحب هذا الكتاب، ولوالديه، ولسائر المسلمين أجمعين. آمين يا رب العالمين.

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ح٢٤٨٤؛ وأحمد في مسنده ٤/ ٤٣٧ ح١٩٩٣٤ باختلاف يسير، صحّحه الألباني. صحيح أبي داود ٢/ ٤٧١ ح٢١٧٠.

(٢) ص(٤٢٤).

فهرس المصادر والمراجع

* الآحاد والمثاني: لأبي بكر بن أبي عاصم الشيباني المتوفى سنة ٢٨٧هـ، تحقيق د. الجوابرة، دار الراية بالرياض، ط. سنة ١٤١١هـ.
* الأحاديث المختارة: للضياء المقدسي، تحقيق عبد الملك دهيش، مكتبة النهضة الحديثة بمكة، ط. الأولى، ١٤١٠هـ.
* أحكام الجنائز وبدعها: الألباني، المكتب الإسلامي، ط. الرابعة، ١٤٠٦هـ.
* إحياء علوم الدين: للغزالي، طبعة دار القلم، ط. الثالثة.
* الإرشاد: للخليل بن عبد الله القزويني، تحقيق د. محمد سعيد إدريس، مكتبة الرشد بالرياض، ط. الأولى سنة ١٤٠٩هـ.
* الإصابة: لابن حجر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط. الأولى، سنة ١٤١٢هـ.
* إكمال المعلم بفوائد مسلم: للقاضي عياض، تحقيق د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء ومكتبة الرشد، ط. الأولى، ١٤١٩هـ.
* الأم: للإمام الشافعي، تحقيق محمد زهدي النجار، دار المعرفة، بيروت، ط. الثانية، ١٣٩٣هـ.
* الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من المعاني والرأي والآثار: تصنيف ابن عبد البر النمري القرطبي، دار قتيبة ودار الوعي، ط. الأولى سنة ١٤١٤هـ.
* الاستيعاب: لابن عبد البر، دار الجيل، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٢هـ.
* الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف: للبيهقي، تحقيق أحمد الكتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط. ١٤٠١هـ.
* البداية والنهاية: لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.

* التاريخ الكبير: للبخاري، تحقيق السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.
* تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي، ط. الأولى، ١٣٤٩هـ، مطبعة الخانجي بالقاهرة.
* تذكرة الحفاظ: للذهبي، دار إحياء التراث العربي.
* الترغيب والترهيب: للمنذري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤١٧هـ.
* تعجيل المنفعة: لابن حجر، تحقيق د. إكرام الله إمداد الحق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الأولى.
* التعريفات: للجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
* تفسير البغوي، معالم التنزيل: تحقيق خالد العلك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط. الثانية، سنة ١٤٠٧هـ.
* تفسير الحسن البصري ٢/ ٢٦٧: جمع وتوثيق د. محمد عبد الرحيم، دار الحديث بالقاهرة.
* تفسير السدي: جمع وتوثيق د. محمد عطاء، دار الوفاء، مصر.
* تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، ط. دار الفكر، بيروت.
* تقريب التهذيب: لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد بسوريا، ط. الأولى لسنة ١٤٠٦هـ.
* التمهيد: لابن عبد البر، تحقيق أحمد سعيد أعراب، طبعة وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية.
* تهذيب التهذيب: لابن حجر، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى لسنة ١٤٠٤هـ.
* تهذيب الكمال: للمزي، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
* التوهم: للحارث المحاسبي، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن بالقاهرة.
* الثبات عند الممات: لابن الجوزي، تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط. الأولى لسنة ١٤٠٦هـ.

* جامع البيان في تأويل القرآن: لابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ط. سنة ١٤٠٥هـ.
* جامع الترمذي: تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
* الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى لسنة ١٤٠٨هـ.
* جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: للحميد، مكتبة الخانجي.
* الجرح والتعديل: لعبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى.
* جزء في زيارة النساء للقبور: لبكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة بالرياض، ط. الثانية لسنة ١٤١٥هـ.
* الجواب الكافي: لابن القيم، مكتبة المؤيد بالطائف، ط. الأولى لعام ١٤٠٩هـ.
* الحدائق في علم الحديث والزهديات: لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى لسنة ١٤٠٨هـ.
* حسن الظن بالله: لابن أبي الدنيا، دار طيبة بالرياض، ط. سنة ١٩٨٨م.
* حلية الأولياء: لأبي نعيم، مطبعة السعادة، ط. سنة ١٣٩٩هـ.
* الدر المنثور: للسيوطي، طبعة دار الفكر، بيروت لسنة ١٩٩٣م.
* ديوان أبي العتاهية: دار صادر، بيروت، ط. سنة ١٣٨٤هـ.
* ذم قسوة القلوب: لابن رجب الحنبلي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط. الأولى لسنة ١٤١٦هـ.
* ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: لمحمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨هـ، تحقيق د. سليم النعيمي، مطبعة العاني ببغداد.
* الرعاية لحقوق الله: للحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
* الروح: لابن القيم، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٣٩٥هـ.

* الزهد وصفة الزاهدين: لابن الأعرابي، أحمد بن محمد بن زياد، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بالقاهرة، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ.
* الزهد: لأبي داود السجستاني، دار المشكاة، القاهرة، ط. الأولى، ١٤١٤هـ.
* الزهد: للإمام أحمد، تحقيق محمد السعيد بسيوني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الأولى لعام ١٤٠٩هـ.
* الزهد: لهناد بن السري، تحقيق عبد الرحمٰن الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت، ط. الأولى لسنة ١٤٠٦هـ.
* كتاب الزهد: لابن المبارك، دار الكتب العلمية، بيروت.
* السُبْحَة تاريخها وحكمها: لبكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة بالرياض، ط. الأولى لسنة ١٤١٩هـ.
* سنن أبي داود: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
* سنن ابن ماجه: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
* السنن الكبرى: للبيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الباز بمكة المكرمة، ط. سنة ١٤١٤هـ.
* سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٤١: للذهبي، ط. الأولى لعام ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
* شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: لأبي القاسم اللالكائي، دار طيبة بالرياض.
* شرح العقيدة الطحاوية: لعلي بن أبي العز الحنفي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٤١١هـ.
* شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الثانية، ١٣٩٢هـ.
* شعب الإيمان: للبيهقي، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى لسنة ١٤١٠هـ.

* الصحاح: للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، لعام ١٤٠٢هـ.
* صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. سنة ١٤١٤هـ.
* صحيح ابن خزيمة: لأبي بكر بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية بالرياض، ط. الثانية لسنة ١٤٠١هـ.
* صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط. الثالثة لسنة ١٤٠٧هـ.
* صحيح الجامع الصغير وزيادته: للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية لسنة ١٤٠٦هـ.
* صحيح سنن ابن ماجه: لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط. الثالثة لسنة ١٤٠٨هـ.
* صحيح سنن النسائي: للألباني، ط: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط. الأولى لسنة ١٤٠٨هـ.
* صحيح سنن الترمذي: للألباني، ط. مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط. الأولى لسنة ١٤٠٨هـ.
* صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
* صفة الصفوة: لأبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت، ط. الثالثة لسنة ١٤٠٥هـ.
* الطبقات الكبرى: لابن سعد، دار صادر، بيروت.
* طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجُمحي، شرح محمود شاكر، مطبعة المدني بمصر.
* طوق الحمامة: لابن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت.
* العاقبة في ذكر الموت والآخرة: لأبي محمد عبد الحق الأشبيلي، دار الأقصى، الكويت، ط. الأولى لعام ١٤٠٦هـ.
* النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، طبعة المكتبة الإسلامية.

* الغربيين في القرآن والحديث: لأبي عبيد الهروي، مكتبة نزار الباز بمكة، ط. الأولى لسنة ١٤١٩هـ.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، دار المعرفة.

* الفهرست: لابن النديم، دار المعرفة، بيروت، ط. ١٣٩٨هـ.

* الفوائد: لابن القيم، دار البيان ومكتبة المؤيد، ط. الأولى لسنة ١٤٠٧هـ.

* في الحجة في بيان المحجة قوّام السنة: تحقيق محمد أبو رحيم، دار الراية، ط. الأولى لسنة ١٤١١هـ.

* فيض القدير: لعبد الرؤوف المناوي، ط. المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط. الأولى لسنة ١٣٥٦هـ.

* الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: للذهبي، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة بجدة، ط. سنة ١٤١٣هـ.

* كتاب الأسامي والكنى: لأبي أحمد الحاكم، تحقيق يوسف الدخيل، مكتبة الغرباء بالمدينة، ط. سنة ١٤١٤هـ.

* كتاب الأسامي والكنى: لأبي أحمد الحاكم، تحقيق يوسف الدخيل، مكتبة الغرباء بالمدينة، ط. سنة ١٤١٤هـ.

* كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: لأبي هلال الحسن العسكري، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، عام ١٣٨٩هـ.

* كتاب الجهاد: لابن المبارك، تحقيق نزيه حماد، الدار التونسية بتونس، ط. ١٩٧٢م.

* كتاب العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السمرائي.

* كتاب المحتضرين: ابن أبي الدنيا، دار ابن حزم، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٧هـ.

* الكنى: للبخاري، ملحق بالتاريخ الكبير، دار الفكر، بيروت، ط. سنة ١٩٨٦م.

* لسان العرب: لابن منظور، دار صادر، بيروت.

* مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بمصر.
* المجتبى من السنن: للنسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط. سنة ١٤٠٦هـ.
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ودار الريان للتراث بالقاهرة، ط. سنة ١٤٠٧هـ.
* مجموع الفتاوى: لابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن قاسم، دار عالم الكتب، بيروت، ط. ١٤١٢هـ.
* المجموع شرح المهذب: للنووي، دار الفكر، بيروت.
* المحرر الوجيز: لابن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ط. سنة ١٤٠٧هـ.
* المدونة الكبرى: للإمام مالك، دار صادر، بيروت.
* المراسيل مع الأسانيد: لأبي داود السجستاني، تحقيق عبد العزيز السيروان، دار القلم، بيروت، ط. الأولى لسنة ١٤٠٦هـ.
* المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. عام ١٤١١هـ.
* المستطرف في كل فن مستظرف: لشهاب الدين محمد الأبشيهي، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. سنة ١٩٨٦م.
* مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة بمصر، مصورة عن الطبعة الميمنية.
* مسند الإمام أحمد: تحقيق الأرناؤوط وعادل مرشد، ط. مؤسسة الرسالة، ط. الأولى لسنة ١٤١٨هـ.
* مسند الشاميين: للطبراني ٢/ ١٤٤ ح١٠٧٤، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ.
* مشاهير علماء الأمصار: لابن حبان البستي، دار الكتب العلمية.

* مشكاة المصابيح: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي، ط. الأولى، ١٣٨٠هـ.
* مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: للبوصيري، تحقيق الكشناوي، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ، الدار العربية، بيروت.
* مصنف ابن أبي شيبة تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد بالرياض، ط. الأولى، سنة ١٤٠٩هـ.
* المصنف: لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط. الثانية لسنة ١٤٠٣هـ.
* معجم الأدباء: لياقوت الحموي، دار إحياء التراث، بيروت.
* المعجم الأوسط: لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين بالقاهرة، ط. سنة ١٤١٥هـ.
* المعجم الكبير: للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط. سنة ١٤٠٤هـ.
* المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: للحافظ العراقي، اعتنى به أشرف عبد المقصود، مكتبة دار طبرية بالرياض، ط. الأولى لسنة ١٤١٥هـ.
* المغني: لابن قدامة المقدسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
* المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، دار ابن كثير والكلم الطيب، دمشق، ط. الأولى لعام ١٤١٧هـ.
* المنتظم: لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٢هـ.
* المنهاج في شعب الإيمان: لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق حلمي محمد فودة، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ١٣٩٩هـ.
* الموطأ: للإمام مالك بن أنس، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: لأحمد بن محمد المقَّرِي التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط. ١٩٦٨م.

* النكت والعيون: تفسير الماوردي، مكتبة المؤيد، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٢هـ.
* نوادر الأصول: للحكيم الترمذي، د. عبد الرحمٰن عميرة، ط. دار الجيل، بيروت، ط. الأولى، سنة ١٩٩٢م.
* هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل البغدادي، المكتبة الإسلامية بطهران، ط. الثالثة، ١٣٨٧هـ.



فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

*** أبواب الجنة وما جاء فيها وفي صفتها ونعيمها ***

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

كتاب الفتن والملاحم وأشراط الساعة

* أول أبواب الفتن *

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

*** باب الملاحم ***

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**